الأفكار التربوية في أعمال ابن خلدون بتركيز خاص على "المقدّمة":دراسة تحليلية

أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه

قدمتها

أم سلمى ن

باحثة الدكتوراه، كلية ب ت م الحكومية، برينتالمانا

تحت إشراف

الدكتور محمد نور الأمين و

مشرف البحث والأستاذ المشارك، كلية ب ت م الحكومية، برينتالمانا

جامعة كالكوت

2025

فهرست المحتويات

الأبواب والفصول **رقم الصفحة**

مقدمة البحث 4

تحليل العنوان..... 6

دوافع اختيار الموضوع 7

منهج البحث 7

مشكلة البحث 8

أهداف البحث 8

أسئلة البحث 8

الدراسات السابقة 9

خطة البحث 10

كلمة الشكر 11

الباب الأول: التربية: تاريخها وتطوّرها

الفصل الأول: مفهوم التربية 15

الفصل الثاني: أهداف التربية وأنواعها 34

الفصل الثالث: التربية الإسلامية 45

الفصل الرابع: التربية عبر العصور 61

الباب الثاني : ترجمة ابن خلدون و آثاره

الفصل الأول: حياة ابن خلدون..... 96

الفصل الثاني: عبقرية ابن خلدون..... 106

الفصل الثالث: آثار ابن خلدون..... 114

الباب الثالث : "مقدمة ابن خلدون" : دراسة تحليلية

الفصل الأول:لمحة عن " مقدمة ابن خلدون"..... 140

الفصل الثاني: ابن خلدون وعلم الاجتماع 151

الفصل الثالث: فلسفة ابن خلدون..... 163

الباب الرابع: الأفكار التربوية عندابن خلدون:دراسة تحليلية

الفصل الأول : خلفيات ابن خلدون في التربية والتعليم..... 175

الفصل الثاني: مناهج ابن خلدون في التربية 196

الفصل الثالث: الأفكار التربوية الخلدونية وتطابقاتها وتخالفاتها مع التربية الحديثة..... 204

الخاتمة..... 251

نتائج البحث..... 252

التوصيات..... 253

المصادر والمراجع..... 254

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين ، الصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، أما بعد

إنّ هذا البحث يهدف إلى التعرّف عن ابن خلدون، من جانب عبقريته في علوم التربية والتعليم ، أي من خلال دراسة آرائه التربوية المبثوثة في كتابه المشهور "المقدمة"، إنّه لم يشر إلى التربية والتعليم كموضوع مستقل، ومع ذلك فإنّ آراءه التربوية تبرز بشكل واضح في هذا الكتاب، مما يتيح لنا الاستفادة منها في معالجة التحدّيات التربوية التي تواجهها في العصرالحاضر.

لقد كان ابن خلدون فذّا في فكره ، مبدعا في نظرياته ، إذ سبق عصره وتفوّق على معاصريه في ميداني التاريخ والاجتماع،واضعا الأسس الأولى لهذين العلمين ،حتى أصبح مرجعا أصيلا ومصدرا لايستغنى عنه ، ولم يتوقّف إسهاماته عند ذلك بل كان له سبق واضح في مجال آخر لم يعط ما يستحق من اهتمام،وهو مجال "التربية والتعليم" ، فقد غفل كثيرون عن نظرياته التربوية التي جاءت ضمن إطار فلسفي شامل للإنسان والكون والمجتمع والحضارة والعمران البشري، وهكذا فقد تعرض للظلم حين أغفلت أفكاره التربوية ، وخسرت الأجيال مصدرا مهمّا ومرجعا فريدا من مصادر التربية الحديثة ومراجعها، نتيجة انضمام فكره في بعض الإرشادات التربوية السطحية فحسب.

قد حملني على اختيار هذا الموضوع على أنّ المؤلفات التي ظهرت في هذه الناحية باللغة العربية قليلة،مع أن المدرسين وطلبة المعلمين في حاجة كبيرة إلى أن يزوّدوا بالطرق الجديدة والتجارب الحديثة في تدريسهم . والمدرّس الناجح والمعلّم

البارع هو من يكون على صلة تامة مع تعاليم التربية أمس واليوم وغدا ،لأن العالَم يسير سريعا في مضمار الرقي الفكري ويتجه عمليا نحو النهوض بنظام التربية والتعليم.

التربية هي من إحدى الجوانب الأساسية في حياة الطفل، لها دور مهمّ في تكوين شخصيته ، ولقد تغيّرت التربية وتطوّرت كثيرا حسب تغيرات القيم والمعتقدات والأساليب ، ولابن خلدون آراء في التربية والتعليم،فإنّ آراءه في التربية والتعليم قد تميّزت عن آراء معاصريه، ويمكن اعتبارها أساس مدارس فكرية تربويّة كثيرة ، ومع ذلك أنّ أفكاره قريبة جدا إلى العصر الراهن .

يقول ابن خلدون من خلال آرائه في التربية والتعليم إن القرآن هو أصل التعليم، وكذلك يشير إلى أهمية تعلّم اللغة عند بداية التعليم، وأكّد على عدم استخدام الشدة والعقاب مع المتعلمين ، وعدم الإطالة في الفواصل الزمنية بين الدروس، وكذلك عدم خلط علمين في وقت واحد أثناء تعليم الصغار، وأشار إلى ضرورة استخدام الأمثلة والخبرة المباشرة في التعليم ، وأكد على أهمية الرحلات في طلب العلم،ونادى بالتدرج في التعليم،أي من السهل إلى الصعب ومن المحسوس إلى المجرد،وأشار إلى ضرورة تعليم اللغة وأن تكون دراستها أساسا لكل علم ، رغبة في تمكين التلميذ من إجادة التعبير عما يجول في ذهنه من أفكار وتصورات وكذلك أشار أيضا إلى إتقان عملية الكتابة .

إنّ هذه الدّراسة تحلّل أفكار وآراء ابن خلدون التربوية وتكشف ما كان لأفكاره من أوجه الاتفاق وكذلك من أوجه الاختلاف مع التربية الحديثة، فإنّ التربية القديمة تعتمد على العقاب الجسدي أما التربية الحديثة فتعتمد على العقاب الإيجابي .وكذلك التربية القديمة تركّز على التلقين والحفظ والانضباط، والتربية الحديثة تؤكد على الاستكشاف والتجربة والتفكير النقدي والحرية الفردية

.والتربية القديمة تركّز على الالتزام بالتقاليد والتمسّك بالمعارف التقليدية ،والتربية الحديثة تركز على تطوير المهارات الشخصية . فإنّ آراء ابن خلدون وتعاليمه في التربية والتعليم يناسب كثيرا مع ما نادت به التربية الحديثة ، مع أنه عاش قبل ستة قرون.

تحليل العنوان:

عنوان هذا البحث هو " الأفكار التربوية في أعمال ابن خلدون بتركيز خاص على " المقدمة " : دراسة تحليلية ".

الأفكار: هي جمع الفكرة، والمقصود بها كل ما يتردّد على الخاطر من آراء بالتأمل والتدبر، وما يخطر في العقل البشري ، من أشياء أو حلول أو اقتراحات مستحدثة أو تحليلات للوقائع والأحداث.[1]

التربوية: من كلمة "ربا" بمعنى نما وزاد، وهي صفة تشير إلى كل ما يتعلق بالتربية والتعليم ، وتشمل جميع الجوانب المتعلقة بتنمية الفرد وتطويره التربية هي عملية اجتماعية .

أعمال: المراد بها الكتب والآثار والمؤلفات التي كتبها الكاتب ابن خلدون.

ابن خلدون: عالم إسلامي ، وكاتب "المقدمة "المشهورة ، والمؤرخ والفيلسوف والمربي المشهور،يعد عبقرية عربية متميزة، وكان ابن خلدون عالما موسوعيا متعدد المعارف والعلوم.

بتركيز خاص: أي مع دراسة خاصة .

---

[1] Wikipedia.org

المقدمة : وهو كتابه المعروف ب"مقدمة ابن خلدون" ، وهو الجزء الأول من كتاب "العبر وديوان المبتدإ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر".

دراسة تحليلية :استخدمت الباحثة في هذا البحث الطريقة التحليلية لإظهار آرائه التربوية من كتاب" المقدمة".

دو افع اختيار الموضوع:

ومن دوافع اختيار هذا الموضوع:

1- رغبة الباحثة في التعريف عن العبقري المشهور ابن خلدون وعن عمله المشهور " المقدمة" الذي نال شهرة واسعة في العالم.
2- الكشف عن آراء ابن خلدون التربوية وأهميتها في الوقت الحاضر ، خاصة في التربية الإسلامية مع أنه يعتبر كعالم اجتماع واقتصاد.
3- قلة المؤلفات التي ظهرت في هذا الموضوع .
4- حاجة المعلمين وطلبة المعلمين إلى التزود بالطرق الجديدة والتجارب الحديثة في التربية والتعليم.
5- جمع آراء المتناثرة لابن خلدون في التربية والتعليم.

منهج البحث:

استخدمت الباحثة في هذا البحث المنهج التاريخي لدراسة حياة ابن خلدون وأعماله من خلال الرجوع إلى المصادر والمراجع وانتقاء المعلومات التي تخص محور البحث، وكذلك اعتمدت على المنهج التحليلي لتحليل آرائه التربوية .

مشكلة البحث:

التربية هي المسألة الحيوية لدى المجتمع في كل العصور ، ولا بدّ لها من بحث جاد عن الأفكار التربية الملائمة لذلك العصر ، ومن المربين من يقلدون النظم التربوية القديمة من غير اعتبار عقول الأجيال الجديدة ، ولذا جاء هذا البحث إلى انتباه القراء على أساليب التربية الحديثة مع الانتباه إلى دراسة أفكار ابن خلدون التربوية مع مقارنتها بالتربية الحديثة .

أهداف البحث:

وهذا البحث يهدف إلى التعريف عن ابن خلدون وعن أعماله و يكشف عن آرائه التربوية المبثوثة من خلال أعماله،والمقارنة بينها وبين أفكار التربية الحديثة ، ومع ذلك يقدم التوصيات إلى تعمق الدراسة في الأفكار التربوية الخلدونية.

أسئلة البحث:

1- ما المراد بالتربية والتعليم؟
2- من كان ابن خلدون؟
3- ماهي أعمال ابن خلدون؟
4- ماهي أفكار ابن خلدون التربوية؟
5- هل كان ابن خلدون مربيا يمتلك منهجا تربويا ، أم عالم اجتماع وفيلسوف فقط؟
6- هل هناك تقارب ما بين أفكار ابن خلدون التربوية والأبحاث التربوية الحديثة ؟

الدراسات السابقة:

وقد جرت عدة دراسات حول الآراء والأفكار التربوية الخلدونية ، وقد قامت الباحثة بالدراسة على نتائج هذه الدراسة وبعد ذلك ربطتها بالأفكار التربوية الحديثة، ومن الدراسات التي تناولت موضوع الأفكار التربوية لابن خلدون :

- سناء دراوشة، الفكر التربوي الخلدوني مقاربة بين الأصالة والمعاصرة بحث مقدم إلى مؤتمر ابن خلدون المنعقد في جامعة النجاح الوطنية ، جامعة نابلس، فلسطين ،2012م
- ، دراسة رقية طه جابر العلواني، منهج ابن خلدون في إصلاح العملية التعليمية،ندوة ابن خلدون ،كلية الآداب ، جامعة البحرين، 2006 م
- ، دراسة خالد عبد الله عبده الخزاعلة ،أصول الفكر التربوي عند ابن خلدون : دراسة تحليلية مقارنة، كلية التربية ، جامعة اليرموك ،إربد ، الأردن،2007م
- الجيلاني بن التوهامي مفتاح ، مفهوم الاستخلاف ودوره في فكر ابن خلدون التربوي والتعليمي، دراسة ،2006م
- عبد الله أمين النعيمي ،المناهج وطرق التعليم عند القابسي وابن خلدون ، دراسة ،مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 1992م

اتفقت هذه الدراسة مع كل الدراسات السابقة في النتائج مثل وجود منهجية تربوية متكاملة لابن خلدون ، وأن أفكار ابن خلدون التربوية جاءت متسقة مع ما نادت به علماء التربية الحديثة مع اختلاف المنهج المتبع فيها ، أما في دراسة دراوشة (2012م) انتهجت المنهج التاريخي ، ودراسة خزاعلة(2007م) استخدمت فيها المنهج التحليلي المقارن ،والنعيمي (1992م) استخدم المنهج الوصفي التاريخي التحليلي،وكذلك أوصت الدراسات كلها على تعمق الدراسة على أفكار ابن خلدون التربوية .وهذه

الدراسة تنفرد من الدراسات السابقة بمقارنة بين الفكر التربوي الخلدوني والفكر التربوي الحديث.وبينت مدى التطابقات بينهما.

خطة البحث:

يتضمن هذا البحث على أربعة أبواب رئيسية بالإضافة إلى مقدمة البحث وخاتمته ، وكل من الأبواب يتجزء إلى فصول ، فالباب الأول عنوانه "التربية : تاريخها وتطورها" ، ويتضمن هذا الباب على أربعة فصول ، الفصل الأول يناقش عن مفهوم التربية وتعريفاتها المختلفة عند علماء التربية في مختلف العصور، والفصل الثاني يناقش عن أهداف التربية وأنواعها ، والفصل الثالث عن التربية الإسلامية والفصل الرابع يتناول عن التربية في العصر الماضي والحاضر.

والباب الثاني عنوانه " ترجمة ابن خلدون وآثاره" وفيه ثلاثة فصول ،الفصل الأول يتناول عن حياة ابن خلدون ، والفصل الثاني يناقش عن عبقرية ابن خلدون في مختلف المجالات، والفصل الثالث يناقش عن آثار ابن خلدون من غير "المقدمة".

أما الباب الثالث عنوانه " مقدمة ابن خلدون : دراسة تحليلية " فهو يتحدث عن كتابه المشهور: "المقدمة" ، وفيه ثلاثة فصول ، فالفصل الأول يناقش عن " المقدمة " : دراسة تحليلية ، والفصل الثاني يتناول عن مساهمة ابن خلدون في علم الاجتماع، والثالث يتحدث عن فلسفة ابن خلدون.

أما الباب الرابع فهو الباب الأخير عنوانه : "الأفكار التربوية عند ابن خلدون : دراسة تحليلية "، فيتحدث فيه عن أفكار التربوية الخلدونية ، وفيه ثلاثة فصول : الفصل الأول يناقش عن خلفيات ابن خلدون في التربية ، والفصل الثاني عن

مناهج ابن خلدون في التربية ، والفصل الثالث عن الأفكار التربوية الخلدونية وتطابقاتها وتخالفاتها مع التربية الحديثة.

كلمة الشكر:

الحمد لله الذي به تتم الصالحات، وهو المستعان والمتوكل ، وقد تمت هذه الأطروحة بعون الله تعالى وفضله ، فأولا أشكر الله تعالى الذي وفقني لإتمام هذا البحث على صورة جيدة ، وبعد، أتقدم بخالص الشكر والتقدير والامتنان إلى مشرفي الدكتور محمد نور الأمين .و ، الذي نصحني وأرشدني في أوقات ملائمة لإتمام هذا البحث ، وهو الذي قام معي بإرشادات وتوجيهات قيمة ، ودعمني في كل الأوقات بالنصائح المحتاجة ، ولولا إرشاداته ما استطعت أن أكمل هذه الدراسة في هذه الصورة الجميلة ، وأتمنى له دوام التوفيق والنجاح في مسيرته العلمية ، وجزاه الله أحسن الجزاء في الدنيا والآخرة ، وكذلك أشكر الدكتور جابر .ك ، رئيس قسم اللغة العربية ، كلية ب ت م الحكومية ببرنتالمانا ،وكذلك أشكر الدكتور أفضل جمال ، عميد كلية ب ت م الحكومية ، وأشكر جميع الأساتذة في قسم اللغة العربية من قسم البحوث والماجيستر ، كلية ب ت م الحكومية .

وكذلك أتقدم الشكر الجزيل إلى عائلتي وأصدقائي على دعمهم المستمر وتشجيعهم لي خلال فترة الدراسة ، وبدون مساعدتهم ودعمهم لا أستطيع أن أتم هذا العمل ، وأخيرا أتقدم بخالص الشكر والتقدير إلى جميع الأشخاص الذين ساهموا في إنجاز هذا العمل، سواء من خلال توفير المعلومات أو المشاركة في النقاشات أوتقديم الدعم الفني، شكرا لكم جميعا على مساهماتكم القيمة.

أم سلمى . ن

الباب الأول

التربية : تاريخها وتطورها

التمهيد

الفصل الأول: مفهوم التربية

الفصل الثاني: أهداف التربية وأنواعها

الفصل الثالث: التربية الإسلامية

الفصل الرابع: التربية عبر العصور

التمهيد

إن الآية الأولى التي أنزلت من القرآن هو قوله تعالى:"اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَق،خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقْ،اِقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَم، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ،عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ"[2] ،كان أمرا بالقراءة،وهذا دليل على مكانة العلم والتعليم.ويشجع الإسلام التعلّم مدى الحياة،وفي حديث أبي بكرة: "اغد عالماً أو متعلماً أو مستمعاً أو محباً،ولا تكن خامسة فتهلك"[3].

وقد قال مهاتما غاندي(1869-1948) : "أعني بالتعليم استخلاص أفضل ما في الطفل والإنسان ، جسدا وعقلا وروحا.محو الأمية ليس نهاية التعليم ، ولا حتى بدايته ، إنه إحدى الوسائل التي تمكن الرجال والنساء من التعلم ، محو الأمية في حدّ ذاته ليس تعليما."

التربية لها أهمية كبيرة في حياة المجتمعات والشعوب. فهي أصل الثقافة والتطور، وهي ضرورة فردية لتكوين الشخصية والقدرات والثقافات، وكذلك وهي أيضا ضرورة اجتماعية تهدف لتلبية حاجات المجتمع."الإنسان عبد الله وسيّد الكون،وهو خليفة الله في الأرض،وهو مستخلف من الله فيها للعبادة،ومقتضى العبادة أن يسهم الإنسان في عمارة الأرض وترقيتها وفق منهج الله ،ولكي يقوم الإنسان بواجبات الخلافة على نحو ربّاني وإيجابي وواقعيّ،فلا بدّ من تربيته تربية إيمانية"[4].

التربية عمليّة لها شعب كثير ،ذات أساليب ونظم تامة،إنها تصدر من التصوّر الإيماني لحقائق الألوهية،تهدف إلى إعداد الإنسان للقيام بحق الخلافة عن الله في الأرض.وإنّ قضايا المرتبطة بالتعليم والتربية هي قضايا الأمّة ،فعلى الأمّة أن تحاول النهوض بمؤسّساتها وحلّ مشكلاتها .

---

[2] سورة العلق ، الآيات 1-5
[3] كشف الخفاء 2:167
[4] علي أحمد مدكور، مناهج التربية أسسها وتطبيقاتها

الفصل الأول

مفهوم التربية

التربية في اللغة:

كلمة "ربا" معناها نما وزاد،قالت العرب:ربا الشيء رَبْواً وربُواً: أي نما وزاد.وقال تعالى عن الأرض:"فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ"[5]. أي زادت وكثرت وانتفخت بسبب ما يتداخلها من الماء والنبات.ويقول العرب : ربا المال: بمعنى زاد ،ويقولون أيضا:ربّى فلانا أي غذّاه ونشّأه. [6]

الأصول اللغوية لكلمة "تربية" هي:

الأول:ربا، يربو : بمعنى نما ، ينمو.

الثاني : ربى ، يربى : بمعنى نشأ وترعرع

الثالث: ربَّ، بمعنى أصلحه وتولى أمره وساسه وقام عليه ورعاه.

التربية في الاصطلاح:

تنشئة الإنسان شيئا فشيئا في جميع جوانبه، وفق المنهج الإسلامي.

فالتنشئة :وهي كلمة تدل على التربية.

فالإنسان:هو المحور اللذي تتمركز حوله العملية التربوية ، أيا كان الإنسان.

شيئا فشيئا: يشير ويبين على أنّ التربية تقوم على التدرّج.

---

[5] سورة فصلت الآية 39

[6] لسان العرب ،كلمة " ربا "

في جميع جوانبه: أي جوانب الشخصية الإنسانية ، مثل الجانب العقلي والتعبّدي والأخلاقي والمهني والاجتماعي .

التربية في القرآن الكريم:

وقد ذكرت كلمة التربية في القرآن الكريم في قوله تعالى :

"واخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا"[7]

وقال تعالى أيضا : "قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ"[8]

يدلّ هذا على الرعاية والعناية.

وأيضا وقد وردت كلمات عدّة في القرآن الكريم لها قرابة كثيرة مما تعنيه كلمة التربية ، ومنها:

قال تعالى: "وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونْ"[9] بمعنى الحكمة والعلم والتعليم.

وقال تعالى أيضا : " كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنِا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمْ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونْ[10]" وذلك بمعنى التزكية والتطهير.

وقال أيضا : "أَوَ مَنْ يُنشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينْ[11]" ، بمعنى التنشئة والتربية .

---

[7] سورة الإسراء الآية 24
[8] سورة الشعراء 18
[9] سورة آل عمران 79
[10] سورة البقرة 151
[11] سورة الزخرف 18

تعريف التربية:

التربية هي عملية هامة،لها أهمية كبيرة في عملية التطور والإزدهار التي تشهدها المجتمعات الإنسانية .وهناك مفاهيم كثيرة وتعريفات هامة التي قالها علماء التربية سواء القدامى والمحدثين، منها:

تعريف الفيلسوف اليوناني أفلاطون (427-347 ق.م) : " إن التربية هي أن تضفى على الجسم والنفس كل جمال وكمال ممكن لها"

تعريف المفكر والمصلح المصري رفاعة الطهطاوي (1801-1873) : "التربية التي تبنى خلق الطفل على ما يليق بالمجتمع الفاضل،وتنمّي فيه جميع الفضائل التي تصونه من الرذائل ، وتمكنه من محاورة ذاته للتعاون مع أقرانه على فعل الخير"

تعريف أرسطو (384-322 ق. م) الفيلسوف اليوناني: " التربية هي إعداد العقل للتعليم كما تعدّ الارض للبذرة ".

تعريف المفكر والمؤرخ السوري ساطع الحصري (1880-1968م) : "التربية هي تنشئة الفرد،قويّ البدن،حسن الخلق،صحيح التفكير،محبا لوطنه،معتزا بقوميته،مدركا واجباته مزوّدا بالمعلومات اللازمة له في حياته"

تعريف إسماعيل القباني (1898-1963م)الذي كان تربويا ووزير مصري سابق للتربية والتعليم : "التربية هي مساعدة الفرد على تحقيق ذاته حتى يبلغ أقصى كمالاته المادية والروحية في إطار المجتمع الذي يعيش فيه"

تعريف المربي الإنجليزي هربرت سبنسر (1820-1903م) : "التربية هي إعداد الفرد ليحيى حياة كاملة"

تعريف الفيلسوف والتربوي الأمريكي جون ديوي (1859-1952م) : "التربية هي الحياة وهي عملية تكييف الفرد وبيئته"

قال أرسطو (384-322 ق.م): "إنّ الغرض من التربية هو تمكين الفرد من كافة الأمور الضرورية والمفيدة في حالات الحرب والسلم، إضافة لقيامه بكل ما هو خير ونبيل من الأعمال التي من شأنها إيصاله إلى حالة السعادة ".

ومن التعريفات التي قالها علماء التربية الحديثة:"التربية هي عملية التكيّف أو التفاعل بين الفرد وبيئته التي يعيش فيها"[12] ،"إن التربية هي العمل المنسّق المقصود الهادف إلى نقل المعرفة ،وخلق القابليات،وتكوين الإنسان والسعي به في طريق الكمال من جميع النواحي وعلى مدي الحياة"[13].

التربية العقليّة هدفها تنمية القدرات العقليّة،بينما التربية الرّوحية هدفها تنمية القوى الروحية.فالتربية والتنمية تكون تدريجيّا،والزمن يساعد في بلوغ التربية غاياتها،"التربية نوع من الحرب الدائمة على كل أشكال الإنحراف والتبلد والقصور الذاتي،وإن التربية كالحرب تحتاج إلى الرجل القوي الذي يملك فضيلة الصبر على بذل الجهد المستمرّ،مع التطلّع إلى الفرص المواتية"[14].

وقد عرّف معجم "لالاند" [15] (1867-1963م) :"التربية بأنّها :سياق يقوم في أنّ تطور وظيفة أو عدّة وظائف تدريجا بالتدريس،وأن تتحسن نتيجة لذلك السياق"[16].

ويرى بعض الفلاسفة والباحثين في الشأن التربوي "أن التربية لا تعدو أن تكون مجرد تقديم الفرص للنمو الطبيعي"[17]وهي"ليست شيئا يقحم على الأطفال والشباب إقحاما قسريّا من الخارج،وإنّما هي نموّ القدرات الفطرية الكائنة في بني الإنسان عند الميلاد".[18]

---

[12] Scribd.com
[13] المرجع السابق
[14] حول التربية والتعليم ،صفحة 12
[15] هو أندرية لالاند، وهو فيلسوف فرنسي
[16] فلسفة التربية: صفحة13
[17] التربية والنظام الإجتماعي : صفحة 42
[18] قاموس جون ديوي للتربية : صفحة 55

مفهوم التربية:

التربية لغة: هي إنشاء الشيء حالا فحالا إلى حدّ إتمامه، واصطلاحا: "عبارة عن مجموعة من العمليات التي يتمّ من خلالها نقل المعلومات والمعارف والخبرات المكتسبة من شخص لآخر ومن جيل إلى جيل من أجل المحافظة"، ولها دور هام في حياة المجتمع ،وهي من أركان التطور والبنيان والازدهار، ووسيلة للبقاء والاستمرار.

التربية هي المفتاح الذي سيفتح كل المغاليق ، وليست نوعا من التلاعب بالألفاظ،وأن المربين إذا كانوا في البيوت أو في المدارس أو في كل مكان لا يستطيعون أن يفعلوا كما يشائون، وكذلك لا يستطيعون أيضا أن ينشئوا جيلا خارقا.إذا كان المجتمع فاسدا أو ضعيفا فهو مثل طحين فاسد،وكل ما يصنع منه من المأكولات لن يكون إلا كذلك.

التربية هي ظاهرة اجتماعية، إذ أنّها لا تتم بدون وجود المجتمع، والإنسان حيوان اجتماعي ولا يستطيع له أن يعيش فردا منعزلا عن المجتمع ، التربية هي أداة المجتمع في المحافظة على مقوّماته الأساسية من أساليب الحياة وأنماط التفكير.فالتربية هي عملية إنسانية وأن مادة التربية هي الأفراد الإنسانيين وحدهم ، ولا يتضمن فيها الكائنات الحيّة الأخرى أو الكائنات الجامدة، وقد يكون هناك تدريب للحيوان ولا تكون تربية له، تحتاج التربية إلى مربّ وهو يوجه الشخص الذي يمرّ بهذه العملية ، وهي تقوم على أساسين مهمّين :هما التلميذ والوسيلة التربوية.

التربية هي "عملية التكيف أو التفاعل بين الفرد وبيئته التي يعيش فيها"[19]، وهي عامل مهمّ في التوازن البيئي والتنمية الاقتصادية تستهدف نموّ الفرد في جميع جوانب شخصيته، وأهم أهداف التربية هي إعداد المواطن الصالح.

---

[19] www.scribd.com

أما نظام التعليم ومناهجه فهي مجال خصب لنموّ القيم والمثل العليا التي تعكس فيها رغبات المجتمعيات وآمالها في المحافظة على المعتقدات والثقافة وأساليب الحياة، وكذلك وهو من أحد ميادين الفكر الإنساني ، وإنها تصاغ مستقبلها وفق منظومة الأفكار التي تدين بها.

العملية التربوية تتفاعل مع الحياة مع الإنسان فهي عمليّة مستمرة كالمجتمع، إنها عملية قديمة على وجه الأرض وهي مستمرة مثل استمرار الحياة على وجه الأرض وستبقى حتى تبقى الإنسان على وجه الأرض، لها أهمية في صنع الإنسان المتطور في المجتمعات العصرية ولذلك خصّصت الدول المعاصرة لها مالا وجهدا وأعدّت لها الخبراء والمتخصصين.

العملية التربوية ليست يوما أو ساعة بل أنها "عبارة عن تراكمات من الخبرات والسلوكيات التي رضيت عنها الشعوب على مرّ الزمن، عرف الفرد بواسطتها الحقائق الموجودة في العالم وتعلّم المهارات التي تفيده في الحياة وبها نمت قدراته وتشعّبت ميوله وحقّقت رغباته ولهذا جاءت التربية بمفاهيم كثيرة وفسّرت بمعان عدّة"[20].

التربية ليست حكرا على أحد من الناس ،وليست مهمّة إنسان دون الآخر، وتقوم بهذه العملية العامة الأب أو الأم أو المدرس أو المدرسة أو أي مخلوق إنه عرف قيم مجتمعه وتقاليده، فرجل الدين مربّي والمدرس مربّي والأب مربّي، منذ القدم ،الإنسان يدرب أبناءه على العيش في البيئة والتغلّب على صعاب الحياة ،وكانت بداية حياة الإنسان بعيشة منفردة، ثم تزاوج ،فصار له الأسرة والعائلة، ثم كبرت العائلة فأصبحت عشيرة ،وتجمّعت العشائر، وتكوّنت القبيلة ،ومن القبائل تكوّنت الدولة، فلا بدّ لها من استمرار وديمومة ،وكانت بالعملية التربوية التي تنقل التراث وتحافظ عليه، وتُطوّره وتُنمّيه وتساعده على البقاء على ظهر الأرض .

---

[20] Uoanbar.edu.iq

ثم "اتسعت معاني العملية التربوية باتساع المجتمعات واختلفت باختلاف الأمم وتنوّعت بتنوّع الأنظمة وتعدّدت بتعدّد المفكرين، لهذا صارت مدلولات التربية مختلفة وشاملة وعامة، لا تخصّ فئة واحدة دون الأخرى ،ولا تقتصر على أمّة دون غيرها، ولا هي وليدة زمان دون زمان، بل هي عملية استمرارية غير محدودة بزمان أو مكان أو شعب دون شعب، فالعملية التربوية عملية هامّة لبني البشر، وأهميتها تكمن في كونها الطريق المنظّم لنقل التراث استمرار بقائه لكل الأمم"[21]. وهي شجرة باسقة الطول ،جذورها في أعماق الأرض، وفروعها في أعالي السماء.

إن التربية باعتبارها وسيطا ثقافيا فإنها تنقل رسالة وتحدّد مجالات للعمل،وتعيّن معايير أخلاقية، وإنها سلاح ذو خدّين، وتقوم بمهمّة مزدوجة صعبة، وهي تحاول الإحتفاظ بما هو جيّد من المكوّنات الثقافية المختلفة. ومع ذلك وهي تحاول أن تبذّر أفكار وعادات وعلوم جديدة،ويتمّ كل هذا العمل في مجتمعات تتغيّر بسرعة شديدة ،ونتائجه تكون في العادة بطيئة ،ومع ذلك تحتاج إلى الصبر والمهارة[22] .

إن المهمة الجديدة للتربية هي أن تعدّ الأجيال لقبول التغيّرات الكثيفة القادمة والتكيّف معها والسيطرة عليها واستخراج خير ما فيها، وتطور المؤسّسات والأساليب التربوية يجب أن يكون حسب هذه التغيرات. وفي بعض أعمال المسرحية والفكاهية تصوّر المتعلم على أنه شخص تقليدي بطيئ الفهم،متبلّد الشعور ،فلا يستطيع تركها من غير تفكر فيها.

التربية وأهميتها في المجتمع

للتربية أهمية كبيرة في المجتمع لعدة جوانبها منها :

---

[21] www.scribd.com

[22] التربية والنظام الإجتماعي: ص 283

*أنها تعمل على التوازن البيئي،وهي تثقّف الفرد مع محيطه البيئي وتدرّسه عن كيفية التعامل مع البيئة المحيطة.

*التربية من الإستراتيجيات التي تعتمد عليها المجتمعات الإنسانية والتي تضع كل الميزانيات والخطط. لذلك يحقق علماء التربية أهدافهم لبناء جيل قادر على التعامل مع تحديات المجتمع.

*هي من العوامل التي عليها تقوم التنمية الاقتصادية.

*هي أيضا من العوامل لبناء الحضارة والدولة.

*التربية لها أهمية في تنظيم الحكم والديموقراطية الحديثة.

*وهي تساعد على بناء الدولة العصرية الحديثة التي تتماشى مع الحضارة الحديثة.فعلى التربية أن تؤهّل المجتمع لبناء دولة حديثة ومع ذلك تحافظ على الحياة الطيبة والعيش برفاهية، وبجميع الوسائل التكنولوجليا والعلمية التي فيها يعيش الفرد بجيّد .

فلسفة التربية ووظيفتها:

كلمة" فلسفة"يونانية الأصل،وهي تعني "حب الحكمة". "الطفل الذي يعيش في جوّ من الأمن ،يتعلّم حسن الظن،والطفل الذي يعيش في جوّ من الإنتقاد يتعلّم الشجب"[23]. الإسلام دين عملي وإذا ذكر الإيمان يذكر معه العمل الصالح وكان صلعم يستعيذ بالله من علم لا ينفع[24].

"الفلسفة التربوية تحدّد غايات التربوية وتبين المشاكل وتوضّح التعارضات الموجودة في قلب العملية التربوية (الثقافة ،والطبيعة ، والحرّية ، والتكييف)

[23] حول التربية والتعليم ، ص : 31
[24] رواه مسلم

وتبحث عن شروط الإمكانيات التربوية، وهي بذلك تؤكّد على عدد من المبادئ التي لا يمكن الإستغناء عنها في التحليل والتي لا وجود للتربية من دونها."[25]

مبادئ وأساليب تربوية:

هناك كلام عادي:إنّ الطفل صفحة بيضاء ،ولا يعني هذا أننا نستطيع أن نغيّره كما نريد، وأنّ للطفل طبيعته الخاصة، والمراد بهذا أنّ الطفل يستطيع أن يتأثّر كثيرا من الكبار،وإذا عرضنا خمسة من الإخوة لتربية واحدة عند مربّ واحد ، فيكون لكلّ منهم سلوكه وقدراته وشخصيته وقيمه.إنّ عناصر العملية التعليمية ثلاثة:الأستاذ،والكتاب والطالب ،ولذلك يكون للمناهج والمقررات أهمية كبرى في العملية التربوية.

نحتاج في حياتنا الاجتماعية إلى مزيد من اللطف والإيثار والتعاون،وكذلك علينا أن نراعي مشاعر الآخرين ومصالحهم، وفي شخصية الطفل يتمّ رسم الخطوط الأساسية في السنوات السبع الأولى من عمره، ومنه نفهم أنّ للأسرة تأثير كبير في عملية التربية الأساسية ، ولذلك أنّ الخلفية التاريخية للأسرة إنّها تترك آثارها في حياة أبنائها أجيالا عديدة.والطفل مثل نبتة غضّة ، وتتأثّر تأثرا بالغا بالظروف البيئية والمناخية التي تنمو فيها.

النشاط غير الصفي:

النشاط غير الصفي ضروري في عملية التدريس،وهذا يشعرهم بالحصول على ما يحتاجونه في حياتهم الإجتماعية ،ومن النشاط غير الصفي الأعمال الآتية:

ا)تدريب الطلاب على الخطابة والتمثيل.

ب)عقد ندوات أسبوعية أو نصف شهرية.

---

[25] علوم التربية ،ص :105

ج)عرض الأشرطة المرئية التي تتضمّن فيها الموادّ العلمية .

د) تلخيص بعض الكتب وإقامة المسابقات الثقافية فيها.

ه)رحلات داخل المنطقة وخارجها،وزيادة المعاهد .

و)الخروج إلى البساتين.

العلم للحياة

العلم هو نقيض للجهل، وهو إدراك الشيئ بحقيقته، وهو عبارة عن مفاهيم وقوانين متسلسلة ومترابطة بعضها مع البعض، وهي تنشأ من التجارب والملاحظة، "العلم هو معرفة منظمة تأتي من البحث والتفكير ، ونشاط يسعى به الإنسان إلى تطوير قدراته في السيطرة على الطبيعة ، ومن أهدافه وصف الظواهر المختلفة عن طريق الملاحظة ، واستخدام أدوات العلم وتفسير الظواهر ومعرفة أسبابها ودراسة التغيرات التي تؤدي إلى حدوث الظاهرة التي نمت ، والتنبّؤ بحدوث الظواهر في المستقبل بالاستعانة بنتائج سابقة ، والتحكّم في العوامل التي تؤدي إلى حدوثها بما يكون في صالح الإنسان والبشرية"[26].

العلم هو مصباح ينير به دروب الحياة ويخرج به الإنسان من الجهل والظلام ويسلك به إلى العلم والنور، وللعلم مكانة عظيمة عند الله ، إنه تعالى جعل العلماء ورثة الأنبياء ، والمنارة التي يهتدي بهم ، وقال تعالى : " قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون"[27].

أما الحياة هي حالة الوجود التي تتميز بالتنفس، والنموّ ، والتكاثر، والإستجابة للمنبهات ، ويمكن تعريف الحياة بطرق مختلفة حسب السياق والمنظور، ولكن بشكل عام تشمل الحياة الجوانب البيولوجية والاجتماعية

---

[26] http://www.elan.gov.sy/2017

[27] سورة الزمر، الآية 9

والفلسفية ، ومعنى الحياة يكون مختلفا من شخص لآخر ، وقد يتغير مع مرور الوقت والتجارب.

وللعلم تأثير عظيم في حياة البشر،وإذا قارنّا بين عالم وأمّي نرى الفرق بينهما جليّا حيث لا يستطيع لهما لأن يعيش في منزل واحد.العلم أداة للخير وأداة للشرّ معا،العلم ينبغي أن يكون مشاعا بين الناس بما يلامس حاجاتهم.إنّ قوّة المعرفة تكمن في إمكانية نشرها وتبليغها وإضاءة الحياة بها ،"تقول حكمة صينية مأثورة: إذا أردت مشروعا تحصده بعد عام فازرع قمحا،وإذا الحصاد بعد عشرة أعوام فاغرس شجرة،وإذا أردت حصاد مائة عام،فعلّم الشعب،فالحبوب التي تزرعها مرة تحصدها مرة،والشجرة التي تغرسها تقطعها عشر مرّات ،وإذا علّمت الشعب حصدت مائة عام"[28] .

العلم يدعو العقل إلى المزيد من التعليم،لأنّ علمه يخبره ويعلمه عن جهله، وتزداد الأشياء المجهولة بازدياد الأشياء المعروفة.إنّ شيوع الأمية في المجتمعات الإسلامية كان يمثل مشكلة حضارية،فعلينا أن نتعلم ،ونعلم،وندرب بلا حدودلأن لا يكون الأجيال القادمة خدما للأمم الأخرى.إنّ التعليم يقوم جوهرها على إثراء خبرات الفرد وتغيير سلوكه فيجعله يستجيب استجابة ملائمة لمتطلبات البيئة . يرى الإسلام التعلم حتى الموت، وهو مثل العبادة لا ينتهي إلا بانتهاء الأجل.

تعريف التعليم:

يعرف التعليم بأنّه "عملية منظمة تهدف إلى اكتساب الشخص المتعلّم للأسس العامة البانية للمعرفة ويتم ذلك بطريقة منظمة ومقصودة وبأهداف محددة ومعروفة ، فالتعليم مصطلح يطلق على العملية التي تجعل الفرد يتعلّم علما محدّدا أو صنعة معينة .التعليم هو عبارة عن نقل المعلومات والخبرات

[28] التربية وتنمية المجتمع العربي 173

والمهارات من المعلم إلى المتعلم، وهو العملية التي يسعى المعلم من خلالها إلى توجيه الطالب لتحقيق أهدافه التي يسعى إليها وينجز أعماله ومسؤولياته"[29].

عناصر التعليم:

للتعليم عناصر محدّدة،وله مدخلات وعمليات ومخرجات ،ومن مخرجاته: المعلم ، والخلفية الثقافية والاجتماعية ، ومهاراته وكفاءاته الأدائية ، والطالب، والبيئة التعليمية ،والمادة الدراسية.

ومن عملياته: طرق التدريس والأساليب المتبعة به، الأنشطة والتدريبات التي تقع من خلال عملية التعليمية، التقويم وأساليبه.

ومن مخرجاته: زيادة مهارة الطلبة ومعارفهم، الاهتمام بالموضوع التعليمي، زيادة الثقة بالنفس،زيادة قدرة الطلاب على مواجهة المواقف المختلفة .

أنواع التعليم:

تنقسم التعليم إلى أنواع متعددة،منها ما يأتي:

التعليم المهني الفني: وهذا التعليم يؤهل الطلبة على ممارسة مهنة معينة ،مثل التعليم الصناعي والتعليم الزراعي وغيرها.

التعليم الحرفي: وهذا التعليم يهدف إلى امتلاك الطالب حرفة معينة ، ويشبه أيضا للتعليم المهني ، ولكنه أسهل منه ومدّته قليلة أيضا.

التعليم الأكادمي: وهذا ما يحصله الطلاب في مراحلهم الدراسية كلها ، وفيها مراحل التعليم العالي في المعاهد التعليمية غير المهنية، وتعتبر هذا النوع من أكثر أنواع التعليم شيوعا.

---

[29] Mawdoo3.com

التعليم الشامل: وهذا النوع مزيج من النوعين الأكادمي والمهني، وفيها دروس من هذين النوعين معا.

وسائل التعليم:

الوسائل التعليمية لها أهمية كبيرة في سبيل تحقيق أهداف التعليم ،ومنها : الوسائل السمعية والبصرية ، التكنولوجيا التربوية، الوسائل الوسيطة وغيرها.

التعليم عن بعد:

وهذا من طرق التعليم ، يعني بهذا إيصال المعلومات إلى الطلبة من خلال الدروس الإلكترونية عبر الأقمار الصناعية ، ويستخدم الفيديو والصوت وتكنولوجيا الوسائط المتعدّدة والصور والرسومات لإيصال المواد التعليمية من المعلم إلى المتعلم.

العلاقة بين التربية والتعليم:

هناك وجه للعلاقة بين التربية والتعليم مع أنهما فوارق كثيرة ، ولذا أن الفصل بينهما له أضراره البالغة على الأفراد والمجتمعات.وأنّ المؤسسات التربية تهتّم بالجانب التعليمي، ولكنها لم تعط الجانب التربوي ما يستحقه من الأهمية ،إنّما تريد أن تنقل المعارف والمعلومات التي يحتويها الكتاب المدرسي إلى أذهان التلاميذ بدون التهذيب في السلوك.

الفرق بين التربية والتعليم:

يرى بعض العلماء أنّ التربية مرادفة للتعليم، ولكنّ بعض العلماء يرون أنّ بينهما فروق كثيرة ، ويقولون أنهما كلمتان بينهما ترابط وتداخل تام،ويظهر اختلافهما وترابطهما في الأمور الآتية:

أ)التعليم هو إيصال المادّة العلمية إلى أذهان التلاميذ،ولا تشترط فيه أن تتمثّلها في سلوكهم وأخلاقهم كما في التربية.

ب)التربية تتركز على الأهداف السامية والنبيلة التي تساعد الفرد على كسب الأخلاق الحميدة التي يرضى عنه المجتمع،ولكنّ أهداف التعليم تتركز على الأخلاق الحميدة والأخلاق الذميمة أيضا،مثل تعليم السحر.

ج)التربية تعدّ الفرد للحياة منذ المهد إلى اللحد ، وللحياة في الدنيا والآخرة،ولكنّ التعليم يعدّ الفرد إلى الوظيفة والمهنة.

د)التربية توصل الفرد إلى أرقى درجات الكمال،والتعليم وسيلة من وسائل التربية.

ه)التربية عبارة عن عملية تنمية قوى المرء المختلفة وتنمية جميع جوانب شخصيته، أما التعليم فإنه يتناول تحصيل العلم وزيادته لدى الناشئ ، وغالبا ينوب عنها الناحية العقلية التي بها تمكن للفرد من اكتساب المعارف المطلوبة والمعلومات المحتاجة.

و)التربية هي عملية مستمرة في الحياة منذ الولادة حتى الوفاة، ولكن التعليم يقف في مرحلة معينة أو في حدّ معين.

ز) إنّ التربية هي غاية ، فالتعليم هو طريق من طرق التربية ،فالعمل التعليمي الجيّد لا بدّ له أن يكون هدف تربويّ جيّد.

أهمية التربية

التربية هي الأسلوب ،وهي "الأداة التي تضع الإنسان في بداية طريق النموّ والاستفادة من الوسط الاجتماعي القائم"[30] ، وتتجلّى أهمية التربية في حياة الأفراد والمجتمعات حيث أنه يجيئ إلى هذه الدنيا بدون أن يمتلك شيئا من اللغة والفكر والمشاعر والأخلاق ، فعليه أن يكتسب كل ذلك من خلال التربية .ونستطيع أن نرى الإنسان الذي يعيش في الغابة ليس عنده شيئ من العلم أكثر من جني الثمار. وإن وُلد إنسان لا يربّيه إنسان لا يستطيع أن يمتلك شيئا من مقوّمات الإنسانية،

[30] حول التربية والتعليم ، ص 20

"فالإنسان في كل الأحوال مدين إلى التربية الحسنة،وإذا لم يحصل الإنسان التربية الجيدة لا يستفيده شيئا من المعلومات ،ويفسر الأشياء تفسيرا خاطئا، ويصدر أحكاما لا يساندها علم ولا منطق ، والطفل الذي يعيش في جوّ من السماحة يتعلّم محبة الناس،والطفل الذي يعيش في جوّ من العداوة يتعلّم القتال"[31].

التعليم المستمر:

يكون التعلّم من خلال الخبرات والتجارب الحياتية، فالمراد بالتعليم المستمر هو الحيوية التي تستطيع بها الإنسان أن يعيش حتى الموت.

وسائل التعليم المستمر:

ا) المدرسة

ب) الجهود الذاتية

ج) القراءة المستمرّة

د)الحوار

إختيار المعلّم وإعداده:

تكون هذه الخطوة الأولى وأهم عمل في مسير طويل،فالمعلّم مطلوب بنقل المعلومات من كتاب إلى طالب، ولا نستطيع أن نطلب من الطلاب العمل الصالح إلاّ إذا كان المعلم متحلّيا بهذا الخلق الكريم.إنّ التدريس الجيد هو نتاج معلومات كثيرة وأسلوب ملائم في تأديتها ،وإنّ وظيفة المعلم هي "الكلام"، ولذا وهم أحوج الناس إلى تجديد بُعدهم الروحي.

---

[31] حول التربية والتعليم، صفحة 24

أخلاق المعلم:

المعلم الصالح كالمواطن الصالح،وهو إنسان صالح قبل كل شيئ،ولاختلاط الطلاب واحتكاكهم بأساتذتهم خارج قاعات الدرس أهمية كبيرة في تأثر الطلاب ونشر بهم لأخلاق أساتذتهم.إنّ المعلمين في المعاهد وكذلك الآباء والأمهات في البيوت يعملون ويشتغلون على جهاز واحد ويعملون من أجل تحقيق أهداف واحدة.فعمل المعلم اليوم مزيج من عمل الأب والقائد والناقد والمستشار والشارح.ليس الهدف من التعليم إعداد الأبناء ليكونوا أطباء أو باحثين ،بل علينا أن نعدّهم للحياة الطيبة، ولا تصل إليها بالحصول على كثير من العلوم والمعارف ، بل هي نتيجة لأعمال مستمرّة،تهدف إلى تعريف الطلاب بالفوارق بين الصواب والخطإ والحلال والحرام وغيرها.والمعلم كالجسر بين الأجيال،فعليه أن يجسّر بين الماضي والحاضر،وعليه أيضا أن يساعد الطلاب على تحديد أهدافهم.

دور المعلم في تربية الطلاب:

يعتبر المدرّس مربّيا وموجّها ومرشدا ومعلمّا لتنشئة الأجيال في آن واحد،وهم يعتبرون قدوة تؤثر تأثيرا إيجابيا وسلبيا في رجال الغد،ومن هذه المميزات ما يلي:

أ) ثقافة المعلم:

على المؤسسة التربوية أن يختار أعضائها من الأشخاص الحائزين على شهادات عالية ، مع سعة الاطلاع، وحدّة الذكاء ، وكامل الثقافة تربوية كانت أو مهنية.وكذلك على المؤسسة أيضا أن يجدّد معلومات أعضائها من حين إلى حين بعقد دورات قصيرة للتدريب.

ب) شخصية المعلم:

قد يكون المعلم قدوة للطلاب في جميع أفعالهم وأقوالهم ومعاملاتهم ، فعليه أن يكون قدوة صالحة لهم ،ولذلك يجب أن يكون حسنا في لباسه وتصرفاته وأقواله وأفعاله وأسلوبه وشخصيته وثقافته. فالطلاب يقلدونه في كل هذه الأمور.وقد

وصف الإمام الغزالي صفة المعلم وقال: "أن يكون المعلم عاملا بعلمه ، فلا يكذب في قوله وفعله حيث أنّ مثل المعلم المرشد من المسترشدين مثل الظل من العود ، فكيف يستقيم الظل والعود أعوج"[32].

ج) حب المعلّم لعمله:

وكل الصفات الكريمة والسامية والحميدة للمعلم تنعكسها على تلاميذه ، مثل حبه للعمل وصبره عند التعامل مع الأولاد ، والفهم لحالات نموّهم ، والإدراك لمادته ، ووسعة الاطلاع والتجدّد،وغير التشبّث برأيه كثيرا ،والمرونة في خططه التدريسية ، انعكس كل هذه على تلاميذه.

د) قدرته المعلم على الابتكار والتجديد:

الكفائة في المعلم هي أن يكون قادرا على التغيير والتجديد في خطته الدراسية ، هذا التجديد يؤدي إلى جلب انتباه التلاميذ ومشاركتهم ذهنيا ونفسيا معه في فهم المادة المطروحة عليهم من قِبله.

فمن استطاعة المدرس التغيير في الفصل بين حين وحين،مثل التغيير في نبرات صوته من حين إلى حين آخر،وتغيير أسلوبه في الشرح ،ومشاركته للتلاميذ،ووضع نقاط يلخص فيها الموضوع على السبورة،وكذلك تغيير مقاعد الطلاب وترتيبها بين فصل وآخر،إنّها يساعد لخلق جوّ جديد من المشاركة الوجدانية والنشاط للتلاميذ.

أسلوب التدريس:

التدريس فنّ إيصال المعلومات للطالب،وفي الحديث:إنّ من البيان لسحرا[33].وفي مجال التربوي هناك آراء مختلفة في أسلوب التدريس والحفظ

---

[32]: فلسفة التربية الإمام الغزالى

[33] أخرجه البخاري

والتلقين أم الفهم.وهناك ثلاث اتجاهات في هذا الأسلوب، الأوّل يزهد في أسلوب الحفظ والتلقين،والثاني :يعوّل على الحفظ أكثر،والثالث يهتمّ بالحفظ والفهم في آن واحد.[34]

الطالب يحفظ تعريف الفاعل ويعرف أنه مرفوع ويعرف المضاف إليه وأنه مجرور.ولكنه حين يتكلم أو يقرأ لا يصل إلى الصواب ، فيرفع المجرور ويجرّ المرفوع،والسبب في هذا هو قلّة التمارين وقلّة الإستخدام العملي للفصحى.الإنسان مع علوّ مكانه ومرتبته في المجتمع يكون بحاجة شديدة إلى التقدير والتشجيع،فعلى المعلّم أن يثنى ويمدح طلابه في أخلاقهم وأعمالهم الحسنة وإنجازاتهم.

المعلّم واستخدام العقاب:

يكون عند المعلّم الجيّد أفكار إيجابية عن طاقات طلاّبه،ويعرف عن أهداف التعليم وقيمته،والأساس في العملية التربوية هو الرّغبة وليس الخوف، فعلى المعلّم أن يرشد الطلاّب إلى ما يجب أن يعملوه،ولا يستطيع للمعلم أن يدرّس بدون استخدام أيّ نوع من العقاب فعليه أن يستخدمه حتى لا تهدم العلاقة بين المعلّم والطالب،ولا ينبغي له أن يستعملها في أوّل خطإ يقع من الطالب.ولا يصحّ ضرب الطالب على وجهه،ولا يضربه ضربا مؤذيا.

حقوق المعلّم:

إنّ مهنة التدريس من أشقّ المهن التي يعمل فيها الناس،وأنّ تحسين أوضاع التعليم والمعلمين أمر ضروريّ لأن نجعل حياة الأجيال القادمة أفضل. ويقول ابن خلدون عن انطفاء روح التجديد بعد القرن الرّابع الهجري،"ووقف التقليد في الأمصار عند هولاء الأربعة،مالك وأبي حنيفة والشافعي وأحمد.ودرس المقلدون لمن سواهم،وسدّ باب الخلاف وطرقه لما كثر تشعّب الاصطلاحات في العلوم.ولمّا عاق

[34] حول التربية والتعليم : ص: 185

عن الوصول إلى رتبة الإجتهاد،ولمّا خشي من إسناد ذلك إلى غير أهله ومن لا يوثق برأيه ولا بدينه، فصرّحوا بالعجز والإعواز وردّوا الناس إلى تقليد هؤلاء كل من اختصّ به من المقلّدين ،وحظروا أن يتداول تقليدهم لما فيه من التلاعب،ولم يبق إلّا نقل مذاهبهم ،وعمل كل مقلّد بمذهب من قلّده منهم بعد تصحيح الأصول،واتصال سندها بالرواية،لا محصول اليوم للفقه غير هذا ، ومدّعي الإجتهاد لهذا العهد مردود، منكوص على عقبه ،مهجور تقليده، وقد صار أهل الإسلام اليوم على تقليد هؤلاء الأربعة"[35] .

[35] مقدمة ابن خلدون 3:6

الفصل الثاني

أهداف التربية و أنواعها

إن هدف التربية الأساسي هو جعل الإنسان إنسانا كاملا يعيش في مجتمع ضمن الإطار الاجتماعي، ومن أهم أهداف التربية: تكوين وإعداد المواطن الصالح،وتأهيل الفرد دينيا ودنيويا، وتعليم الفرد وتدريبه على كيفية العمل وكسب الرزق، وتحقيق الكفاية الاجتماعية وتعليم الأفراد أصناف العلوم المختلفة،وبناء شخصية الفرد وتكوينها بشكل كامل ،وتدريب الأفراد على السلوكيات الجيدة والقواعد السليمة في الحياة.وبالعملية التربوية ينال الفرد حضارة الماضي ويستطيع له المشاركة في ممارسة حضارة الحاضر ويتهيئ للتطوير والإضافة والاختراع، وكذلك إنه يتقدم إلى حضارة المستقبل،هي راية تسلمها الجيل الحاضرمن الجيل الماضي وسيسلمها الجيل الحالي إلى الأجيال القادمة ،هي مؤسسة الثقافة التي عن طريقها يمكن تغيير عقول الأفراد وتجديدها .

وبتربية الأبناء تسعى المجتمع لتحقيق أهداف تربوية التي تنبثق من فلسفة التربية لذلك المجتمع. ولكي تحقق الأهداف التربوية تحتاج إلى وقت ، وهي تساعد في بناء شخصية الأجيال ، وتمنح لهم عناصر إيجابية للحياة مع مجتمعهم.ومن هذه الأهداف ما يلي:

ا) تحسين وتطوير طرق التدريس:

إنّ طرق التدريس في الوقت الحاضر تختلف تماما عما سبق،إنّ أفضل طريق للتدريس وهي أن يربط خبرات التلاميذ في الحياة والبيئة المجاورة بالخبرات التي سيتعلمها من بعد ، وإذا مهّد المعلم للتلاميذ عن الموضوع وبدأها بقصة قريبة للموضوع إنها تثير فيهم الاهتمام والتنبيه وتجعلهم ذلك أكثر شوقا لمعرفة موضوع القصة، وبعد ذلك يتدرج المعلم إلى الأهداف الخاصة للموضوع.

ومن أفضل طرق التدريس أيضا طريق الحوار بين المعلم والطلاب ،وطرح الأسئلة وتلقي الإجابات ومن بعدها يصحح المعلم الأخطاء ويثبت الصواب.ومنها أيضا "التعلم عن طريق المشروعات "، وكذلك أن ينقل التلميذ إلى الطبيعة بجسده وعقله واهتمامه واحساسه ليتعلم منها خبرات الآخرين ويشاهدها أمامه،ولكن ليس في كل الأوقات إمكانية لنقل الطلاب إلى خارج الفصل فيستعمل المعلم الصور والأفلام والشرائح والعينات والمعارض والأجهزة بدلا لذلك .

ب) تنمية التفاني في خدمة الوطن وحب الوطن في نفوس التلاميذ:

الوطن واحدة من المقومات الرئيسية للأمة،وكان حب الوطن من أهم أهداف التربية والتعليم، ويجب أن يحققه لدى التلاميذ ويعلمهم خدمة الوطن،والحفاظ على الوطن وأن يذوذ عنه في وجه المطامع والتحديات التي يتعرضها من قبل الأعداء والمستعمرين الظالمين.

ج) قضاء أوقات الفراغ والحلول:

لا تزال مشكلة الفراغ تشغل أفكار المهتمين بالمجتمعات، وبعض الأمم شاركوا جميع أفرادهم لكي يساعدوا في تنمية الاقتصاد الوطني واستغلال فراغهم في سبيل الخير ،خاصة من النساء في البيوت لأن يكون أوقات الفراغ أمرا مفيدا ونافعا للأفراد والجماعات على السواء،فصمّموا في البيوت مصانع صغيرة ،تقوم بها النساء،مثل صناعة الألعاب للأطفال ،وآلات الخياطة يعملن على حياكة الملابس ويدربنها، وصناعة الأواني والسلات وحقائب نسائية، وبعض الصناعات اليدوية الأخرى، هذه المصنوعات تجمع من قبل مؤسسات خاصة وتعبئها في صناديق ثم تشحنهاإلى الدول الأخرى للتجارة. فتزيد دخل الأفراد وتحسّن معيشتهم ، فبذلك تقوي البنية الاقتصادية للدولة.

وكذلك أنشأت الدولة الحدائق والمنتوهات والنوادي الرياضية لبناء الأجسام والتدريب على أنواع الرياضة المختلفة من ألعاب جسدية وروحية لترويح الأفراد في أوقات فراغهم.

د) تشجيع التلاميذ الانضمام للأنشطة واللجان:

المدرسة مجتمع مصغر قائم بذاته، يميل التلميذ إلى التعلّم عن طريق العمل والنشاط مع المربي ،و من طبعه التعلم عن طريق اللعب ،فنظمت المدارس لجان،وتقوم كل لجنة بجمع المعلومات والمواد التي تختص بها ،ثم تعرضها لجميع الطلاب بعرضها في قاعات العرض أو في اللوحات ليستفيدوا منها.

ومن هذه اللجان:

- اللجنة الثقافية
- اللجنة العلمية
- اللجنة الصحية
- اللجنة الرياضية
- اللجنة الأدبية
- اللجنة البيئية
- اللجنة الاجتماعية
- لجنة الأفلام

ه) المناقشة الهادفة وحب الاستماع وتنميتها لدى التلاميذ:

تهدف المناقشة أن يتعلم الحقائق وأن ينقل الخبرات للآخرين، ويجب على التلاميذ أن يستمعوها لتعمق المفاهيم وتتضح المصطلحات في الأذهان.

و) البرامج الملائمة للرغبات والميول والاهتمامات :

إنّ للرغبات والميول والاهتمامات لها أهمية كبرى في العملية التعليمية، فعلى المعلمين أن يأخذها بعين الإعتبار. فالطالب الذي يميل إلى الرسم مثلا ، فيستحسن على المعلم أن يجمع كل التلاميذ اللذين لهم هذا الميل إلى الرسم ويقدم لهم برامج مناسبة للإرشاد والمعاونة مثل : أنواع الخطوط، والظل ، ومزج الألوان، واللوحات وغيرها .

ز) تقديم برامج ملائمة لمعالجة مشكلة ضعف التلاميذ:

يوجد في كل المدارس تلاميذ ضعاف في مادّة معينة، مثل القرائة والكتابة والخط والإملاء والرياضيات والعلوم وفي اللغة وغيرها .ويكون ذلك لأسباب كثيرة منها:

- عدم وضوح الرؤيا أمام التلميذ
- عدم متابعة للموضوع
- عدم التدريب والتمرين والمثابرة
- عدم الإيضاح الكافي في الموضوع

فمن المستحسن على المدرسة التي تقوم بواجبها بطريق أفضل ،إدراج برامج مناسب من قبل الإدارة ، و هذه البرامج تعمل للتغلب على هذه المشكلة أو أن يقللها .

ح) تشجيع الطلاب للتعبير عن أنفسهم في مجال:

التعبير عن النفس هو المطلب لكل أفراد المدرسة،ويختلف ذلك من واحد إلى آخر،وهناك تلاميذ يميلون إلى الأدب مثل الشعر والقصة ،ومن يميلون إلى الرسم ، والموسيقي ، والخطابة وغيرها .فعلى المدرسة أن تشجع هذه المواهب وتبرزها في كل الأحيان.

ط) تشجيع التلاميذ على اكتساب المعارف:

تشجع المعاهد التعليمية تلاميذها على اكتساب المعارف الإنسانية، "وتعدّ القيم الأخلاقية أساس التعامل بين الناس ، وتعمق في قلوبهم القيم الروحية

والدينية،وتجعلهم أكثر وعيا في حل المشكلات التى تواجههنها في حياتهم اليومية ،وتجعل منهم أشخاصا قادرين على تثقيف أنفسهم ذاتيا"[36].

أهداف التربية ومبادئها بالنسبة للمجتمع:

1- الإيمان والتخلّق بالأخلاق الكريمة ،تأهيل الفرد دينيا وأخلاقيا:

علاقة المخلوق بالخالق ليست علاقة علم ،إنما هي علاقة عبودية ومحبة وجادّ وخوف. والهدف الأخير لكل الأمور هو الفوز برضوان الله،وإن أصل كل الخير هو الإيمان بالله تعالى ،فالتربية هي طريق لتحقيق هذا الهدف.

2- روح الكفاح والمثابرة:

يجب على الطفل أن يتعلّم في بدايات التعليم الإبتدائي لتحمل المشقات، وفي السنوات المتوسطة أن يتعلّم الإستمرار والإصرار، "وفي السنوات الأخيرة من التعليم الثانوي يتعلم أن لا يقف سلبا أمام المصاعب والعقبات وأن يجد الحلول متغلبا على ما يجد من مشكلات وألاّ يخاف الإخفاق بعد أن يبذل الجهد اللازم"[37]. العمل بمليئ القلب وتركيز العقل والفكر هو ما يحتاج إليه أطفال اليوم لأن يكون بدايتهم صحيحة.

3- الاستمساك بالحق ومقاومة الشرور

إنّ التربية تقوم من أجل إشاعة الإستمساك بالحق ووضع الباطل ،فعلينا أن نربّي أطفالنا على قبول الحق وإبداء الحماسة له والإنفعال به ، وتربية الأطفال على تحمل المسئولية عن الأعمال التي يقوم بها الطفل نوع من الإستمساك بالحق ، و هذا الخلق ينمو عند الطفل حينما يسمع الثناء على من قام به من أعمال الخير ، وحينما ينبه بالكفّ على الخطإ، ومن مهمة المسلم أن يتمسك بالحق أينما كان،وتقوم هذا الكون على الحق.

4- توسيع قاعدة الفهم:

---

[36] التربية المعاصرة قضايا وحلول : ص : 20-27

[37] حول التربية والتعليم، ص : 81

"الفرق الواضح بين إنسان وآخر يتمثل في مقدرته على الفهم و الإستفادة من تلك المعلومات على نحو جيّد. إنّ صاحب الفهم الصحيح يحاول دائما أن يجعل أفكاره متساوقة مع حجم البراهين المتوفرة لديه،فعلى مقدار صلابة المعلومات والبراهين تكون صلابة الأفكار ودرجة الوثوق بها"[38].

5- الشخصية العلمية:

"الشخص الذي يملك شخصية علمية ،يقف موقفا راشدا من التجديدات الحضارية،فيقبل ما يقبله عن بصيرة ويرفض ما برفضه عن هدى ووعي"[39]."إنّ تكوين الشخصية العلمية يتطلب أوّلاإلى الجوّ العلمي المملوء بالأرواح المتونية والعقول المتفتحة والبحوث العلمية الجادّة"[40].

6- صناعة الطموحات الكبيرة:

يستطيع للناس أن يصل إلى الأهداف العظيمة بطموحاته الكبيرة.فعلى المربي أن يولّد لدى الطفل حاسة جديدة ويتلمس من خلالها إمكاناته.ومع ذلك يكون هناك أشواك ضارّة التي تنمو مع الاحلام الجميلة مثل أشواك الأنانية والفردية، ونفسية الوصول عن أيّ طريق وبأيّ وسيلة.

7- العناية والإتقان:

التجويد في الأعمال وإتمامها على نحو متميز يتطلب نوعا من الإستقامة الفكرية والنفسية.

8- إعداد المواطن وتربيته على المفاهيم الصحيحة التي تساعده لمواجهة الحياة.

9- اللمسة الجمالية:

الأشياء الجميلة هي أشياء متفوّقة،وتميزت عن مثيلاتها وتجاوزت حدّها المألوفة وآفاقها المنتظرة.والجمال هو الحيوية التي تستطيع أن تتدخل بواستطها في كلّ الأشياء وفي الصبر والهجرالجمال مع أنّهما شاق معا.

---

[38] حول التربية والتعليم، ص : 86
[39] حول التربية والتعليم، ص : 95
[40] حول التربية والتعليم، ص : 97

10- لها هدف علمي في نقل المعارف والعلوم للطلاب العلم وإعداد المتعلمين.

وظائف التربية:

تتمثل الوظائف التربوية في نقل الأنماط السلوكية من المجتمع إلى الأفراد بحسب المجتمع والأفراد واختلافهم،ومن الوظائف التربوية :

- التربية عملية اكتساب اللغة:

المجتمعات تختلف بحسب قوتها الثقافية والعوامل المؤثرة فيها،وتختلف اللغات حسب المجتمعات والبيئات،وأنّ اللغة هي وسيلة اتصال بين الأفراد والجماعات.الطفل يتعلم اللغة التي تتكلمها مجتمعه من خلال مخالكته واحتكاكه بالآخرين، فللأسرة مساهمة كبيرة في اكتساب الطفل لغة مجتمعه،وبعد ذلك تؤثره أصدقائه ثم المدرسة بما فيها من زملائه والمعلمين والعاملين، وأخيرا تؤثره مجتمعه الذي يعيش فيه بما فيه من وسائل الإتصال المقروءة والمسموعة والمرئية.

والطفل يبدأ اكتساب اللغة في مرحلته الأولى من النموّ،أوّلا يلتقط الحروف ثم الكلمة ثم الجملة،إنّه يقلد الكبار ويحاكيهم،ويكون هناك أخطاء كثيرة أثناء محاولته للمحاكاة ،إنه يصيب ويخطئ كثيرا حتى يكتسب لغة مجتمعه.

- التربية عملية نقل للتراث الثقافي والحضاري:

تعمل التربية على ربط جيلين عن طرق الثقافة السائدة في المجتمع،الصغار بحاجة إلى ثقافة جيل الكبار وكذلك الأبناء بحاجة إلى ثقافة الآباء،والمتعلمون بحاجة إلى ثقافة المعلمين، فينقل التراث الثقافي من الأجيال السابقة إلى الأجيال اللاحقة.ولذلك تعدّ هذا من أهم وظائف التربية.

التربية تنقل التراث الحضاري من أمة إلى أمة ومن حضارة إلى حضارة أخرى ،ويكون ذلك من خلال الإختراعات والإبتكارات الحديثة والتقنية.فالتربية تعمل على نشر الأفكار والمفاهيم الجديدة.

- التربية عملية تكيف الفرد مع بيئته:

إنّ الطفل في حاجة شديدة إلى أن يتكيف ويتوافق مع زملائه وأصدقائه للإندماج معهم والإنتماء لجماعة واحدة ، ثم يكون الإندماج من الجماعة إلى المجتمع وبعد ذلك يكون الإندماج مع بيئته جميعا طوال حياته.

أنواع التربية:

تنقسم التربية إلى عدّة أقسام منها ما يلي :

قسّم روسو التربية إلى ثلاثة أنواع:

1)تربية الطبيعة: المقصود بها القانون الذي وضعه الله في الجسم للنموّ عن طريق التغذية.

2)تربية الأشياء: المراد بها ما يتعلمه الإنسان من التجارب مع المخلوقات الأخرى عدا الإنسان حيّة كانت أو ميّتة.

3)تربية الناس: مقصودها ما يعلّمه الناس لأطفالهم.

من أجل تربية الأبناء بالشكل الصحيح، تنقسم التربية إلى:

4)التربية الجسدية: اهتم الإسلام بإشباع الحاجات الجسمية للطفل مثل الحاجة إلى النوم، وتناول الطعام، واهتم أيضا بتلبية وسائل الترفيه من الألعاب التي تقوي الجسم، و كذلك أمر بتوعية الأبناء حول الصحة الجنسية وأن ينظم الميول بين الجنسين وأن يهذّبها، ومن أوجه التربية الجسدية الصحيحة للطفل مثل تعليمه غسل اليدين قبل الأكل وتنظيف الأسنان والتسمية قبل تناول الطعام.

5)التربية الإيمانية والأخلاقية: إنّ أساس التربية الإيمانية هي الأخلاق ،ارتبطت التربية الأخلاقية ارتباطا وثيقا بالتربية الإيمانية، والعقيدة هي مصدر الأخلاق، والأطفال بفطرتهم مستعدين لتقبيل العقيدة ولذلك لا بد من أن يبدأها بالحفظ، والفهم، والاعتقاد، واليقين والتصديق على الترتيب.

6)التربية الثقافية: هي النسيج الواصل بين الماضي والحاضر والمستقبل.

7)التربية الإسلامية: تشمل حياة الإنسان في الدنيا والآخرة.والأسرة تقوم بتربية الطفل وتوجيه سلوكه، واشباع حاجاته النفسية، فالشخص السليم هو الطفل الذي حصل في فترة طفولته على الحب والحنان والتقدير والأمان.

8)التربية النفسية:إنّ التربية النفسية لها ارتباط وثيق بعلاقة الوالدين معا وبعلاقتهم مع الطفل.

وقد قسّم بعض العلماء المختصين التربية إلى:

تربية مقصودة: وهي تتم وفقا لبرامج محددة التي تخضع لقوانين وشروط، ولتنفيذها معلمون ومختصون ، وفي نهايتها يحصل التلميذ على شهادة رسمية.

تربية غير مقصودة: وهي الأمور التي تساعد الأطفال على النمو والتطور مثل التصرفات والسلوكيات والعادات الاجتماعية .

التربية تستمرّ طوال حياة الإنسان،ولها أنواع خمسة من حيث طبيعته، وهي:

1) التربية بالملاحظة:المراد بها ملاحظته لأفراد المجتمع، "والمقصود بالتربية بالملاحظة ملاحقة الولد وملازمته في التكوين العقيدي والأخلاقي ومراقبته وملاحظته في الإعداد النفسي والإجتماعي والسؤال المستمر عن حاله ووضعه في تربيته الجسمية وتحصيله العلمي" [41] .ولا تتحوّل هذه الملاحقة إلى التجسس أبدا،وكذلك يجب أن لا يتضيّق على الولد ولا يرافقه في كل مكان وزمان،لأنّ الولد يحبّ أن تثق به وتعتمد عليه،والتسامح أحيانا من الضروريات في عملية التربوية لأنّ المحاسبة الشديدة لا يحبها أيّ ولد،ولها أيضا مضرّاتها ومشقاتها.

---

[41] كيف تربي ولدك ، ص : 45

2) التربية بالعادة:يجب أن تكون التربية بالعادة،وقال ابن مسعود(ر):"وعوّدوهم الخير،فإنّ الخير عادة"[42]وهي ليست في الشعائر التعبّدية فقط،بل في كل الأمور التي يتعلّق بالآداب وأنماط السلوك. وتكوين العادات يبدأ في سنّ مبكّرة ، والطفل يعاود على ما اعتاده من الأمور منذ الولادة،فعلى المربي أن يربي الأولاد على العبادات والعادات الحسنة وأن يدرّبهم ليواظبوا عليها بالترغيب والترهيب والقدوة وغيرها من الوسائل التربوية.

3) التربية بالإشارة:التربية بالإشارة مفيدة عندما يخطئ الطفل أمام بعض الضيوف أو في مجمع كبير،ونكفي في هذه الحالة نظرة غضب أو إشارة خفية باليد.ويستخدم هذا مع الطفل العاقل والأديب،ويدخل في هذه التربية كلام عن صنع طفل آخر في مثل هذا الخطإ،ويقول عنه إنّه فعل ذميم غير صحيح، فيفهم الطفل عن خطإه ويصحّحه بعد ذلك.

4) التربية بالموعظة: "الموعظة تكون على جانبين فالأوّل منها : بيان الحق وتعرية المنكر والثاني: إثارة الوجدان"[43]، والموعظة يحمل الطفل على عمل المرغوب فيه،وللموعظة أنواع كثيرة،ومنها :الموعظة بالقصة ،وهو أكثر الاساليب نجاحا، الموعظة بالحوار،الموعظة بضرب المثل الذي يعين على الفهم، الموعظة بالحدث.

5) التربية بالترغيب والترهيب:"الترغيب والترهيب من العوامل الاساسية لتنمية السلوك وتهذيب الأخلاق وتعزيز القيم الإجتماعية"[44]الترغيب يعلّمه عادات وثقافيات وسلوكيات تستمرّ معه.فابتسامة الرضا والقبول والثناء والضم والتقبيل كلها تساعد الطفل في تربيته

---

[42]، محمد نور سويد،منهج التربية النبوية ص 354

[43] كيف تربي ولدك، ص : 48

[44] أحمدغلي بديوي،الثواب والعقاب، ص: 61

الجيّدة.ويكون الترغيب خطوة أولى في التربية، ويجب أن تكون المكافأة دون وعد مسبق.

والترهيب أيضا يصحّح السلوك والأخلاق،ومن الترهيب نظرة الغضب والعتاب والهجر والحبس،والضرب هو آخر درجات الترهيب،إنّ الخطأ إذا حدث أوّل مرّة فلا يعاقب عليه، بل يعلمه ويفهمه،ويكون العقاب بعد الخطإ مباشرة ويجب أن يبين سببها،وإذا كان الخطأ ظاهرا فيجب أن يكون العقاب أيضا ظاهرا، ولا يجوز أن يعاقبه في حالة الغضب،وعلى المربي أن يبيّن للطفل أنّ هذا العقاب لمصلحته.

الفصل الثالث
التربية الإسلامية

التربية الإسلامية

التربية الإسلامية من أهمّ المهمات ومن أوجب الواجبات ،يتم فيها غرس أصول الدين وأساسيته وآدابه في عقل الطلاب وقلوبهم، وهي من إحدى العلوم التربوية ،تهدف إلى إعداد أجيال تتحلّى بالأخلاق الحميدة والقيم والمبادئ السامية، إنّها تسعى لتنظيم سلوكية الأفراد وإيجاد الكثير من الحلول للكثير من القضايا والمسائل المتعلقة بالتربية، ولها أهمية كبرى في تحسين الجيل وتزيينه وتجميله.

وهي "علم إعداد الإنسان المسلم لحياتي الدنيا والآخرة إعدادا كاملا من الناحية الصحية والعملية والروحية والعقلية والعلمية والاعتقادية والاخلاقية والاجتماعية والإبداعية والإرادية في جميع مراحل نموّه في ضوء المبادئ والقيم التي جاء بها الإسلام،وفي ضوء أساليب وطرق التربية التي بينها."

على كل مسلم أن يربي نفسه وأهل بيته تربية إسلامية، إنّها طريق إلى إصلاح المجتمع وإلى النجاة من النار.وتكون بها السعادة في الدنيا والآخرة.الدين الإسلامي ينظم جميع أمور المسلمين ،عندما يدرس التلميذ المعلومات في التربية الإسلامية من مدرس متمرّس إنّها ترسخ في عقله خاصة في دراسته الإبتدائية ،

العلم والتعليم في الإسلام:

الإسلام شجّع الحركة العلمية الدّينية لأن المعرفة الدّيني ونشرها احتاجت إلى وجود القارئين الكاتبين ،فكان من الطبيعي أن يشجّع النبي صلى الله عليه وسلم على تعلّم الكتابة وشنّ القرآن حربا على الأمية وحثّ على العلم والتعليم لأن المسلم الأمي غير قادر على أن يعرف دينه معرفة صحيحة، وأن يقوم بأداء شعائره على أتم وجه، وإن الآية الأولى التي نزلت على النبي (ص)هي:"اقرأ باسم ربك الذي

خلق"[45]وأوصى النبي (ص)كل مؤمن ذكرا أو أنثى بطلب العلم من المهد إلى اللحد، وجعل ذلك واجبا دينيا.

مبادئ التربية والتعليم في الأقطار الإسلامية

الأمّة الإسلامية هي أمّة خاصة بطبيعتها هي أمّة ذات مبدإ وعقيدة ورسالة ودعوة، ولذلك واجب على أن يكون تعليمها خاضعا لهذا المبدإ، والتعليم أداة لإنشاء الأجيال التي تؤمن بهذا المبدإ. فمهمّة التعليم في البلاد الإسلامية هي: إنشاء جيل جديد إنشاء فكريا خلقيا ممتازا. ويحتاج ذلك إلى كثير من النبوغ والابتكار وشيء كثير من التأليف والإنتاج وهذا التعليم يطلب منهاجا دراسيا خاصا، ويجب أن يفهم طلبتنا غايتهم ورسالتهم وليعرفوا أنهم يتعلمون ليستحقوا سعادة الدنيا والآخرة.

العلوم التي أنشأها الإسلام قد سرت فيها روح الإيمان بالله وخشية الله والتقوى والإيمان بالآخرة ،أما العلوم التي أنشأها ورتبها اليونان ، اشتملت على خرافاتهم وعلى روحهم الجاهلية ،وكذلك العلوم التي وضعها ودوّنتها أمم أوربا الملحدة ، والكتب التي ألفها أدبائها وفلاسفتها ،قد سرى فيها الإلحاد والجمود ، وبتعليم هذه الكتب فلا يستطيع أن ينشئ مسلما بروح الإسلامية الحقيقية وضميرها .فيجب أن تدون هذه العلوم تدوينا جديدا اسلاميا، وتؤلف فيها كتب مبتكرة، وتستخرج منها نتائج التي لا تعارض للدين ، وهذا يجب أن يفعل في الجغرافية والتاريخ،والعلوم الطبيعة ،فيكون كلاّ منها متصلا بالدين ومؤثرا في الدين.

علّم النبي صلعم أصحابه وربّاهم فأحسن تربيتهم حتّى وصلوا إلى أعلى قمّة التفوّق التربوي،إنّ الإنسان ولد على الفطرة كما قال صلعم: "كلّ مولود يولد على

[45] سورة العلق –الآية 1

الفطرة فأبواه يهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجّسانه"[46]،والمراد بذلك أنّ الإنسان يحتاج إلى من يرشده إلى الفضائل ويربيه، ويدلّه إلى طريق الجنّة.وتتمّ التّدريس من الأسرة والمدرسة والمسجد ومن التجربة النفسية أيضا.

الموادّ الدراسية الهامة في التربية الإسلامية :

ومن أصول التربية الإسلامية ومصادرها القرآن الكريم،وقد تأثر كثير من الصحابة واعتنقوا الإسلام بمجرّد استماع القرآن الكريم،والحديث الشريف وسيرة الصحابة وجهود العلماء المسلمين أيضا من أصول التربية الإسلامية، وأنّ الرسول صلعم أثنى على العلماء وبيّن ما لهم من الفضل والثواب،لأنهم يخرجون الناس من ظلمات الجهل إلى نور العلم.

ا) القرآن الكريم:

هو أقوى شيئ في تكوين العقول والنفوس والأخلاق، وهو الكتاب المعجز الذي أحدث الانقلاب في تاريخ البشر.

ب) السيرة النبوية:

وهي أجمل شيئ في الوجود،وهي التي تشق طريقها إلى القلوب بغير شفيع ولا وسيط،فيحب صاحب هذه الحياة ،ويحب الإسلام لأجله.

ج) تاريخ الصحابة:

والذي يحتل في المنزلة الثالثة هو تاريخ الخلفاء الراشدين والصحابة رضوان الله تعالى عليهم، تاريخ إيمانهم ومحنتهم وبلائهم، وتاريخ جهادهم وفتوحهم،وزهدهم في الدنيا .

---

[46] أخرجه البخاري ومسلم

أحوال المعلمين:

المعلم يجب أن يكون مؤمنا بالعقيدة الإسلامية ومبادئها ،وخالصا كل الإخلاص،ويدعو إليها بإيمان واخلاص ،ويكون حياته خير مثال لما يدعو إليه،وإذا لم يكن المعلم حسب هذا المنهج فهو مثل وجود لوحة نخرة في السفينة ،فقضية اختيار المعلمين ليست سهلة وبسيطة.

أهداف التربية الإسلامية:

- الهدف التعبّدي:

المنهج التربوي الإسلامي يهدف إلى تحقيق هدف هام في حياة الإنسان الدنيوية والأخروية،وهي العبادة لله وحده،لأنّه لا خالق ولا إله إلاّ هو وقال تعالى: "وما أمروا إلاّ ليعبدوا الله مخلصين له الدّين حنفاء"[47]،وبها يتحقق الأهداف الفردية والإجتماعية.إنّ الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان لعبادته، وقال تعالى أيضا:"وما خلقت الجنّ والإنس إلاّ ليعبدون"[48].ولكنّ بعض الناس غافلون عن هذه الغاية الكريمة وشغلوا بالملذّات العاجلةعن العبادات، وهم يعيشون في هذه الدنيا كأنما خلقوا لأن يتذوّقوا ملذّات الدنيا. وهناك أركان خمسة في الإسلام للعبادة،وهي مثلما قال صلعم: "بُني الإسلام على خمس:شهادة أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمدا عبده ورسوله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحجّ البيت وصوم رمضان"[49].وأنّ للعبادات كلّها تأثير عظيم في تقوية الإرادة البشرية على أداء المعروف واجتناب المنكر،ومع ذلك وهي تشتدّ العلاقة بين الإنسان وربّه ،وبين الإنسان وأخيه الإنسان.

---

[47] سورة البيّنة ، الآية 5
[48] سورة الذاريات، الآية 56
[49] أخرجه البخاري ومسلم

- الهدف العلمي:

العلم حلية للمسلم وعنوان سعادته والعلم الشرعي هو مفتاح الخير كلّه ،وبه يعرف الحق والباطل ويفرّق بينهما ،ويختار الأفضل منهما،وأفضل العلوم هو علم الدّين والإنسان محتاج إلى العلم في كلّ أحوال حياته،وحثّ الإسلام على طلب العلم بعدّة أوجه، وقد بيّن الإسلام أنّ العلم طريق إلى الجنّة،وقال صلعم:"من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهّل الله له به طريقا من طرق الجنّة"[50].ومنزلة العالم عند الله عظيم، والعلم حياة ونور والجهل موت وظلمة، وطلب العلم من أفضل الأعمال،فعلى كلّ مسلم أن يطلب العلم ما استطاع، وقال صلعم:"الحكمة ضالّة المؤمن ،يأخذها أنّى وجدها"[51].العلم للروح مثل الطعام للجسد،فالمسلم يطلب أفضل العلوم وأجلّها ولذلك يقرّبه إلى الله ويعينه على رضاه.

- الهدف الخلقي:

هناك أخلاق محمودة وأخلاق مذمومة في العالم،والعلم يساعد على تنمية الأخلاق المحمودة،ويمنع عن تنمية الأخلاق المذمومة، ويقول تعالى:وتعاونوا على البرّ والتقوى ولا تعاونواعلى الإثم والعدوان"[52].

- الهدف المهني:

إنّ الإسلام اهتمّ بالعمل اهتماما كبيرا،وبيّن أهمية العمل وحثّ عليه،فعلى العمل يبني اقتصاد المجتمعات ، وهناك مجالات كثيرة للعمل،منها الصناعي والزراعي والتجاري وغيرها، وهناك علاقة بين التعليم والعمل،وبالتعليم الجيّد يستطيع للإنسان أن يكتسب مهنة مناسبة جيدة،وقد شجع الإسلام الإنفاق على العيال

---

[50] رواه مسلم ،رياض الصالحين الحديث رقم 1381
[51] رواه الترمذي وابن ماجة
[52] سورة المائدة ، الآية 2

والصدقة،ولا يستطيع أن يفعل هذا كله إلا بالعمل الجيّد المناسب،وكذلك وقد رعى الأنبياء الغنم مثل موسى عليه السلام ونبينا محمد صلعم.

- الهدف العقلي:

التربية في الإسلام تهدف إلى تنمية القدرات العقلية والفكرية للفرد،إنّها تعزز قدرته على التعلم والتذكر والإستيعاب والتطبيق،العقل هو مصدر الوعي وبه يحاسب الإنسان على أعماله.

أهمية التربية الإسلامية:[53]

التربية الإسلامية تؤثر بشكل كبير على حياة الفرد والمجتمع في سلوكهم وتصرفاتهم في الحياة،ومن أهم أسباب أهمية التربية ما يلى:

ا) تعزيز القلم الإنسانية

ب) تنمية الوعي الديني

ج) تحسين السلوك الإجتماعي

د) تنمية العقل والتفكير

ه)تعزيز الثقة بالنفس

و) تحسين القرارات الحياتية

ز) تعزيز الروابط العائلية

ح) تحقيق السعادة والرضا النفسي

ط) تنمية العلاقة بالله

أساليب التربية الإسلامية:

---

[53] Quranteacheracademy.com

ومن الأساليب التي بها تتحقق التربية الإسلامية:

القدوة الحسنة : تعتبر هذه من أهم أساليب التربية الإسلامية، والمراد بها أن يكون المربي نموذجا حسنا للتلميذ في أخلاقه ومعاملاته.

الثواب والعقاب : الثواب هو ما يكافئ للطفل عند ما يقوم بعمل جيد أو عندما يعامل معاملة حسنة،والعقاب هو ما يعاقبه عندما يرتكب جريمة أو معاملة سيئة.

الحوار: وهو الإستماع إلى وجهة نظر الطفل وتشجيعه على التعبير عن آرائه.

المعرفة النظرية : هذه تشمل دراسة القرآن الكريم والسنة النبوية والعلوم الشرعية،وتحث على عدم الإعتماد على الافكار الخاطئة.

واجبات الأمهات نحو الأطفال قبل المدرسة:

الأم هي المدرسة الأولى للطفل،واتصالها بالأطفال يكون دائما أكثر من الأب،فعليها أن تربيهم تربية سليمة ، وأن تعتني على صحتهم وسلامتهم.ولذلك يجب عليها أن يراعي الأمور الآتية:

- المحافظة على نظافة الطفل وصحته.
- تقديم الأطعمة المفيدة والمغذية له.
- إبعاد الأطعمة الفاسدة والأدوية و المواد الكيميائية أو الأدوات الجارحة عن متناول يد الطفل.
- تأمين الحب والأمن له ،لأن الحب يعتبر أساسا للحياة السليمة وكذلك الأمن هو يهدأ من روع الطفل ويحس له بالإطمئنان.
- تعليم اللغة العربية للطفل بكلمات سهلة لكي يلبي حاجاته الضرورية.
- عدم التفضيل بين الأطفال ،وتحقيق العدل بينهم في الحب والمعاملات والرعاية.

- أن تبدأ الأم بوضع أساس الفضائل لدى الطفل ، مثل الصدق والأمانة والشجاعة والوفاء بالوعد واحترام الكبار والكرم والجود والعطف على الضعفاء وغيرها.

وهذه الفضائل تنشئ جيلا ساميا ذو تربية سليمة وعادات محمودة،لأنها تنبثق من روح عقيدتنا الإسلامية السمحة.

ويتم غرس هذه الفضائل بقراءة قصص الأطفال التي تتضمن هذه الفضائل، ولا نوكل تربيتهم لمن يجهلون عقيدتنا الحميدة لأن ذلك يسيئ لتربية الأبناء التربية الإسلامية الصحيحة.

الفضائل في التربية الإسلامية :

ا) الحث على العلم: التربية الإسلامية حثّت على العلم،ووضع القرآن مكانة عالية للعلماء والمتعلمين، وقال تعالى: "يَرْفَعُ اللهُ الذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ والّذِينَ أُوتُو العِلْمَ دَرَجَات ، وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِير"[54]

2) المساواة بين الناس: وفي التربية الإسلامية كل الناس سواء أمام الله، وأعظم ميزة في الإسلام هي المساواة ، لا فرق بين غني وفقير ، وبين حاكم ومحكوم،والقانون الإسلامي لا يستثنى من العقوبة الغني أو شيخ العشيرة. ، فأصل الناس كلهم من نفس واحدة ، وهم أبناء آدم وحواء ،لا فرق لأحد على الآخر إلا بالتقوى.

وقال تعالى: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِير" [55]

3) الرفق بالإنسان: ولقد كرم الله الإنسان ، وقال تعالى :"ولقد كرمنا بني آدم"[56]، ولذلك يجب الرفق به والاحسان إليه،ولا يجوز القتل بدون الحق .

---

[54] سورة المجادلة ، آية 11
[55] سورة الحجرات ، الآية 11
[56] سورة الإسراء ، الآية 70

4) العدالة الاجتماعية : الإسلام هو دين الحق والعدل والتراحم والتكافل بين فئات الإسلامية ومجتمعاته.

5) الحق والعدل: أساس العدل هو الحق، والعدل هو طريق إنصاف وترضى به النفوس السليمة،فنادى الإسلام بالحق والعدل الذي هو أساس العدالة الاجتماعية ، والقرآن هو دستور الحق والعدل ، المنزل من رب العالمين.

6) التراحم والتكافل: إنّ المجتمع الإسلامي مثل الجسد الواحد الذي إذا أصيب أي عضو في المجتمع الإسلامي بمصيبة فالمجتمع الذي يكفله يقدم له المساعدة،الفرد المسلم مكلف بالإنفاق على الأقارب والفقراء والمساكين، الزكاة أيضا يحقق هذا التكافل بين المجتمع الإسلامي.

ومن فضائل الإسلام التي يهدف بها التربية الإسلامية أيضا:

7) الأمانة

8) الصدق

9) الوفاء بالوعود

10) برّ الوالدين

11) أداء الشعائر أي الشهادتين والصلاة والزكاة والصوم والحج.

12) الرفق بكبار السن والعجزة

13) فعل الخير ومحاربة الشر

14) حق الجار

15) الشجاعة والإقدام

16) التسامح

17) صلة الرحم

18) العفو عند المقدرة

19) إماطة الأذى عن الطريق

آراء المسلمين في التربية ومبادئهم فيها:

"أدرك علماء المسلمين أن العلم وحده لا يكفي ليكون سلاح المعلم وعرفوا أن لا بد أن يضاف إلى العلم فن التربية ليتمكن المدرس من دراية نفسية الطفل والنزول إلى مستواه والاتصال العاطفي به ليكون ذلك جسرا يوصل خلاله العلم إلى عقل التلميذ"[57].

وتحدثوا عن علاقة البيت بالمدرسة وعن أهمية الدور التي يلعبه البيت في نجاح الطالب ، والطفل هو صورة عائلته فكل ما في الأسرة من خير أو شرّ وكل ما سمعه ورآه يتأثر فيه. فجهد الأمهات هو من أهم الأمور في تربية الأبناء. ومن ربى ماله ولم يرب ولده فقد ضيع ولده وثروته معا. وقد قال الزر نوجي: يحتاج في التعلم إلى جد ثلاثة: التلميذ والأستاذ والأب.

ومن حيث التوجيه التعليمي يتفق ابن سينا وابن خلدون في وجوب مراعاة ملكات الناشئ وميوله الفطرية ويكون ذلك بعد التحصيل الابتدائي، فالطالب لا بدّ أن يوجه إلى الآداب أو الرياضيات أو العلوم الطبيعية بحسب رغباته وميوله الفطري ولا يجوز قهر الناشئ على علم ليس له رغبة فيه.

آراء القابسي في التربية والتعليم:

هو أبو الحسن علي بن محمد بن خلف المعافري القيرواني ألف رسالة في التعليم وسماها "الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين" لقد تناولت موضوعات كثيرة ولها أهميتها في التربية والتعليم ، مثل معاملة الأطفال

---

[57] ابن خلدون

وتنظيم الأوقات وغيرها ، أما تعليم المرأة عند القابسي فهو واجب، ويرى فيه صلاح المرأة وحفظها ولكنه لا يقر بمبدئ التعليم المختلط.

اهتم أيضا بتنظيم أوقات الدراسة، ووقت الدراسة أسبوع كامل عند القابسي يبدأ بيوم السبت وينتهي بنهاية عصر الخميس، ويقول أيضا عن المناهج ويشترط في وجه المعلم شروطا كثيرة عند استعماله الضرب مثل أن يكون هادئا بعيدا من الغضب وألا يتولاه بنفسه وغيرها.

عناية اخوان الصفاء بالعلم وأهدافهم التربوية

اهتم اخوان الصفاء بالتربية العقلية اهتماما بالغا وأن العلم في رأيهم هو الغذاء للروح ولا يمكن للنفس أن تنمو نموا تاما وتتم حياتها من غير أن تأخذ نصيبها من الحكمة والمعرفة ويقررون هذا بقولهم :العلم والحكمة للنفس كتناول الطعام والشراب للجسد.

ابن سينا وآراءه في التربية والتعليم:

ابن سينا قسم المرحلة التعليمية إلى نوعين:

1-مرحلة عامة: وفي رأيه تكون بداية هذه المرحلة عندما يتهيأ الطفل جسميا وعقليا ونفسيا، وفيها يتعلم القراءة والكتابة والقرآن وضروريات الدين وأصول اللغة ثم قدرا من الشعر.

2-مرحلة التخصص: هذهالمرحلة تكون بعد مرحلة التعليم العام، والغاية فيها الإعداد المهني فهي إذن غاية حيوية عملية لذلك لا تكفي في هذا المجال الرغبة وحدها بل لا بد من الاستعداد الملائم.

ويقول في صفات المعلم أنه لا بد أن يكون متصفا بالرقة من غير ضعف والحزم بلا قسوة وأن يتحلى بحسن المظهر وطيب المخبر وكيّسا خبيرا بآداب

السلوك وفنون المعاملة في المناسبات المختلفة و المواقف المتباينة ليكون موجها صالحا ومربيا ناجحا.

المنهج التربوي عند أبي الحسن علي الندوي:

دعا أبو الحسن علي الحسن الندوي لقيام نظام تعليمي يراعي فيه قيم المجتمع الإسلامي وإيجاد مناهج تعليمي يلبي حاجاته الفكرية والقيمية ،وقد عمل أبو الحسن على إصلاح المناهج والمقررات الدراسية الإسلامية والرقي بها ورفع مستواها وتطويرها حسب مقتضيات العصر من خلال تأسيس المعمل التربوي الحي هو "دار العلوم التابعة لندوة العلماء" إنه طبق فيه كل نظرياته التربوية والتعليمية وكذلك مارس فيه أفكاره. إنه نقد النظام التعليم الغربي وفلسفته ووضع مجموعة من المقررات الدراسية لمادة التربية الإسلامية واللغة العربية وراعى فيها الأساس النفسي للطالب ومن ذلك:

1)المرحلة الابتدائية: قرر "القراءة الراشدة "و"قصص النبيين "للأطفال و"قصص من التاريخ الإسلامي

2)المرحلة المتوسطة: مقرر "سيرة خاتم النبيين"

3)المرحلة المتقدمة: مقرر "إذا هبت روح الإيمان"

4)المرحلة العليا: مقرر" مختارات من أدب العرب وإسلاميات"

الآراء التربوية عند الإمام الغزالي

كان الإمام الغزالي مفكرا وفيلسوفا ومتصوفا،ومن صفاته أنه كان شديد التواضع والجهد والمجاهدة، قدم الغزالي معظم آرائه التربوية في كتابه إحياء علوم الدين، فتحدث عن العلم ومكانةالعلم وأنواع العلوم وحكم الدين فيها وبين أهمية الأساليب الصحيحة السليمة في تنشئة الصغار وذكر أن تدريبهم فن له خطره، وإنه وضع الغاية التي ينبغي أن يعمل لتحقيقها عن طريق طلب العلم والمعرفة.

قسم الإمام الغزالي التربوية إلى أنواع منها:

1-الخلقي

2-العقلي

2- الجسمي

مبادئ التربوية للإمام الغزالي عن تعليم الصبيان:

1- البدء بالتعليم في الصغر
2- مراعاة طبيعة الصبي
3- التدرج في التعليم
4- ضرورة الترويح واللعب في تربية الولد

ويرى أن العمل التعليمي هو أشرف المهن وأكرمها شأنا وللمعلم منزلة عالية ،ولا شكّ في أنّ الإنسان هو أشرف المخلوق ،وأنّ أشرف شيئ في الإنسان هو قلبه،ويشتغل المعلّم بتربية القلب وتطهيره وتقريبه إلى الله عزّ وجلّ، يرى المعلم أن يعطف على تلاميذه ويرعاهم حق الرعاية وأن يبذل أقصى جهده في سبيل حسن توجيههم وأن يحث على إصلاح من يخطئ من طلابه بأسلوب مهذّب لا يسبب جرحا ولا تنشأ عنه مفسدة، ويرى أن المعلم سوف يكون قدوة الطالب لذلك يجب أن تكون هذه القدوة صالحة.يقول الإمام الغزالي في فطرة الطفل: "والصبي أمانة عند والديه، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية من كل نقش وصورة ،وهو قابل لكل ما ينقش عليه وائل إلى كل ما يحال إليه"[58].

علماء آخرون الذين اشتغلوا بالتربية والتعليم:

1-ابن مسكويه

---

[58] إحياء علوم الدين ، الجزء الثالث ،ص 66-67

2-الزرنوجي

3-ابن عبد البر

4-ابن خلدون

تربية البنات

الإسلام هو دين العلم،إنه رفع من قدر العلم،إن أول ما نزل من القرآن على نبينا محمد صلعم هو قوله تعالى : "اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق،إقرأ وربك الأكرم، الذي علم بالقلم،علم الإنسان ما لم يعلم"[59].يزيد العلم بالقراءة ، وكذلك ذكر في القرآن بأداة من أدوات العلم ، وذلك في قوله تعالى: "ن، والقلم والقلم وما يسطرون"[60].وكذلك أن الله حصر الخشية منه على العلماء فقال: "إنما يخشى الله من عباده العلماء"[61]. وكذلك وقد وردت أحاديث كثيرة تبين فضيلة العلم،ولما جاء الإسلام اعتنى بالمرأة عناية فائقة وحررها من قيود الجاهلية ،وسوّى الإسلام بين الرجل والمرأة في جميع الحقوق المدنية.

جعل الإسلام تعليم المرأة فريضة وضرورة،عن أنس بن مالك قال:"طلب العلم فريضة على كل مسلم". فتعليم المرأة لا تقلّ أهمية عن تعليم الرجل. وجهل المرأة يؤدّي إلى شقاء الأمة، فإذا كانت المرأة جاهلة ينشأ الطفل جاهلا أيضا،وإذا كانت الأم متعلمة تغرس العلم في طفلها أيضا، تعلّمت المرأة العربية علوما كثيرة في الإسلام، منها العلوم الدينيّة مثل عائشة (ر) ،ودراسة الأدب مثل زوجة الفرزدق ورابعة العدوية، والموسيقي مثل جميلة مولاة بني سليم التي كانت أصلا من أصول الغناء،والطبّ مثل زينب طبيبة بني أود وكانت خبيرة بالعلاج ومداواة آلام العين والجراحات، وشئون الحرب ، وفي موقعة أحد قامت نسيبة زوجة زين بن عاصم

---

[59] سورة العلق
[60] سورة القلم
[61] سورة الفاطر

بدور هام وجرّحت بسيفها أحد عشر محاربا، والمرأة هي أول ملقن للطفل دروس الحياة ، قال حافظ ابراهيم عن تعليم المرأة:

"الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعبا طيب الأعراق

الأم روض إن تعهده الحيا بالريّ أورق أيما إيراق

الأم أستاذ الأساتذة الألى شغلت مآثرهم مدى الآفاق

ربّوا البنات على الفضيلة أنّها في المرفقين لهنّ خير وثاق"[62].

وقد برز العديد من الصحابيات في مجال العلم والمعرفة وكذلك ظهر العديد من التابعيات في مجال العلم والمعرفة،عرفت المسلمات الأوائل أهمية التعليم وفضله،وكنّ يتنافسن في العلم.وكان الرسول صلعم يشجعهنّ على ذلك.ويسمح لهنّ بحضور مجالس العلم.

"وأما في تربية البنات فهو جزء من المشادة بين تربية البنت لتكون سيدة وبين الرغبة في اعدادها لكسب عيشها ،لكن شكل التربية كلها قد التوى فيما يتعلق بالنساء وأعوج بسبب الرغبة في المساواة بالرجال.فقد كانت منهن محاولة لتحصل البنات على نفس التربية التي ينقلها البنون حتى ما لم يكن طيبا في حد ذاته.وكانت نتيجة ذلك أن قصد المشتغلات بالتربية إلى إعطاء تلميذاتهن معلومات (عديمة النفع) كالتي تعطى لنظرائهن من البنين،وخاصمن الرأي القائل بأن جزء من تربية الأنثى ينبغي أن يكون اعدادها فتيا للأمومة."[63]

وفي الإسلام كانت المرأة قد شاركت في إنشاء المعاهد التعليمية الإسلامية أمثال فاطمة الفهري وقامت بتأسيس جامعة القروين عام 859م، وكتب ابن عساكر : المرأة يجب أن تدرس ،وأن تحصل على إجازة ،وأن تتأهل كباحثة ومعلمة.

---

[62] حافظ إبراهيم

[63] برتراند رسل، في التربية

اليوم هناك فرص كثيرة للبنات للتعليم أكثر مما أتيحت لأمّهاتهنّ،وكذلك يشاركن بنصيبهنّ في إثراء الأسرة مثل البنين.

الفصل الرابع

التربية والتعليم عبر العصور

التربية على مر العصور

اختلفت أشكال التربية من عصر إلى عصر ومن أمة إلى أمة،وذلك حسب إختلاف العقائد والأفكار والظروف التي تعيش فيها المجتمع،يقول الدكتور علي جريشة: "إن الإنسان البدائي عرف التربية على النحو البدائي الذي عاشه من البساطة،فهي بسيطة في ذاتها وتخلو من التعقيد ففي علوها تعلم الناشئ طريقة النطق والأكل والمشي والاسترزاق والصيد،فأسلوب حياته يمتاز بالبساطة في الوسائل والغايات والأهداف التي يسعى لبلوغها ،وكانت مدرسته التي يتلقى تعليمه منها تمثل في البيت أولا ،ثم الطبيعة ثانيا،ثم في مجتمعه الذي يتمثل بقبيلته ثالثا"[64]

وتطورت التربية إلى عدة التحولات ، من أهمها التحولات التي بدأت بالأسرة.وبعد ذلك إلى المرحلة المتخصصة، ثم التحولات التي وقعت من التعلم الصغير إلى التعليم الكبير والجماهير،ثم تحولت إلى عقل الإنسان وهو الذي يفكر ويتعلم من الحياة التي يعيش فيها . والهدف الأساسي من التربية عندهم أن يقلد الناشئ عادات المجتمع والتقاليد تقليدا خالصا يتماشى مع طراز حياتهم.

البحث التربوي يعتبر من الموضوعات المهمة التي إهتمها الدارسون قديما وحديثا . النتائج الحضارية المحصلة من مجتمع تعود إلى التربية والتعليم . وقضية الإصلاح التربوي من إحدى القضايا المطروحة على كافة المكان العالمية والإقليمية والمحلية.

---

[64] نحو نظرية للتربية الاسلامية،علي جريشة ،ص 12

مرت التربية عبر التاريخ الإنساني بأطوار ومراحل كثيرة ومختلفة .التربية قديمة مثل وجود الإنسان نفسه على الأرض ،ففي البداية لم تكن هناك مدارس على الإطلاق، فكان الأطفال يتعلمون من خلال خبرات القبلية مثل أساليب الصيد والرعي والعقائد الدينية وأنماط العبادة السائدة وكذلك الخبرات القتالية والدفاع عن النفس وحفظ البقاء.

الخبرات التربوية كانت عملية واقعية وتنقلها شفويا من المربين إلى الأولاد وعبر الأجيال المتلاحقة حتى أن تخترعت الكتابة ، فابتدأ تدوين تلك الخبرات، وبدأت عمليات التدوين والتطوير والتحسين تجري حسب الأساليب والوسائل التربوية وحسب تطور المجتمعات وأساليب عيش الأفراد وأنماط الحياة إلى أن ظهرت المدارس والمؤسسات التربوية المتخصصة .

التربية هي عملية مستمرة ، يحصل الإنسان العلوم من خارج المدرسة ، وذلك من المحيط الذي يعيش فيه ، من خلال الصحافة والراديو والتلفاز والإنترنت والتجارب اليومية فيتعلم الولد من محيطه أشياء كثيرة ، فهو يربيه ويتغير الشخص حسب الطبيعة،ويعني هذا أن التربية تمتد على طول حياة الشخص.

زمان أفكاره وآراءه وفلسفته، وأن الإنسان لا يمكن أن يعيش زمنا جديدا بأفكار قديمة ،ولا يمكن أن يدخل إلى مجتمع جديد بلغة غير معروفة لمجتمعه، وكذلك لا يمكن أن يسير ببطئ في وقت كسرت فيه ثورة المعلومات حدود المكان والزمان . ومن أهداف التربية العليا هو بناء انسان جديد من خلال القيم الإنسانية الجديدة،وليست للتربية قيمة إن لم تنشأ إنسانا مؤمنا الذي يؤمن بالقيم الإنسانية خلال الإيمان بذاته وبثقافته ومن خلال الإيمان برسالة الإنسان على الأرض.

التراث التربوي والثقافي لا يصل من جيل إلى جيل بالوراثة ،وإنما يكتبها الفرد من البيئة الإجتماعية الذي يعيش فيه خلال عملية التربية والتعليم.وفي الطفولة

يحتاج الطفل إلى التربية والرعاية ليتمكن له التعايش مع بيئته .لا يمكن أن يتحقق الإرتقاء بالتراث وتنقيته من الشوائب ومواكبته لتطور العلوم والمعرفة بدون التربية وتطوير أدواتها ووسائلها ،وتظهر الحاجة إلى تحسين المستوى الإقتصادي والصحي للمجتمع والفرد بأهمية التربية وضرورتها ، وهي عمل مهم في اجماع قواعد العمل الجماعي واحترام الآخرين، وبذلك التعليم يقوي شخصية الفرد وتساعد في إحداث الحراك الإجتماعي داخل المجتمع وبين أفراده.وكذلك هي عمل مهم في التنمية الإقتصادية والإجتماعية للشعوب.

التربية في العصور القديمة:

تميزت التربية في العصور القديمة بالتقليد والمحاكاة،وكان جوهرها التدريج الآلي والتدريجي والمرحلي،وكان الناشئ يقلد عادات مجتمعه وطراز حياته تقليديا عبوديا خالصا ،فلم تكن هناك مدرسة أو مؤسسة تقوم بنقل التراث ،وتتميز العملية التربوية بالتوزيع،يشارك فيها كل أعضاء الأسرة،وكانت أيضا متدرجة تبدأ من مرحلة الأكل ثم الرعي ثم الفروسية فالحرب إلى أن تصل إلى مرحلة الشيخوخة[65].التربية لدى الأقوام البدائية ثلاثة أقسام وهي:الجسدية ،والفكرية و الخلقية أوالروحية

1- التربية الجسدية

الأقوام البدائية وهم يتركون لأطفالهم مجالا واسعا من الحرّية،والاطفال يفيدون ذلك،ويشاركون في الألعاب المختلفة ومع ذلك أنّهم يقلّدون أعمال الكباروبتدرّبون عليها منذ الطفولة،وأنّ هذه الألعاب المسلية تعدّهم للحياة الفعلية،وتساعد على تكوينهم الفكري،وعلى مواجهة تحدّيات الحياة في المستقبل.

---

[65] Aladdin.7olm.org الدكتور أبو علاء الدين 2

2- التربية الفكرية:

إنّ هدف هذه التربية هو أن يجعل الطفل قادرا على تلبية حاجاته وحاجات أسرته،فالطفل يبدأ فيه هذا التكوين الفكري العملي مبكّرا،وإنّه يكون جزء من قبيلته في هذه العملية ، فيدرّب الأعمال الزّراعية والتجارية والصيد وغيرها من الأعمال موافقا لأعمال قبيلته،وكذلك كانت الأقوام البدائية شديدة الذاكرة والخيال والتفكير،ولهم قوّة حادّة في البصر والسمع.

3- التربية الخلقية:

الناس في الاقوام البدائية كانوا يمارسون حياة شاقة وعادات غريبة مثل ترك الطعام لمدّة عشرة أيّام،والغزلة عن مجتمعهم، والصيام والحرمان من بعض الأطعمة المحبّة وغيرها ،وينقلون تقاليدهم وعاداتهم ولا سيّما عند مراحل الحياة الأساسية كالولادة والبلوغ والزواج والموت.

التربية الهندية:

كانت التربية الهندية تخضع لمدى إخلاص الفرد لنظام الطبقات،والفرد عندهم هو معدوم الشخصية الذاتية ومسلوب الحرية ،وكان مكانه في المجتمع يحدّد بالوراثة أو الولادة، وعلى الفرد أن يقلّد رجل الدين الهندي المتمثل في الكاهن، إنّ الدّيانة الهندية لا تقرر خلود الروح، بل تقول بتناسخ الأرواح وتؤمن بالتقمّص ، وقال بوذا: "إنّ سبب الشرّ هو الأهواء البشرية،فما على الإنسان إذا أراد الوصول إلى الطمأنينة الروحية إلاّ أن يتخلّي عن ذاته ويفنى عن شخصه." المجتمع الهندي يقوم على نظام الطبقات والتميز العنصري،ويتكوّنون من البراهمة والشاترية والويشية والشودرية والباريا أو البنشامية،والبراهمة وهم أعلى طبقة وهم رجال الدين ويحكمون في جميع أمور الحياة،والشاترية ولهم شئون الحكومة والجيش والحرب،أما الويشية لهم شئون التجارة والمهن والزراعة،والشودرية يمثلون معظم السكان الاصليين،ويعلمون كعمال وخدم للطبقات الثلاث السابقة، والباريا وهم

طبقة المنبوذين،ليس لهم عمل إلا السرقة والنهب والسلب ويرتزقون منها،وكان لمس المنبوذين نجاسة ويجب التطهر منهم، سيطر على التربية والتعليم رجال الدّين من البراهمان زطانت متوفرة لعدد قليل من الهنود وحفظوا أسرار النصوص المقدّسة وسمحوا التعلم للطبقة الثانية والثالثة والرابعة فيما بعد وحرّموا التعليم على المنبوذين.

وكان في كل قرية مدرسة ومعلم،يذهب التلاميذ إلى المدرسة في سن الخامسة إلى الثامنة. وبعد ذلك ينتقل إلى أحد رجال الدّين ويتعلم منه ويخدمه حتى العشرين،ويستطيع لأبناء الطبقة البراهمان والشاترية أن يتركوا معلمهم في سن السادسة عشر لأن ينتقلوا إلى إحدى الجامعات.ومنها يتعلمون العلوم والقانون والرياضيات والفلسفة والشعر والطب وعلوم الدّين.

لا نعرف شيئا واضحا عن أنواع النظم التربوية التي كانت يمارسها الهنود ."وكل ما نعلمه أنّ البرهمانيين أو الكهان كانوا القائمين وحدهم على أمور التربية ،أمّا المرأة، التي كانت مرتبطة بالرجل ارتباطا مطلقا ،فقد كانت محرومة من أية ثقافة ، أما الفتيان ،فيبدو أنه وجدت لهم مدارس ابتدائية في كلّ العصور،وكانت هذه المدارس تقوم في قلب الريف،تحت ظلّ الأشجار أو تحت ظلّ الاروقة في أيّام المطر،وكانت التمارين على الكتابة تجري في العهود الأولى بالخط على الرمل بوساطة القضبان،ثمّ على سعاف النخل بوساطة قضبان من الحديد وأخيرا على أوراق البلاتان اليابسة بوساطة المداد.وكانت النظم تبيح العقاب الجسدي وكان المعلمون يستخدمون -عدا العصا – بعض الوسائل الأخرى المبتكرة- كأن يصبوا الماء البارد على المتعلّم.أما الدراسات العالية فكانت وقفا على طبقة الكهان الذين كانوا يدرسون،قبل العصر المسيحي بكثير،الخطابة والفلك والمنطق والرياضيات"[66].

[66] التربية عبر التاريخ ص: 27-28

التربية لدى الفرس:

كانت التربية والتعليم في الحضارة الفارسية تبدأ في الأسرة ،ويكون للأب في الأسرة الفارسية سلطة مطلقة، وهو السيد المحترم وعليه أن يدرّب أولاده على الأخلاق الكريمة مثل الطاعة والعدل والشجاعة والتعلق بالشرف والإعتدال والأعمال الخير.ويخبرنا"هيرودوت" على أنّ الفرس كانوا يعلّمون أبنائهم ركوب الخيل ،ورمي السهام ،وقول الحق.وكان تعليم النظامي يبدأ في سنّ السابعة ،أنّ أبناء النبلاء والأغنياء كانوا يتلقون في البلاط تربية حسنة يقدّمها لهم جماعة من الناس وكانوا رفيعو الشأن ذوو خلق عظيم ، وفي مجال التربية البدنية كان فيها الجري والمبارزة ورمي السهام ورمي الرمح ،وبين الخامسة عشرة والخامسة والعشرين كانت تتم التربية العسكرية ،وبين الخامسة يدخل الفرس في الجندية ،ويشاركون في الغزوات والحروب،وفي الخمسين من العمر يكونون من أفاضل الناس ، وأعلمهم يكون معلمين.وكانت السحرة هم المعلمون المكرمون ،ويجلّ الفرس معلميهم ويضعونهم بعد موتهم في مصاف القديسين،ووقت الدراسة يبدأ مبكّرا ،وينهض الطلاب من النوح عند سماع صياح الديك في الصباح،وكانوا يجتمعون منذ الفجر عند الساحة العامة وكأنما هم يستعدّون لحمل السلاح أو الذّهاب إلى الصيد، ثم ينقسمون إلى فرق عدّة يتضمن كل منها على خمسة عشر شابا، ويسيرون سيرا طويلا تحت إشراف معلميهم،وبعد ذلك تكون التمرينات الفكرية لتتخلل التمرينات العسكرية.

ومنهاج الدراسة لم يكن واحدا للجميع،والمحاربون يكون منهاجهم الدّين والقراءة والكتابة والتربية البدنية،والسحرة يكون منهاجهم أوسع يشتمل على الدّين والتاريخ والرياضيات والفلك والتنجيم[67] .وكان نظام التربوي لدى الفرس سيطرة دولية ولم يكن للأسرة حق في تربية أبناءهم ،واستولّت التربية البدنية على التربية

[67] التربية عبر التاريخ، ص:39-42

الفكرية ولكن فارس استطاعت أن تنجب كثيرا من الكتاب الشعراءالكبار على مرّ العصور،ومع ذلك استطاعت أن تكون لها قوة عسكرية مشهورة.

التربية الصينية:

نشأت حضارة الصين قبل حوالي أربعة آلاف سنة على ضفاف نهري الأزرق والأصفر، وتعتبر الصين من الدول المتشدّدة في المحافظة على القيم والتقاليد،فالتراث لديهم مقدّس ولا يتغيّر ،وامتاز الشعب الصيني بخضوعه التام للتقاليد وجزئياتها ،واستمروا لفترة طويلة على الخضوع للماضي .[68] التربية في العصور القديمة كانت تختلف باختلاف الحضارات،كانت التربية الصينية النموذج الواضح للتربية الشرقية ،وتتصف بروح المحافظة،وتهدف إلى التجمع في الفرد حياة الماضي وتدعيم القيم الأخلاقية واعداد القادة لتولي شئون الحكم ، يبدأ التلميذ حياته المدرسية من سن الخامسة أو السابعة، والإمتحانات لدى أبناء الصين هي المعيار للوظيفة الحكومية،والناجح فيها يكون محترما عند الشعب ويكون له لباس خاص وأوسمة خاصة،وله الصدارة في الأعياد والحفلات والمواسم .

كانت التربية في الحضارة الصينية تتلخص في جملة من العادات والتقاليد وأعمال الحياة."وتمتاز بأنه يجب على الفرد أن يقوم بواجبه في جميع أعمال الحياة"[69].ولم تتوفر هناك مدارس حكومية،التي تجري تحت إشراف الحكومة وإنفاقها،بل شاعت هناك المدارس الخاصة وتكون غالبا حجرة واحدة أو كوخ صغير يكون فيها معلم واحد فقط بدلا من أجرة تافهة يأخذها من آباء التلاميذ ،ولم يكن هناك من التلاميذ إلا أبناء القادرين ،وليس هناك مدارس للبنات ،ولم يكن هناك مجال للدراسة بعد سن الخامسة عشرة،والأطفال كانوا يأتون مع طلوع الشمس

[68] rihab.yoo7.com

[69] عمر البدري academia.edu

ويدرسون حتى المغيب ولهم فترات للراحة ويتناولون فيها طعامهم ، ويتعلمون منه القراءة والكتابة وغيرها من العلوم.

كانت طريقتهم في التعليم الحفظ والإستظهار عن ظهر القلب، وكانت الغاية من التربية هي تعريف الفرد على صراط الواجب.وخدمة النظام القائم والحصول على الوظائف العليا كانت للتربية الصينية التقليدية شبه كبير من بعض النواحي بنظيرتها في أثينا.كانت الصبية الاثينيون يحفظون "هومر" عن ظهر قلب من أوله إلى آخره .وكذلك كانت الصبية الصينيون يحفظون على "مأثورات الكنفوشية" بنفس العناية والدقة.

التربية المصرية:

كانت المدرسة في مصر القديمة تسمّى ب "بيت التعليم" وفي المدن الكبرى ب"المدارس الإبتدائية العليا"وفيها يتعلّم كتابة الحروف والرسم والمحاسبة والإنشاء الأدبي والجغرافيا العلمية ، والإنتقال من المدرسة الأوّلية إلى المدرسة العليا يكون بعد الإمتحان .وتربية الأطفال فضيلة عامة في مصر،"كانت التربية في الحضارة المصرية الفرعونية تتلخص في المعرفة وطريقة البلوغ للمجد والثورة واحترام عمل التدريس الذي هو من أفضل المهن، والنظام التربوي في الحضارة الفرعونية كان يعقد في المعابد"[70].كان "لا بد للمصري أن يتقدم خطوات أبعد من الإجراءات التربوية البسيطة التي كانت موجودة في مجتمعات أقل في المستوى الحضاري، ولتعقد الحياة المصرية القديمة فلم يكن من المستطاع أن يكتسب الفرد الخبرات اللازمة لخلقه عضوا في المجتمع من مجرد عمليات تقليد الكبار،ولهذا كان تعليما ونظاما مدرسيا معينا لا بد من وجوده وفتحت المدارس ومعاهد علمية،طرق أبوابها التلاميذ ليكتسبوا الخبرات الثقافية"[71] . وكان إعداد

---

[70] Academia.eduعمر البدري

[71] الدكتور أبو علاء الدينAladdin.7olm.org

الموظفين وإعداد الطالب للحياة الآخرة والإستقامة الخلقية من أهمّ أهداف التربية في مصر القديمة.

وتبدأ التربية من سنّ الرابعة وتنتهي هذه المرحلة في سنّ العاشرة ،وكان التعليم فيها أرستقراطيا يقتصر على أبناء الطبقة الحاكمة من ملوك وأمراء ووزراء وعلى أبناء كبار الكتاب والكهنة،أما أبناء بقية الشعب فكانوا يتلقون تعليما مهنيا عن طريق التلمذة المهنية على يد آبائهم أو من يقوموا مقامهم عن طريق الخبرة المباشرة في كل عنصر من عناصر الثقافة لإعدادهم للحياة،وكانوا يتعلمون بعض مبادئ القراءة والكتابة لمن تظهر علامات نبوغه وتفوقه في بداية التعليم.[72]والمرحلة الثانية تبدأ من سنّ العاشرة وتستمرّ لمدّة خمس سنوات،ويتعلّم التلميذ في هذه المرحلة أسلوب الكتابة الأدبية ،وهذه المرحلة تهدف إلى خلق عادات النظام والصبر ومع ذلك تهدف إلى إتقان المهارات المختلفة.وتعرف المرحلة الثالثة بالتعليم العالي،وكان تعليما عمليا مهنيا،ويعدّ الشباب للمهن المختلفة،وكان الطالب يدرس فيها علوما كثيرة مثل الطب والهندسة والحساب والمقاييس وعلم الفلك والجغرافيا وغيرها من العلوم المختلفة،وكان هذا التعليم عمليا بصفة مباشرة ومستمرّة. استعمل المصريون كثيرا من الأساليب التأديبية في التربية،ومنها :أسلوب العصا أو الضرب،وأسلوب الحبس،وكانوا مربوطين في المعابد،وأسلوب التهديد،وأسلوب التوجيه والتنبيه،وأسلوب التنافس،وأسلوب الترغيب في مستقبل سعيد،وأسلوب المدح،وأسلوب القدوة.

التربية الرومانية واليونانية:

كانت التربية في الحضارة الرومانية مقتبسة من عادات التربية اليونانية،وكانت الإختلافات بين هاتين الحضارتين في "أن فلاسفة الرومان إهتموا بالنظريات والإبتكارات الموضوعة لتحسين حياتهم وأحوالهم بينما فلاسفة اليونان

---

[72] https://uomustansiriyah.edu.iq

بحثوا عن الغاية من الحياة. تميزت بروح التجديد والإبتكاروالحرية الفردية،وكانت غاية التربية أن يصل الإنسان إلى الحياة السعيدة ،وكان الإغريق أول من تناول التربية من زوايا فلسفية ،كان للدين أثر كبير في التربية عند الرومان وكانت تربيتهم علمية ومادية"[73].

كانت الأسرة في التربية الرومانية عماد التربية ، وكانت الأم تربيهم على الأخلاق الفاضلة في السنوات السبع الأولى،وكانت تعلم الأبناء على القراءة والكتابة ومبادئ الحساب وتعلم البنات شئون البيت وإدارته،وكان الأب يرافق الأبناء معه أينما ذهب ويعدّهم لأن يكونوا مواطنين صالحين،والمواطن الصالح كان الجندي الشجاع الكاسب للفضائل ويستطيع أن يعرف ما له وما عليه ،وبعد ذلك أنشأ الرومانيون عددا كبيرا من المدارس ،وكانت في أول الأمر تدرّس القراءة والكتابة والحساب بصورة بسيطة،وبعد ذلك جاءت مدارس الخطابة والنحو اليونانية إلى روما،لإعداد الخطباء والفصحاء الكاملين،ثم اندمجت التربية الرومانية بالتربية اليونانية

التربية العربية:

العرب الجاهلية تنقسم إلى البدو والحضر،ومن أهمّ وسائل التربية عند البدو كانت الاسرة،وتشاركها في ذلك العشيرة . الطفل يأخذ عن أسرته طرقها الخاصّة في كسب القوت وتحصيل اللباس واتّخاذ المساكين،والتربية عند البدو اهتمت بتنمية الأخلاق العربية في نفوس الأبناء منذ الطفولة،مثل اكتساب الكرم والمروءة والشجاعة والوفاء والدفاع عن الشرف وغيرها من الأخلاق الكريمة، "الطفل العربي كان يحاكى والده في أقواله وأفعاله وعاداته وتقاليده وكانت الطفلة العربية تقلد والدتها في تصرفاتها ،فتشارك الأم في كل عمل أعمال البيت حتى تصبح زوجة كاملة،وكانت التربية عند الحضر أرقى وأوفى ، وكانت تنقسم إلى قسمين:ابتدائية وعالية.الأطفال في القسم الإبتدائي كانوا يدرسون الهجاء

[73] الدكتور أبو علاء الدينaladdin.7olm.org

والحساب والمطالعة وقواعد النحو،والأطفال في القسم العالي كانوا يدرسون الهندسة العمليةوعلم الفلك والطب والنقش والآداب والتاريخ وفنّ العمارة"[74].

وفي الحضارة العربية كانت "التربية تتلخص في أن العائلة هي المكان التي يتعلم منها الفرد أسس الحياة سواء كان ذلك الصيد أو صنع الآلات الحربية أو تعلم الصناعات الحرفية أو التعليم في المدارس والكليات والجامعات. وفي العصور الوسطى ظهرت الأديان مثل المسيحية والإسلام، كانت المسيحية تساعد لإعداد الفرد للحياة الأخرى والدين الإسلامي و يساعد لإعداد الفرد في حياته الدنيا والآخرة بشكل متساوي"[75].

التربية الحديثة:

ئالمراد بكلمة"الحديثة" الجديدة ،إنها تدعو إلى التغيير والتطوير في إطار المدرسة التقليدي أي الصف،والمعلم ،والطالب مستعينا بالوسائل التكنولوجيا الحديثة. و"التربية في العصور الحديثة أصبحت مبنية على أسس علمية وعقلية ، وظهرت في الدراسات التربوية والأبحاث، ازداد في التربية المعاصرة الإهتمام بمجال التربية،خاصة في مجالات التعليم وأصبح الطفل هو محور العملية التربوية. وسادت فيها تربية الإنسان جسميا وعقليا وذوقيا"[76]. و"يرى علماء العصر الحديث أن العملية التربوية عبارة عن عملية تفاعل بين المربي والمتربي ليصلا معا إلى الهدف التربوي"[77].

"فعلى حين نجد،قبل مائتي عام ،أنّ بضع سنوات دراسية كافية لتعلّم ما ينبغي تعلّمه نرى اليوم أنّ المدارس تضطرّ – بحكم وفرة العلوم واتساعها ،لا إلى إطالة

---

[74] التربية عبر التاريخ للدكتور عبد الله عبد الدائم ، ص: 136
[75] عمر البدري academia.edu
[76] Academia.eduعمر البدري
[77] Aladdin.7olm.orgالدكتور أبو علاء الدين

أمد الدّراسة فحسب بل إلى الإكثار من عدد الساعات اليومية والأسبوعية وإثقال مناهج الدراسة والإمتحانات بمواد جديدة"[78]

"وكلنا نعلم أنّ التربية الحديثة أكّدت على أهمية العناية بتربية الفكر وتربية الجسد والتربية الجمالية والتربية الخلقية والتربية المهنية وسواها من جوانب التربية الشخصية ، ودعت إلى تكوين "انسان" لا إلى مجرّد "علاّمة "يحمل هامة ضخمة من المعارف فوق جسم هزيل وعاطفة ضامرة واحساس فنّيّ متبلّد وخلق مضطرب وقدرات مهنية وعملية مقتولة"[79].

أكّدت التربية الحديثة على أهمّية الطفل في العملية التربوية ،وهو المحور الحقيقي فيها خلافا للتربية التقليديّة التي تجعل المركز في مناهج التعليم والمعلّم والإمتحانات والنظام المدرسي، وجعل "كلاباريد" الثورة الكوبرنيكية في التربية وهي : "[80]أن تجعل الطرائق والمناهج تدور حول الطفل بدلا من أن تجعل الطفل يدور حول مناهج سنّت في معزل عنه"

وهذا ما أكّده المربّي الأمريكي "جون ديوي " ولا سيما في كتابه "المدرسة والمجتمع" حيث قال: "إنّ المدرسة التقليدية هي تلك التي يقع مركز ثقلها خارج الطفل : إنّه في المعلم أو في الكتاب أو في أي مكان شئت ،عدا الغرائز المباشرة للطفل نفسه وعدا نشاطاته الذاتية" (الترجمة الفرنسية ، ص : 95-96)

نظريات التربوية الحديثة:

نظرية التعلم البنائي: "تركز على دور الطالب في بناء المعرفة الجديدة من طريق بناء الاستدلالات والمفاهيم على أساس المعرفة السابقة،يعتبر جان بياجيه وليف فيغوتسكي من أبرز المفكرين في هذا المجال"[81].

---

[78] التربية عبر التاريخ ص : 504
[79] التربية عبر التاريخ ، ص : 505
[80] من مقال له في مجلة :العلوم " عدد شباط 1919
[81] Elmadrasah.com

- نظرية التعلم النشاط:

"تؤكد على أهمية المشاركة النشطة والتفاعلية للطلاب في عملية التعلم،يعتبر الطلاب نماذجا ويتعلمون من خلال المشاركة في الأنشطة الاجتماعية والتعاونية ، ألبرت باندیورا وليف فيغوتسكي هما من الباحثين الرائدة في هذا المجال"[82]

- نظرية التعلم البيولوجي:

"تركز على الأسس العصبية والمعرفية لعملية التعلم،تدرس هذه النطرية كيفية انتقال المعلومات وتجهيزها في الدماغ،وتسعى لتوجيه العملية التعليمية بناء على هذه الأسس،جان بياجيه وألكسندر لوريا هما من الباحثين الرائدين في هذا المجال"[83].

- نظرية التعلم البيئي:

"تركزعلى تأثير البيئة والتفاعلات الاجتماعية والثقافية على عملية التعلم،تعزز هذه النظرية أهمية خلق بيئة تعليمية ملائمة وداعمة لتعزيز التعلم الفعال، أبرز ممثلي هذه النظرية هما ألبرت باندیورا وأبرهام ماسلو"[84]

- نظرية التعلم الاجتماعي:

"تركز على الدور الحاسم للتفاعلات الإجتماعية في عملية التعلم ، يعتبر الكلاب نموذجا ويتعلمون من خلال المشاركة في الانشطة الاجتماعية والتعاونية ، ألبرت باندیورا وليف فيغوتسكي هما من الباحثين الرائدة في هذا المجال"[85].

---

[82] المرجع السابق
[83] المرجع السابق
[84] المرجع السابق
[85] المرجع السابق

الفكر التربوي الحديث في العالم العربي:

حركة الفكر التربوي الحديث في العالم العربي أسلوبها أسهل وأقرب إلى استيعاب القراءة السريعة والقرائة العامة،ومن أبرز شخصياتها في هذا العصر رفاعة الطهطاوي،وساطع الحصري ،وطه حسين وغيرهم.وقد عرض رفاعة الطهطاوي على محمد علي باشا أن يؤسس "مدرسة ألسن" وغرضها تخريج المترجمين.وقد ترجم الطهطاوي العديد من الكتب الفرنسية إلى اللغة العربية.والمفكرون الذين جائوا فيما بعد اعتبروا الترجمة جزء أساسيا من رسالة المفكر لأمته وتلاميذه .

التربية بعد عصر الثورة الصناعية:

بعد عصر الثورة الصناعية في الغرب، وانتشار التقدم التكنولوجي،وبداية عصر الإكتشافات والإختراعات تغير نمط الحياة الإجتماعية ،وارتبطت العلاقات الإجتماعية بالمادة والآلة ارتباطا وثيقا . وتفككت أوصال النسيج الإجتماعي ،وتغيرت القيم الأخلاقية،فظهرت الحاجة الماسة إلى التربية لقيادة نواعى الناشئة إلى الأهداف الجليلة والغايات الخطيرة التي يرسمها منظور الغرب لأجيالهم بكل حكمة واقتدار بحيث يتم التوازن والتناغم بين الطفرة الهائلة في الحضارة المادية وبين القيم والمعاني السامية التي ينبغي أن تسود في أي مجتمع بشري. فازدادت أهمية التربية يوما بعد يوم، وتبعا لذلك طفق علماء وفلاسفة الغرب في وضع نظرياتهم واتجاهاتهم التربوية سعيا منهم وراء إيجاد جيل جديد واع،ينبض بأنواع المعرفة والإبداع المتحدد في سبيل تطور واسعاد نفسه وأسرته ومجتمعه. ويذكر "غاستون ميالاريه" [86] (Gaston Mialaret) وجود أربعة معان أساسية للتربية، "يتعلق الأول بالمؤسسة التربوية وبالنظام التربوي،والثاني يتعلق بالمؤسسات والهيئات الوزارية والتعليمية التي تهتم بالتربية ، والمعنى الثالث يتضمن على الوسائل السمعية ،

---

[86] Professeur honoraire de l Universite de Caen

والسمعية والبصرية، والمعنى الرابع يضم المؤسسات التعليمية والمنظمات التي تهتم بتأهيل البالغين وبالنشاطات الثقافية وغيرها[87]. و "ليس للتربية تحديد العمر، حيث أن الإنسان وهو يدرس حتى وفاته ،لأنها عمل مستمر، لا نهاية لها،ونستطيع أن نشاهد حاليا ظهور مدارس لعمر الشيخوخة،وكذلك بدأت الأبحاث في علم الشيخوخة بتحديد بعض الأسس للتربية المختصة بالأشخاص اللذين أنهوا نشاطهم المهني.والتربية تظهر بأشكال مختلفة وتتناول أهدافا مختلفة"[88].

تعليم المرأة في الصين:

مع بداية الثورة الصناعية في عام 1949م " كانت نسبة الفتيات اللاتي التحقن بالتعليم لا تزيد على 20% من إجمالي الفتيات اللاتي في سن التعليم،ومنذ ذلك الحين أصبح محو أمية المرأة الصينية هدفا قوميا يسعى الجميع إلى الوصول إليه،وتكاتفت جهود الإدارات التعليمية والحكومة ومنظمات المرأة لتحقيق هذه الأهداف،وفي عام 1994م بلغ عدد الفتيات اللاتي تم محو أميتهن110 ملايين امراة ،وفي سنة 1993 م التحقت 97.7% فتيات للتعليم ،ومنذ الخمسينات أنشئت مدارس خاصة لمحو أمية النساء ،وهي نوعان : مدارس الشتاء ومدارس القرية.وخلال عشرة أعوام تم محو أمية 16 مليون امرأة"[89].

وفي الوقت الحالي "بلغ عدد الطالبات بالجامعات الصينية 964 ألف طالبة ،وهن يدرسن في 1065 جامعة ويشكلن بذلك 34.5 من إجمالي عدد الطلاب الجامعيين،وفي كلية الهندسة تمثل الطالبات نسبة 27% من إجمالي عدد الطلاب"[90]

---

[87] غاستون ميالارية-علوم التربية- ص:7

[88] المرجع السابق –ص:9

[89] rihab.yoo7.com

[90] rihab.yoo7.com

تعتبر ماريا مونتسوري البيئة المدرسية - مادية كانت أو معنوية - مهيّئة حتى تؤمن الحرية والإستقلالية ،وكذلك يجب أن يكون هناك جوّ من المحبة بين الطلاب والمعلمين.

تعليم اللغة العربية في الصين:

رجال التعليم في الصين يشجعون الصينيين على تعلّم اللغات الأجنبية ،ومن أهم اللغات التي يتعلمونها اللغة العربية. والصينيون يتميزون في ذلك بأنهم أكثر من يتقن التحدّث والكتابة باللغة العربية.وفي سنة 1984 أسست مجمع للغة العربية ويشتمل على جميع المدرسين والمستعربين الصينيين،ومن أهم أهدافه تطور نشاطات تعليم اللغة العربية في الصين،وفي سنة 1993م أنشئ صندوق تشجيع مدرسي اللغة العربية ودارسيها.

طرق التربية الحديثة للأطفال:

تلعب التربية دورا حاسما في تكوين شخصيات الأطفال،وقد تغيرت وتطورت التربية كثيرا على مر العصور ،واستخدمت التربية الحديثة طرقا كثيرة في تربية الاطفال منها ما يأتي:

- ❖ الإيمان بإمكانيات الأطفال:وعلى الوالدين أن يؤمنا بإمكانيات أطفالهما وتشجيعهم بعبارات حماسية،ومن شأنهما أن يمنحا للأطفال إيمانا بأنهم قادرون على أيّ شيئ مهما كان صعبا،وكذلك عليهما أن يزيدا من ثقتهم بأنفسهم،وأن يمكّناهم بالتعامل بشكل سليم مع السلبيات التي قد يتعرّضون لها من قبل أصدقائهم .
- ❖ تجنب المناقشة في التربية: ولا تفيد مقارنة الأطفال بالأطفال الآخرين في العملية التربوية،لأنّ لكلّ طفل ميزاته وطبيعته الخاصّة به.
- ❖ وضع قواعد وحدود واضحة:إنّ وضع القواعد والضوابط الواضحة لأطفالهم أمرصحيح يتوافق مع الطبيعة الفطرية للأطفال،لأنّ الأطفال

يحتاجون إلى طريق واضح مع القواعد المحدّدة والوسائل المناسبة ، وهذا تساعدهم على النموّ والتطور بأفضل شكل ممكن.

- ❖ منح الأطفال فرصة عيش طفولتهم:يجب أن يحصل الأطفال على حقّهم في عيش طفولتهم وفق طبيعتهم.
- ❖ فعلى الآباء ألاّ يتوقّعوا منهم التصرّف كأشخاص بالغين.
- ❖ السماح للأطفال بالحديث بعد ارتكاب الأخطاء.
- ❖ استغلال أخطاء الطفل لتعليمه.
- ❖ عدم عقاب الأطفال بالضرب.
- ❖ تجنب الثناء المستمرّ.

التربية أمس واليوم:

قديما كانت التربية تعتمد على التلقين الجاف للمعلومات وكانت مأخوذة عن التربية اليونانية التي تقوم على العنف والشدّة وكذلك كانت تلزم الطفل بالحفظ عن ظهر قلب ،فعلى الطلاب أن يتعلّموا الطاعة العمياء دون ابداء آرائهم،وكانت التربية القديمة تعتمد على نظام العقاب الشديد تجاه الأطفال المخطئين أو المتجاوزين لكلام الكبار والآباء.وتختلف أنواع العقاب من ضرب وسبّ وحرمان من الحقوق مثل الأكل والشرب ، فيمارس الطفل مهامه خوفا من العقاب.أما أساليب الثناء والتشجيع في التربية القديمة كانت تقتصر على المكافآت المادية فقط ،لذلك يفعل الطفل مهامه انتظارا للمال وأفقده الشعور بالنجاح.وكان أصحاب التربية القديمة متجاهلين لأسلوب التشجيع وإنهم يظنون أنه مفسدة للطفل.وكانوا يتصيدون أخطاء الطفل ظنا منهم أنه يشجع الأطفال نحو الأفضل.

أما التربية الحديثة تستخدم اللين وتعتمد على العقاب الإيجابي الذي يشجع الأطفال لاتباع قواعد الإيجابية بدلا من العقاب الجسدي، ويكون ذلك بمدحهم عندما يفعلون امرا حسنا بدلا من عقابهم عندما يفعلون بشيء سيئ،وكذلك

يستطيع للوالدين أن يعبروا فخرهم به وأن يكافئهم بالثناء والهدايا الصغيرة،والتربية الحديثة تعتمد على التشجيع وتبعد عن العقاب الشديد.

أهملت التربية القديمة الجانب العاطفي للطفل وتهدف إلى التأديب وعدم مراعاة الشعور الإنساني للطفل،فالتربية الحديثة تهتم بالجانب العاطفي للطفل باعتباره انسانا واعيا لكل شيئ، كانت التربية القديمة تركز على الطاعة والامتثال للقواعد والتوجيهات من قبل الوالدين والمعلمين،أما التربية الحديثة إنها تركزعلى شخصية الطفل،وتسعى لتطويرها وتشجيع الثقة بالنفس والمسؤولية.وهي تعتمد على التجربة وتدعم التكنولوجيا كأدوات تعليمية،وبذلك يستطيع أن يستخدم الأجهزة الذكية لتعزيز التعلم .

والتربية القديمة كانت التقنية محدودة وكذلك لم تكن متوفرة ومتاحة مع السهولة التي هي عليها اليوم.ومن الوالدين من يفضل أساليب التربية القديمة وكذلك منهم من يفضل أساليب التربية الحديثة،ومنهم أيضا من يفضل الدمج بينهما لأنّ لكل من الأساليب مميزاتها وخصائصها.لا تتلائم متطلبات القرن الحادي والعشرين مع الأسس القديمة للتربية التقليدية .

مبادئ التربية الحديثة:

عدم المقارنة: لا يجوز للوالدين والمعلمين أن يقارنوا بين الطفل وأصدقائه في شيئ من الأمور .ويجب المحافظة على العدل والمساواة بين الأبناء سواء كان بين الإبن والبنت.

التربية اللطيفة: تبدأ التربية اللطيفة منذ ولادة الطفل ،فليست التربية الخشنة من أساليب التربية الحديثة.فتعلم الأم الأبناء كما أنها تتعلم أيضا منهم.

التربية الإيجابية: وهي وسيلة سليمة من وسائل التربية الحديثة.وليس العقاب حلاّ لشيئ ،وتتجه كثيرا من الآباء والأمهات إلى الشدّة والعنف في كثير من الأحوال ،

بل على الآباء والأمهات أن يشجعهم على ما فعلوه من الخيرات.والمكافآت هي خير وسيلة للتربية الإيجابية.ويمكن تجاهل خطإه لمرّة واحدة وليس دائما.

توجيه الطلاب نحو قدراته وتربيته على أساس هذه القدرة،ولا يجبره على ما ليس له طاقة فيه.ويجب أن يوجه الطفل أيضا على الفروق بين الأمور الحسنة والأمور السيئة في مختلف نواحي الحياة ،ويكون ذلك بالنصيحة والإرشاد ،وإذا نشأ الطفل كذلك يكون قادرا على التمييز بين الصحيح والخطإ، وبذلك يعمل الطفل في هذه الأحوال حسب تربيته.

منح الطفل القدرة على تجاوز العقبات في المستقبل ويكون ذلك بتعويده على تقبل الفشل.

خلق القدوة للطفل:

الأطفال يتعلمون عادات الآباء والأمهات لأنهم يشاهدونهم ويلاحظونهم في كل الاوقات، ولذلك لا بدّ للآباء أن يعاملوا معاملة حسنة أمام أبنائهم،ويساعد هذا الطفل على تعلم هذه المعاملات.

مميزات التربية الحديثة:

الإعتراف بقدرات الأطفال واحتياجاتهم،والسعي لجعلهم أفضل.وإشعار الطفل بأنه كائن مهم له حقوق وعليه واجبات فتزداد ثقة الطفل بنفسه فيأخذ حقوقه ويؤدي واجباته.وكان للدكتورة ماريا مونتيسوري ، الدكتورة الإيطالية ، دور عظيم في تثبيت دعائم التربية الحديثة.وتم الإعتراف بأنّ الطفل هو كامل المشاعر وناقص التجارب ، ولذلك يجب احترام خصوصية الطفل ومشاعره واستئذانه قبل استخدام أغراضه ولمس جسمه مع توعية الأطفال بخصوصية أجسامهم. فللطفل حق في الإختيارفي كل شيئ سواء كان ذلك في المأكل والمشرب والملبس.

سلبيات التربية الحديثة:

التربية الحديثة لها سمعة طيبة لكثرة إيجابياتها ومع ذلك لها سلبيات أيضا منها: عدم طاعة الأطفال للآباء وميل الأطفال إلى الأنانية وحب الذات والإحتياج لاشباع رغباتهم بأي شكل من الأشكال.

الإتجاهات الحديثة في التربية:

تختلف التربية اليوم عن التربية الأمس ،واشتدت عناية اليوم بإعداد المعلمين اعدادا كاملا، فكما يكون المعلم تكون المدرسة ،والفرق المهم بين التربية القديمة والحديثة هو أن القديمة كانت تعامل الطفل كرجل،أما الحديثة فتعامل الطفل طفلا ليكون رجلا،ويكون مخاطبته باللغة التي يفهمها الأطفال،والتربية الحديثة تتطلب جعل الدروس والمواد سهلة وميسورة ومحبوبة لدى التلاميذ بما فيها من اللعب والتمثيل وتشويق التلاميذ في المدرسة وقيامهم باعمال المدرسية.والتربية الحديثة تتطلب النشاط والعمل وتبادل الآراء والأفكار والتعاون على حل المشكلات.كان للتقدم الفكري والعلمي والإجتماعي أثر كبير في إظهار النظريات الحديثة وإخراجها من القول إلى العمل.

روح التربية الحديثة:

بالأمس كان المربون يفكرون في المادة وحدها واليوم يفكرون في الطفل وميوله وبيئته وما لا يلائمه من المواد.وما يصلح لجيل ربما لا يصلح لجيل آخر وهناك روح جديد في التربية ،وإذا نظرنا إلى المدارس الأمم الراقية وجدنا أمثلة متنوعة وطرقا متعددة ومشروعات كثيرة في التربية والتعليم تلفت إليها انتباه المربين.

المعلم خير دليل على المدرسة التي يدرّس فيها ،وقديما كان هناك ظن على أنّ للمعلم قدرة على تخضيع المتعلمين ، فاليوم لانرغمهم على السمع والطاعة ، بل يجب أن تطيعوا من عند أنفسهم،منبعثة من المحبة في الدرس والعمل، قديما كان الطفل متجاهلا وقد عدّه آلة صمّاء ، تطبع على صفحاتها ما أراده المعلم

والوالدان،فاليوم فقد اعترفه الناس ،وعدّه شريكا عاملا يفعل ما يشاء بكل حرية ،على حسب رأيه ورغبته وميله مع الإرشاد عند الحاجة .

في القديم ، كانت العناية كلها موجهة إلى المادّة وملإ أدمغة التلاميذ بها ،بل اليوم العناية كلها موجهة إلى الطفل، ليكون منه رجلا كاملا معدّة للحياة ،لكي يكون عضوا عاملا نافعا في الحياة[91]."قديما كان الطفل مجهولا لا يفكر فيه أحد، أما اليوم ، فهو في الذاكرة ، ويجد كل عناية ودراسة في البيت والمدرسة والمجتمع." [92]

التربية الحديثة تتطلب اليوم أن يقف المدرس على جنب، ويترك للطلاب مجالا للعمل ، فيعمل كل منهم حسب طاقته وقوته العقلية ،ويرشد المدرس من يحتاج الإرشاد ويساعد من يحتاج المساعدة ،وهذه هي الروح التربية الحديثة.

التعليم الفردي والجمعي:

التعليم الفردي يقدر فيه قوة الفرد ومستواه في جميع المادة ،فهناك طريق خطإ في التسوية بين الذكي والغبي في إعطائهم التمرينات والدروس من غير تفرق بينهما ،وينبغي أن يعطي لكل تلميذ ما يستطيع أن يهضمه.

التعليم الجمعي : وهو تعليم الفصل دائما مادة واحدة في وقت واحد ، وليس هناك فرق بين التلميذ القوي والضعيف ، وبين الذكي والغبي ،فعلى المعلم أن يمنح لهم الفرصة للعمل بأنفسهم لكي يعتمدوا على النفس في كل الأعمال.

والتربية الحديثة تجعل الدراسة محبوبة لدى التلاميذ بما فيها من اللعب والتمثيل،وكتابة شعرية أو نثرية ورسم الصور، وتحاول أن تدرس الطفل أولا قبل تدريس نظريات التربية وطرق التدريس،ولذا تملأ أيام الطفولة بالفرح والسرور.

---

[91] الاتجاهات الحديثة في التربية ، ص : 14

[92] الاتجاهات الحديثة في التربية : ص : 14

التربية المعاصرة

التربية هي أساس للمجتمع ومحور الحياة السعيدة التي يعتمد عليها ،وقد حدثت تغيرات كثيرة في التربية عبر العصور،والتربية المعاصرة تهدف إلى قضاء حاجات الطلاب والمعلمين وجميع العالمين حسب تغيرات الزمان ، وقد ساعدت أمور كثيرة على تطور التربية في العصر الحديث.مثل التكنولوجيا الجديدة وتقدمها والتعليم الشخصي وغيرها.وبوساطة التكنولوجيا الحديثة أصبحت التربية سهلا وممتعا، ويستطيع للطلاب أن يتذوقوا الأدوات الرقمية والوسائل الاجتماعية للتعليم.ومع ذلك وهم يتبادلون أفكارهم وآرائهم مع الطلاب في مختلف المعاهد عبر وساطتها .

التفكير النقدي وحل المشكلات الصعبة والسهلة والتواصل والإبتكار والقدرة على التكييف مع التغييرات السريعة في المجتمع وسوق العمل كل منها تركز على تطوير المهارات للطلاب ،تعتبر التربية في هذا العصر عملية مستمرة طوال الحياة ، وهذا ما يشجع الأفراد على مواصلة تطوير مهاراتهم ومعرفتهم على مر السنين، ويكون لكل مؤسسة تربوية سنّ معين في إدخال الأطفال إلى المدرسة.وفي العصر الراهن حدّده في معظم دول العالم السادسة من العمر.وفي بعض الدول وهو السابعة من العمر.

التربية المعاصرة تركز على تحسين عملية التعليم وتنمية الطلاب بشكل شامل.وتهدف إلى أن يواكب التطورات التعليميةوالتكنولوجية والاجتماعية التي تؤثر في المجتمعات المعاصرة. تهدف أيضا إلى أن يتحقق تجربة تعليمية متميزة التي تمكنهم من التفاعل مع العالم المتغير بفعالية ،وفي التربية المعاصرة هناك وسائل متعددة للتقييم ، وتكون ذلك بالإعتبار عن مختلف جوانب الطلاب، يشتمل في ذلك معرفة الطلاب ومهاراتهم وقيمهم وكذلك اتجاهاتهم المختلفة.

دور الأسرة والبيئة في التربية:

الأسرة

تعتبر الأسرة مهد الطفولة والخلية التي ينشأ فيها الفرد،وأسلوب التربية يختلف من أسرة لأسرة،وللأوساط الغنية نموذج معين في تربية الأبناء،والأوساط المثقفة المتعلمة وهم يسلكون أبنائهم في طريق يختلف في تعاملهم مع الآخرين،وهم يختلفون عن أبناء الأسرة الفقيرة التي يكون آباؤهم غير متعلمين.

البيئة

للبيئة أثر كبير في التنشئة ، والطفل الذي نشأ في المدينة متقدّم من الطفل الذي نشأ في القرية.والطفل الذي نشأ في القرية متقدم من الطفل الذي نشأ في البادية،نظرا لما في المدينة من تقدم وازدهار ومن حضارة ومدارس وجامعات ، والقرية أقل ازدهارا من المدينة ، وكذلك البادية أقل ازدهارا من المدينة والقرية،والذين يعيشون في الصحراء والمناطق الحارة ،يتكيفون مع جو الصحراء ،لهم طاقة عالية للصبر وتحمل المشاق، وأجسامهم غالبا نحيلة وتميل إلى السمرة،فأما الذين يعيشون في الجبال أجسامهم قوية ،وطاقاتهم عالية على الثبات ، ولذا للبيئة لها أثر كبير على سلوك الفرد.

رابطة الآباء والمعلمين:

وفي التربية الحديثة والمعاصرة هناك رابطة وجمعية للآباء والمعلمين ، وتعقد مجالس الآباء والمعلمين باستمرار لما فيها من الفوائد الكثيرة. تنظم هذه المجالس من قبل الإدارة المدرسية الناجحة، وهذه المجالس تتدارس مشكلات التلاميذ ، والتخلف الدراسي للبعض منهم، ومشكلة التسرب المدرسي للتلاميذ في المدارس الإبتدائية، وكذلك المصاعب والمشقات والمشاكل الأخرى التي يعترضها المدرسة في تحقيق العملية التربوية،فعلى المدرسة أن تحسن أوضاع الثقافية للتلاميذ ، وأن تنمي العلاقات بين الآباء والمعلمين، وإنّ مجالس الآباء والمعلمين إنما هي وسيلة

ناجحة للتعاون الوثيق بين المدارس وأولياء الأمور.هذه الروابط تتدارس الأسباب لهذه المشاكل ، وتضع الحلول المناسبة لها .

المدرسة والمجتمع:

على الإدارة المدرسية أن تبني علاقات متينة بين المدرسة والمجتمع،وأن ترسخ هذه العلاقات بصورة مستمرة،ويكون ذلك بالإتصال المباشر مع أولياء أمور التلاميذ،وهذه العلاقة تجعل المدرسة قادرة على القيام بمهامها لتحقيق الأهداف التربوية على الوجه الأكمل.

والإدارة المدرسية تقوم بشرح وجهة نظرها التربوية لأولياء الأمور ، وتضع الأساليب المناسبة والحلول الملائمة التي تساعد على تقدم التلاميذ في نشاطاتهم التعليمية،والمدرسة هي المؤسسة الأولى التي تنمي فيها المعارف لدى الفرد،وهي التي تخرج أجيالا واعية تسعى لتنمية الوطن.

الحرية في التعليم:

الحرية في التعليم واجب لتكون الدراسة مثمرة ،وكان "تولستوي" يثق بالطبيعة الإنسانية ، فأعطى الأطفال حرية تامة ،وكلمة "لا " في أكثر الأحيان غير محتاجة في عملية التدريس مثل : " لا تتكلم ، لا تنظر إلى الوراء ، لا تتحرك ، لا تلتفت إلى اليمين".وكذلك الأوامر السلبية تعوقه عن النموّ. مثل :" ارفع يديك ، انظر إلى الحائط". وطل هذه الأمور لا وجود لها خارج المدرسة ولا في الحياة العالمية ، وهي تميت في الطفل روح الحب للمدرسة .

وسائل التربية الحديثة والمعاصرة:

وفي العصر الراهن هناك وسائل كثيرة التي تساعد الطلاب على تنمية قدراتهم التعليمية،منها ما يلي:

ا) التعلم النشاط:

تشارك الطلاب بهذه الوسيلة على عملية التعلم مثل المشاركة في المناقشات والمشروعات والأنشطة التفاعلية، وتهدف إلى تقوية التفكير النقدي وتطوير المهارات لحل المشكلات.

ب) التعلم التعاوني:

تشجع الطلاب على العمل في المجموعات معا لحل المشكلات وتحقيق الأهداف المشتركة.وبهذه الوسيلة تقوي مهارات التعاون والتواصل.

ث) التعلم القائم على التحقيق:

وفيها يتبع الطلاب أساليب وممارسات مثل ممارسات العلماء من أجل بناء المعرفة،ويقوم المتعلم فيها غالبا بتعلم ذاتي وجزئيا باشراف المعلم.وهذه تشجع الطلاب على طرح الأسئلة وإجراء البحث .

ج) التعليم القائم على الألعاب:

يدمج فيها اللعب والتعليم معا ،فتكون مشاركة الطلاب فعالة،ويستطيع لهم فهم المفاهيم بشكل أفضل من خلال تجارب تفاعلية، التعلم من خلال الألعاب يحقق تعلما شاملا وممتعا .

د) التعلم القائم على المشاريع:

إن هذه الوسيلة تركز على توفير تجارب عملية للمتعلمين من خلال تنفيذ مشاريع تطبيقية ، وتشجع على تطوير مهاراتهم الحياتية مثل التفكير التحليلي وحل المشكلات.

هـ) التعلم المعكوس:

وفي هذه الوسيلة ،المتعلمون مطلوبون بمراجعة المحتوى من خارج الفصل عبر المواد الفيديو أو القراءات المعدّة من قبل المعلم بشكل مسبق ، فيتحول الفصل إلى ساحة للمناقشات التفاعلية والأنشطة التطبيقية بمشاركة المعلم والأقران ، وكذلك يستطيع للمعلم التركيز على نقاط الضعف لدى المتعلمين.

و) استخدام التكنولوجيا:

تساهم التكنولوجيا الحديثة مساهمة كبيرة في التربية الحديثة ،يستخدم الحاسوب والإنترنت لتعزيز عمليات التعلم وكذلك تجعلها أكبر تفاعلية وشيمة .

الإتجاهات التربوية المعاصرة في الوطن العربي:

وقعت البلاد العربية كلها تحت الحكم التركي عدا مراكش،وتحت هذا الحكم أصبح التعليم العربي كله بالعجمة ، حتى النحو العربي وكان يدرّسه معلم تركي باللغة التركية ، بعد ذلك وقعت البلاد العربية تحت الاستعمار الغربي اي البريطاني والفرنسي ،والاستعمار الفرنسي أخبر الشباب العربي على نسيان اللغة العربية ، وأجريت اللغة الفرنسية على لسانه وعلمهم الآداب الفرنسية وثقافتها.

وفي العصر الحديث لا تزال الأمّة العربية تفضل التعليم، وارتفع عدد الأطفال في المدارس الابتدائية ارتفاعا كبيرا،واتجه كثير من الدول العرية إلى مزيد من تأسيس الكليات والمعاهد التربوية للمعلمين كما في مصر والسعودية وقطر وغيرها من البلاد العربية .واهتمت الدول العربية بتدريس اللغات الاجنبية لأبنائها لتكون جسرا بينها وبين دول العالم. وكذلك بدأت بعض الدول العربية في إنشاء دور الحضانة ورياض الأطفال، وساعدت هذه المعاهد لتنمية قدرات الأطفال ، ومع ذلك مهّدت طريقا لتعليم المرأة واشتغالها بالوظائف العامة ،وفي الوطن العربي هناك مشكلة عظيمة في إعداد المعلمين بمختلف التخصصات وفي مختلف المراحل

التعليمية لأنّ المعلم وهو حجر المهمة في العملية التربوية في كل مراحلها،ولذلك عقدوا ندوات تدريبية للمعلمين في كل الأوقات.

التربية المعاصرة في الهند:

السياسة الوطنية للتعليم 2020:

في سنة 2020 "أعلنت الهند عن سياسة تعليم وطنية جديدة ، وذلك من أجل إحداث إصلاحات كبيرة في كل من المدارس والمستوى التعليم العالي، وتتوقع أن تحدث تغييرات عميقة في التعليم في الهند،وتجهد هذه السياسة لجعل الهند مجتمع معرفة منصف وحيوي،وهي تتصور نظاما تعليميا متمركزا حول الهند،يساهم بشكل مباشر في تحويل الهند إلى قوة عظيمة في العالم.

وافق على هذه السياسة مجلس الوزراء الهندي في 27 يوليو 2020، تهدف سياسة التعليم الوطنية الجديدة 2020 إلى إحداث نقلة نوعية في نظام التعليم في الدولة وإنشاء نظام بيئي تعليمي ممكن ومتجدد لهند جديد تعتمد على نفسها.أكدت السياسة على استخدام لغة الأم كوسيلة للتعليم حتى الصف الخامس، ومع ذلك توصية لاستمرارها حتى الصف الثامن وبعده.

وقد صرّح رئيس وزراء الهند السيد ناريندرا مودي أثناء مخاطبته الجلسة الإفتتاحية لمؤتمر الحكام حول سياسة التعليم الوطنية في 7 سبتمبر 2020 :أن سياسة التعليم الجديدة تمت صياغتها بعد تلقي تعليقات من ملايين الأشخاص اللذين يعيشون في المدينة والقرى في البلاد وعليقات من أفراد من قطاع التعليم.وأعرب عن تقديره لوجود نقاش صحي حول السياسة، وأنّه ضروري لأنّ السياسة الوطنية الجديدة ليست موجهة لإصلاح نظام التعليم فقط،بل للإعطاء اتجاه جديد للنسيج الإجتماعي والاقتصادي للهند في القرن الحادي والعشرين.وذكر أنّ السياسة تهدف إلى جعل الهند تعتمد على نفسها.

وصرح رئيس وزراء الهند أيضا أن السياسة تهدف إلى جعل مسقبل الشباب جاهزا في سيناريو سريع التغير، فقد تم تصميم هذه السياسة لإعداد شباب الدولة على الجبهتين بالمعرفة والمهارات وفقا لمتطلبات المستقبل، وأضاف أنّ سياسة التعليم الجديدة تركز على التعلم بدلا من الدراسة ، وتتجاوز المناهج الدراسية وتؤكد على التفكير النقدي ،وذطر أنّ هناك تركيزا أكبر على السغف والعملية والأداء أكثر من العملية، وأضاف أن سياسة التعليم الجديدة تركز على مخرجات التعلم وتدريب المعلمين وتمكين كل طالب.

وذكر أنّ السياسة الجديدة تهدف إلى جعل الهند اقتصادا معرفيا في القرن الحادي والعشرين،وأضاف أن سياسة التعليم الجديدة تسمح أيضا بالحرم الجامعي الخارجي لأفضل الجامعات الدولية في الهند والتي ستعالج قضية هجرة الأدمغة. وذكر أيضا أن هناك جهدا في البلاد الآن حول كيفية تنفيذ السياسة الجديدة ،وأضاف أنه يتم الاستماع إلى اقتراحات جميع أصحاب المصلحة بعقل منفتح لحل جميع المخاوف.

وذكر أن سياسة التعليم الوطنية تنص على التغيرات السريعة في الأزمنة، وأضاف أنّ التكنولوجيا توفر مجالا متكافئا في معالجة الاحتلال الإقليمي والاجتماعي ولها تأثير كبير على التعليم"[93].

قدمت السياسة الوطنية للتعليم لعام 2020هيكل التعليم 5+3+3+4 في الهند،وحسب هذا الهيكل التعليمي يقضي الطلاب خمسة أعوام في المرحلة التأسيسية، وثلاث سنوات في المرحلة الإعدادية ، و ثلاث سنوات في المرحلة المتوسطة، وأربعة أعوام في المرحلة الثانوية ، مع التركيز على التنمية الشاملة والتفكير النقدي.

---

[93] alanbaa.com

التعليم عن بعد:

وهو "نقل برنامج تعليمي من موضعه في حرم مؤسسة تعليمية ما إلى أماكن متفرقة جغرافية ، ويهدف إلى جذب الطلاب اللذين لا يستطيعون تحت الظروف العادية الإستمرار في برنامج تعليمي تقليدي"[94].

وكان هذا النوع شائعا من قبل عن طريق المراسلات من حيث تتم المراسلة بين الطالب والمعلم عبر البريد.والعكس من ذلك يتمّ نقل التعليم اليوم عبر الإنترنت.

يمكن أن يكون برنامج التعليم في هذا التعليم عن بعد بالكامل،أو أن يكون مزيجا من التعلم عن بعد ومن التعلم التقليدي في الفصل الدراسي،ويسمى هذا بنظام التعليم الهجين أو نظام التعليم المختلط.

إيجابيات التربية الحديثة:

قد تأثرت النهضة والثورة العلمية والتكنولوجيا الحديثة على جميع نواحي الحياة،فأثرت على مجال التربية والتعليم أيضا،ولها إيجابياتها وسلبياتها ومن إيجابياتها ما يلي:

ا) إمكانية الاتصال والوصول للمواد الدراسية المقررة في أي زمن وفي أي وقت.

ب) استخدام العديد من وسائل وأدوات التعليم السمعية والمرئية بدلا من الحكك والسبورة.

ج) تغيير دور المدرّس من مجال التلقين والمصدر الوحيد للعلوم إلى المرشد والمشرف.فيكون الطالب هو المحور في عملية التربوية والتعليمية.

د) يؤدي إلى مشاركة الطالب وفاعليته ونشاطه في تعليم المادة العلمية لأنه يركز على التعليم الذاتي.

---

[94] ar.m.wikipedia.org

هـ) أن يراعي "الاختلافات الفردية لكل طالب لتحقيق الإنجازات الذاتية في التعليم.

و) مصادر المعرفة المتعددة المتنوعة نتيجة لإتصال بالمواقع الإلكترونية والروابط المختلفة على الشبكة العنكبوتية.

ز) التمكن من تدريب وتأهيل وتعليم العاملين دون الحاجة الى الترك والتخلي عن أعمالهم ووظائفهم.

ح)التمكن من تعليم ربات البيوت مما يؤدّي إلى رفع نسبة المتعلمين والتغلب والقضاء على الأمية.

ط) الإخلاء عن جميع المشاكل والعقبات التي تمنع وصول المادة العلمية إلى المتعلمين في المناطق البعيدة والنائية، ويتجاوز هذا إلى خارج حدود الدول.

ي) التواصل مع المعلم بالحرية حيث يستطيع التواصل معه في أي زمن وفي أي وقت،وكذلك يستطيع لطرح الأسئلة التي يريد الإستفسار والإجابة عنها ، وكل هذا يتم بواسطة وسائل المتعددة وطرق المتنوعة أمثال البريد الإلكتروني والمناهج المتعددة لجوجل وغيرها.

ك) التقويم على الفور والسريع والتعرف على النتائج اللحظي وتصحيح الأخطاء.

ل) المرونة التي يسهل من خلالها تعديل وتحديث المضمون للمادة التعليمية والتدريبية"[95].

سلبيات التعليم الحديث:

للتعليم الحديث مميزات إيجابية كثيرة مع أنّ له من سلبيات أيضا منها ما يلي:

---

[95] E3arabi.com

ا) يحتاج إلى تكلفة مادية كثيرة ، خاصة في مراحله الأولى حيث "أنها تحتاج وتتطلب إلى بنية تحتية من أجهزة وأدوات ووسائل وتدريب وتأهيل للمعلمين.

ب) يؤدي إلى الملل في بعض الأوقات بسبب عدم وجود تفاعل وتشارك بين المعلم والمتعلمين من خلال استخدام الإيحاءات التي لها تأثير واضح في إيصال المعرفة والمعلومة.

ج) صعوبة تعرف الطالب على أصدقائه ،لأنهم من أماكن متعدّدة ومتنوعة"[96]

الفرق بين التربية القديمة والتربية الحديثة [97]:

التربية هي جزء هام في حياة الأطفال وقد تغيرت التربية وتطورت كثيرا عبر العصور حسب اختلاف وسائل التربية ، وحسب اختلاف القيم والمعتقدات والنظرات أيضا ،ومن أهم هذه الفروق والاختلافات الأمور الآتية :

1- تعتمد التربية القديمة على العقاب الجسدي ، أما التربية الحديثة فهي تعتمد على العقاب الإيجابي .

العقاب الإيجابي هو استخدام طرق تحفيزية (motivational) لغرس السلوك المرغوب فيه،وكذلك تشجيع الأطفال لاتباع القواعد والقيم الإيجابية . أي عندما يقوم الطفل بشيئ خاطئ لا يستخدم أسلوب التوبيخ فيه ، بل على العكس من ذلك عندما يقوم بأمر صحيح يمكن استخدام الثناء والتقدير له ، إن العقاب الإيجابي يشجع الطفل على تطوير السلوك الصحيح، ويدفعه على تكراره في المستقبل.

2- التربية الحديثة تركز على تطوير المهارات الشخصية ، والتربية القديمة تركز على الطاعة والامتثال للقواعد.

---

[96] Mawdoo3.com

[97] https://www.cappasande.de

تركز التربية الحديثة على شخصية الطفل ، وتهدف إلى تطوير مهاراته الشخصية في كافة الجوانب ،وتشجع إلى الثقة بالنفس ، والمسئولية والاستقلالية ، أما التربية القديمة فهي تركز على تعليم القواعد والنظريات،والقيم الإنسانية ، وكان الاستقلال واتخاذ القرارات من قبل الطفل يعتبر أمرا غير مقبول .

3- مشاركة الاجتماع في عملية التربية

إنّ في التربية القديمة ، قد ساهم الأجداد والأعمام والعمات وحتى الجيران في عملية التربية ،وهوية الطفل ارتبطت ارتباطا وثيقا بالجماعة ، والإنحراف عن العادات كانت تعدّ أمرا غير مقبولا ، أما في التربية الحديثة ، إن المسؤولية الأساسية فيها تكون على الوالدين ،ويكون للطفل الحق في اختيار مساره وتكوين هويته الخاصة.

4- التعليم بين التربية الحديثة والقديمة :

التربية القديمة تركز على التعليم النظري، وحفظ القواعد،ومع ذلك كانت تعتمد على أساليب التدريس التقليدية مثل المحاضرة والحفظ والتكرار، وليست فيها تشجيع للأطفال على التفكير النقدي ، والتجريب والاستكشاف، وكانت التقنية أيضا محدودة ، ولم تكن متوفرة لأنها محدودة ، وكذلك لم تكن متاحة بسهولة ، وأما التربية الحديثة فهي تعتمد على التجربة والإستكشاف، ومع ذلك أنها تدعم التكنولوجيا والتواصل الرقمي كأدوات تعليمية وتواصلية ، ويستطيع أن يستخدم فيها الأجهزة الذكية ،والتطبقات التعليمية لتوسيع المعرفة وتوضيح المعلومات وتفصيلها.

5- الفضالة بين التربية القديمة والحديثة:

لا نستطيع أن نقول بأن التربية الحديثة أفضل من التربية القديمة أو أن التربية القديمة هي أفضل من التربية الحديثة، ولكل منهما مميزاته وعيوبه، وقدراته في تلبية احتياجات الأطفال . فالتربية القديمة كانت تركز على الطاعة والامتثال

للقواعد التي قد يساعد في بناء هيكل عظيم وتنظيم للسلوك والقيم الاجتماعية،أما التربية الحديثة كانت تركز على تطوير الجوانب الشخصية للطفل،وتقوية قدراتهم في المجالات المختلفة ،لكي يحقق النجاح في حياتهم الشخصية والمهنية.فالخيارات التربوية يجب أن تكون مناسبة مع احتياجات الأطفال وتطلعاتهم،والدمج بين الطريقتين في نهج تربوي متكامل قد يكون الأفضل لتلبية احتياجات الأطفال بشكل واسع وشامل.

هناك أسلوب في التربية يسمى التربية المتوازنة أو التربية المتكاملة ، ويحاول لدمج أفضل جوانب التربية الحديثة والتربية القديمة، ويهدف هذا الأسلوب لتلبية احتياجات الطفل، ويكون في ذلك تطوير المهارات الشخصية والمهارات الاجتماعية والبدنية والعقلية والقيم الأخلاقية .

وفي التربية المتوازنة يتم توفير بيئة تعليمية تجمع بين الناصر المختلفة للتربية ،وبذلك يستطيع أن يشجع الأطفال على التفكير النقدي ، وحل المشكلات ، والتجريب والاستكشاف مع تعزيز الإنضباط والطاعة والقيم الاجتماعية ،وتعتمد هذه التربية على مبادئ التفاعل والتعاون ، وتشجيع الأطفال على المشاركة في صنع القرارات ،وحل المشكلات بشكل مشترك.

الباب الثاني

ترجمة ابن خلدون و آثاره

الفصل الأول: حياة ابن خلدون

الفصل الثاني: عبقرية ابن خلدون

الفصل الثالث: آثار ابن خلدون

الفصل الأول

حياة ابن خلدون

ابن خلدون (732-808 هـ)1332 م -1406 م

هو من أعظم العلماء والفلاسفة العرب في العصور الوسطى،وهو "واحد من نجوم أضاءت حلك الليل البهيم إبان ضعف المسلمين وتقهقرهم الثقافي والفكري ، وأحد المنن التي منّ الله بها على الإسلام في قرنه ووقته "[98]،وهو واحد من العلماء البارزين في علم الاجتماع والتاريخ الإسلامي .

ابن خلدون ، هو عبقرية عربية متميزة،وكان عالما موسوعيا متعدّد المعارف والعلوم،وكانت حياته زاخرة بنشاط خارق للعادة وحيوية محيرة للعقول، وكذلك كانت سلسلة من حوادث النجاح والفشل،إنّه وصل إلى أعلى مناصب الحكم ومع ذلك تعرض إلى محن ونكبات متنوعة،وتنعم بنعم القصور ولكنه ذاق مرارة السجن والإعتقال أيضا. إنه شارك الحرب فانهزم الجماعة المنتسبة إليه، فهام في الصحارى مدّة من الزمن،وكذلك تعرض إلى معركة جرّدته من كل ما كان عنده من المال حتى ثيابه.

كان أحد الفقهاء المالكية، وله إسهامات كثيرة في التجديد في أسلوب الكتابة العربية، ينتمي ابن خلدون إلى عائلة نبيلة، وكان له تأثير عظيم في العديد من العلوم مثل التاريخ والاقتصاد والسياسة والجغرافيا،اشتهر ابن خلدون بفكره العميق المتطور ،وقد تجاوزت أفكاره العصور التي عاش فيها .

---

[98] مقدمة ابن خلدون ، تحقيق : حامد أحمد الطاهر، ص : 8

يعتبر ابن خلدون أبو الاقتصاد السياسي والاجتماعي، ولكتابه "المقدمة " تأثير عظيم في المجتمع وفيها كثير من الافكار والنظريات حول تطور المجتمعات،ويشير ابن خلدون إلى أن المجتمعات تتطور وتتدهور حسب العوامل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.وأثرت افكاره في العديد من العلماء والفلاسفة من العرب والغرب ، وترجمت كتبه إلى عديد من اللغات مثل الانجليزية والفرنسية وغيرها .بالرغم من مرور ستة قرون على وفاته فإن أفكاره ونظرياته ما زالت تثير الاهتمام في العالم اليوم.

مولده ونشأته:

"اجتاز ابن خلدون في حياته أربع مراحل تمتاز كل منها بمظاهر خاصة"[99]:

1- مرحلة النشأة والتلمذة، تستغرق زهاء عشرين سنة
2- مرحلة الوظائف الديوانية والسياسية، تستغرق خمس وعشرين سنة
3- مرحلة التفريغ للتأليف، تستغرق ثمان سنوات
4- مرحلة التدريس والقضاء، تستغرق أربع وعشرين سنة

المرحلة الأولى: مرحلة النشأة والتلمذة

هو ولي الدين عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن الحسين بن جابر بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن خلدون الحضرمي، ولد في 27 مايو(أيار) 1332م ، الموافق 1 رمضان هجرية في مدينة تونس في زمان الدولة الحفصية، كنِّيَ "أبا زيد" حين صار أبا، ولقب بوليّ الدّين لما أصبح قاضيا في مصر،وقد عرف جدّهم خالد بن عثمان ب"خلدون" باضافة واو ونون إلى اسمه ، وكان من علامات التعظيم عند أهل الأندلس والمغرب.

[99] القاسمي، التعريف بابن خلدون ومقدمته

أسرة ابن خلدون:

ينتمي ابن خلدون إلى أسرة عريقة من عرب اليمن في حضرموت،يصعد نسبها إلى وائل بن حجر،الذي كان من كبار الصحابة ، وهو الذي تولى مهمة تعليم القرآن ونشر الإسلام في اليمن، دخلت عائلته الأندلس بعد الفتح الإسلامي،واستقرت في إشبيلية، وأصبحت من ذوي الجاه والسلطة. وكان لإبن خلدون أربعة إخوة، وفي عام 1349م في الثامنة عشر من عمره توفي والداه بالطاعون،ولم يبق له إلا شقيقاه الأكبر والأصغر،وكذلك فقد زوجته وأبنائه غرقا في البحر في عام 1394 م وهم في طريقهم إليه من تونس إلى مصر.

كانت ولادته بتونس في أول رمضان عام 732 ،ولا يزال أهل تونس يعرفون الدار التي ولد فيها ابن خلدون . وهي دار تقع في إحدى الشوارع الرئيسية من المدينة القديمة ، ويعرف هذا الشارع ب "تربة الباي"،وتستغل هذه الدار منذ عدة سنوات مدرية الإدارة العليا.وقد ألصق على مدخلها لوحة رخامية وفيها سجل مولد ابن خلدون.

نشأ ابن خلدون بمدينة قرمونة بالأندلس على تراث أسرته العريقة في العلم ، ومن بيئته العائلية تولد فيه نزعتين قويتين، حب المنصب والجاه من ناحية وحب الدرس والعلم من ناحية أخرى، وظلت النزعتان تؤثر على ابن خلدون طول حياته ،إنها ساعدته على إبداع علم جديد من بعد: وهو علم الاجتماع .

لما بلغ ابن خلدون سن الرشد بدأ يحفظ القرآن حسب المنهج التجويد المتبع في ذلك العصرفي البلاد الإسلامية. وكان والد عبد الرحمن معلمه الأول،وكان عالما وفقيها،إنّه زهد في الحياة السياسية وآثرالدرس والعلم،وكانت تونس في ذلك الوقت مركز العلماء والأدباء في بلاد المغرب، وكانوا من أساتذة ابن خلدون، وقرأ عليهم القرآن والعلوم الشرعية من تفسير وحديث والفقه المالكي وأصول وتوحيد والعلوم

اللسانية من لغة ونحووصرف وأدب وبلاغة، وكذلك درس العلوم العقلية والطبية والرياضية ، وقد نال ابن خلدون اعجاب الأساتذة في جميع العلوم.

عندما كان ابن خلدون في سنّه الثامنة عشر حدث حادثان خطيران ، وكان لهما أثر بالغ في مجرى حياته.أحدهما حادثة الطاعون التي انتشرت في معظم أنحاء العالم شرقية وغربية ،ويسميه ابن خلدون "الطاعون الجارف" وكان يصفه بأنه نكبة كبيرة وهلك فيها أبواه وشيوخه. وثانيهما فهو هجرة معظم العلماء والأدباء الذين أفلتوا من هذا الطاعون من تونس إلى المغرب الأقصى ، وقد استوحش ابن خلدون بهذين الحادثين وشق عليه متابعة الدراسة، وضاق صدره بهلاك العلماء وبهجرة من بقى منهم.ورغب في الخروج من مغرب لمتابعة دراسته ولكن أخاه الأكبر محمد منعه من ذلك.وبعد ذلك تولى ابن خلدون الوظائف العامة واشترك في شئون السياسة لمدّة طويلة استغرقت خمسة وعشرين عاما.ولكنه لم يطمئن قلبه بذلك. وكانت قلبه تميل إلى القراءة والكتابة ، فعاود القراءة والاطلاع وتلقى العلم وتدريسه ليرضى بذلك أكبر رغبة كامنة في نفسه وامتازت بها شخصيته الحقيقية ، والتراث الاسلامي أفاد منها وسجل اسمه في عالم الخلود.

تعليم ابن خلدون

تلقى ابن خلدون تعليمه الإبتدائية في مدينة تونس، ودرس من هناك العلوم الإسلامية والعربية التقليدية ، و"لما بلغ ابن خلدون سن الرشد بدأ بحفظ القرآن وتجويده حسب المنهج الذي كان متبعا حينئذ في كثير من البلدان الإسلامية، وكان أبوه هو معلمه الأول، وكانت تونس حينئذ مركز العلماء والأدباء في بلاد المغرب ومنزل رهط من علماء الأندلس الذين رحلوا إليها بعد أن شتتهم الحوادث.وكان هؤلاء من أساتذة ابن خلدون ، قرأ عليهم القرآن ودرس العلوم الشرعية من تفسير وحديث وفقه على المذهب المالكي (الذي كان ولا يزال المذهب السائد في المغرب) وأصول وتوحيد والعلوم اللسانية من لغة ونحو وصرف وبلاغة وأدب.ثم درس

العلوم العقلية والطبية والرياضية. وحظي في جميع دراسته باعجاب أساتذته ونال إجازتهم"[100].

من بعد سافر إلى الأندلس واستكمل دراسته من قرطبة وغرناطة، ثم سافر إلى مصر للحصول على مزيد من العلم، ودرس الفلسفة والفقه والتاريخ والعلوم الإنسانية من جامعة الأزهر .ومن بين هذه الدراسة تطور ابن خلدون أفكاره ونظرياته الفلسفية والتاريخية التي أثرت في العديد من مجالات العلوم الإجتماعية والإنسانية.

المرحلة الثانية : الحياة المهنية

ارتبطت المرحلة الثانية من حياة ابن خلدون بالوظائف الديوانية والسياسية،وامتدّت هذه المرحلة زهاء 25 عاما،بدأ ابن خلدون حياته العملية في سن العشرين بتعيينه بمنصب صاحب العلامة في بلاط أبي اسحق الحفصي في تونس،وكانت وظيفته في المرتبة الثالثة من وظائف الدولة بعد الوزير والحاجب.

وفي سنة 1355م ضمه السلطان أبوعنان المريني إلى مجلسه وتولى الكتابة كمؤرخ لعهده لبضع سنوات. وبعد ذلك عينه أبو سليم المريني في عام1359م في منصب كاتب السرّ لمدّة عامين،وبعد ذلك في عام 1361م ولاّه "خطة المظالم" وهي وظيفة ممتزجة من سطوة السلطنة ونَصفة القضاء.وفي سنة 1362م تولى منصب الوزير في الأندلس،حينما حلّ وافدا على السلطان ابن الأحمر بغرناطة،وتولى منصب الحاجب في بلاط أمير بجاية سنة 1364م وكذلك تولى شئون الخطابة والتدريس في جامع "القصبة" وفي عام 1368م عيّنه حاكم تلمسان حاجبا،وعينه حكام بني مرين في منصب الحاجب لمدّة ما بين 1370-1374م، ولما عاد إلى تونس أصبح أمين سرّ لأبي العباس الحفصي،وكان ذلك في سنة 1378م ، تولى ابن خلدون عمل التدريس بجامع الأزهر في مصر وبالمدرسة القمحية للفقهاء المالكية في

---

[100] القاسمي، التعريف بابن خلدون ومقدمته

السنوات الأخيرة من حياته،ولما افتتحت المدرسة الظاهرية البرقوقية اصبح استاذا في الفقه المالكي فيها.وكذلك تولى ابن خلدون خطة قضاء المالكية ولقب بالمالكي نسبة إلى مذهبه الفقهي.

المرحلة الثالثة: مرحلة التفرغ للتأليف

ركب ابن خلدون البحرإلى المغرب بعد إقصائه عن الأندلس،ونزل في مرسى هنين لا يعلم أين يذهب ،وأراد أن يذهب إلى تلمسان ،وكان أخوه يحيى خادما عند أميرها أبي حمّو ،ولكن هذا الأمير ناقما على ابن خلدون لخيانته وغدره به أكثر من مرة، فلجأ ابن خلدون الى بعض الوسطاء من ذوى الشأن ليشفعوا له عنده ، فما زالوا يشفعون له عند الأمير حتى عفى عنه وأذن في قدومه إلى تلمسان.

قد "عزم ابن خلدون أن يترك شئون السياسة وينقطع للقرائة والتأليف،ولكن أبا حمّو أراد أن يندبه للطواف بأرجاء المدينة ليدعو له القبائل،فتظاهر ابن خلدون بالقبول وفي عزمه أن لا يعود الى السياسة ،ولذلك ولى إلى جهة نائية يتاح له فيها القرائة والكتابة،واختار منازل أصدقائه، وأكرموا مثواه وتوسطوا لدى السلطان ليعفو عن مخالفته لأمره ويقبل لحاق أسرته به، ونجحوا في وساطتهم وأنزلوه مع أسرته بأحد القصور في قلعة بني سلامة"[101].وقضى فيها ابن خلدون زهاء اربع سنوات،وتفرغ فيها للدراسة والتأليف،وأخذ يدوّن مؤلفه التاريخ الشهير "العبر" وقدم لهذا ببحث عام في شئون الاجتماع الانساني وقوانينه، وهو البحث الذي اشتهر فيما بعد باسم "مقدمة ابن خلدون".

كان ابن خلدون حينئذ في الخامسة والأربعين من عمره، وقد نضجت معارفه واتسعت دائرة اطلاعه وارتقى تفكيره و"أفاد فوائد كثيرة من تجاربه ومشاهداته في شئون الاجتماع الانساني على العموم وخاصة قضى نحو ربع قرن في غمار السياسة متقلبا في خدمة القصور والدولة المغربية والأندلسية يدرس أمورها ويستقصى

[101] قلعة بني سلامة :تقع في مقاطعة وهران من بلاد الجزائر

سيرها وأخبارها ويتغلغل بين القبائل يتألف طبائها وأحوالها وتقاليدها ،وكان ذهنه المتوقد وتفكيره الخصب وملاحظاته السديدة كان كل ذلك يحمل على التعمق في تأمل هذه الظاهرات وردّ الأمر المتشابهة منها بعضها الى بعض،والبحث عن أسبابها والتمييز بين ما ينجم منها عرضا وما يترتب عليها عن طريق اللزوم،وردّها الى قوانينهاالعامة فجائت مقدمته هذه فتحا كبيرا في عالم البحوث الاجتماعية" [102].

لما كان ابن خلدون في قلعة بني سلامة كان يكتب عن حفظه ،وكذلك كان يرجع الى مذاكرته والى المراجع القليلة التي يمكن الحصول عليها أثناء ذلك والى الكتب الموجودة في مكتبته الخاصة، وبعد ذلك رأى ضرورة تنقيح كتابته بالرجوع الى المصادر والكتب ، فاعتزم العودة الى مسقط رأسه تونس وحصل من هناك ما يحتاج اليه من المراجع.فغادر ابن خلدون أحياء بني عريف واجتاز الصحراء وقصد السلطان أبي العباس فاستقبله السلطان أحسن استقبال وأكرمه وقربه وشاوره في أموره وبعثه إلى تونس ووفر له ما ينبغي من المسكن والمعاش، ونزل ابن خلدون تونس لأول مرة بعد أن فارقها حينما كان صغيرا دون العشرين من العمر،ثم استقدم أسرته من أحياء بني عريف وعاش في أمن وسلامة.

عكف ابن خلدون على البحث والتدريس لطلبة العلم حتى أتمّ مؤلفه ونقحه وهذّبه، وأرسل نسخته الى السلطان أبي العباس فتقبلها بقبول حسن، وهذه النسخة كانت تشتمل الخطبة والمقدمة والكتاب الأول (وعلى هذه الأقسام الثلاثة يطلق الآن اسم "مقدمة ابن خلدون")وتاريخ المغرب قبل الإسلام وبعده وتاريخ الدول الاسلامية ويطلق على هذه النسخة "نسخة التونسية".وقد "أكملت هذه النسخة بعد أن هاجر الى مصر وأضيفت اليها أقسام كثيرة أخرى في تاريخ الدول الاسلامية في المشرق وفي الاندلس وتاريخ الدول القديمة والدول النصرانية والأعجمية وتاريخ المغرب ، مرة كان السلطان أبوالعباس قد صحب ابن خلدون في

---

[102] التعريف بابن خلدون ومقدمته

حملة حربية شنها على ابن بملول يسترد منه مدينة تورز"[103]. ولم تكن هذه المصاحبة باختيار من ابن خلدون ولا عن طيب نفسه وإنما كانت لتلبية أمر السلطان لأنه قد كره السياسة وقصد على التفرغ للدراسة والبحث،وكذلك خاف ابن خلدون أن يعود السلطان الى استصحابه في حملاته فعزم على مغادرة تونس وخطرت له فكرة الحج يطلب به الى السلطان ان يأذن له لأداء فريضة الحج فأذن له في طلبه.ثم ركب البحر الى المشرق وودّع المغرب ولم يعد اليه بعد ذلك. وبالجملة قضى ابن خلدون في المغرب بعد عودته من رحلته الثانية الى الأندلس نحو ثمان سنين ،أربع في قلعة بني سلامة وأربع في تونس.

المرحلة الرابعة:مرحلة التدريس والقضاء في مصر

وصل ابن خلدون الإسكندرية سنة 1382م،وأقام بالإسكندرية شهرا ،ثم قصد القاهرة وكانت هذه اول مرة يزور فيها القاهرة،وكانت القاهرة يومئذ مركز التفكير الإسلامي في المشرق والمغرب،و"كان لسلاطينها المماليك شهرة واسعة في حماية العلوم والفنون في المدارس العديدة التي انشئوها وفي الجامع الازهر الذي أنشأ من قبلهم في عهد الفاطميين.فرغب ابن خلدون في أن ينال في هذه الديار من الرعاية والمكانة ما يستأهله كفايته ومنزلته العظيمة بين علماء عصره.وخاصة أن شهرته كانت قد سبقته الى القاهرة،وكان المجتمع المصري يعرف الكثير عن شخصيته وسيرته وعن بحوثه الاجتماعية والتاريخية[104]" وأن "مقدمته" المشهورة أعجبت دوائر العلوم والتفكير والادب فى القاهرة بطرافتها وجدّتها وروعة مباحثها وماشتملت عليه من ابتكار في شئون الاجتماع.وكانت تستنسخ منها عدة نسخ وتنتشر بسرعة في جميع بلاد العالم الاسلامي.وفي ذلك الوقت كان ابن خلدون في الثانية والخمسين من عمره. ولكنه لا يزال نشيطا وقويا ويتطلع الى مراتب العزة والنفوذ عن طريق كفايته العلمية.

---

[103] تورز:مدينة على الحافة الشمالية لشط الحريد بجنوب تونس

[104] القاسمي، التعريف بابن خلدون ومقدمته

وفي القاهرة استقبله أهلها استقبالا حارا ،واجتمع حوله عدد كبير ينهلون من علمه ويفيدون من مؤلفاته ومناهجه في البحث واتخذ ابن خلدون مدرسة تلتقي فيها تلامذته ومريديه وتصدر فيه حلقة للتدريس العام،وكان يدرس الحديث والفقه المالكيويشرح نظرياته الاجتماعية التي ضمنتها مقدمته،وكانت هذه الدروس خير دليل على غزارة علمه ووسعة اطلاعه وعظمة قدرته على الإبانة عن أفكاره.وأيضا كان ابن خلدون محدثا بارعا رائع المحاضرة يخلب ألباب سامعيه بمنطقه وبلاغته.

وقد ولّى السلطان الظاهر برقوق ولاية مصر قبل مقدم ابن خلدون اليها بعشرة أيام ،وعمل ابن خلدون على التقرب به وكانت شهرته قد سبقته إليه فأكرمه ثم عينه في منصب تدريس الفقه المالكي بمدرسة القمحية،وكانت هذه المدرسة من إنشاء صلاح الدين بن أيوب وقفها على المالكية يتدارسون بها الفقه.وفي مجلسه الأول في ذلك المعهد حضر جمهرة من الأعيان والعلماء وكان من بينهم قضاة المذاهب الأربعة، فخطب فيه ابن خلدون عن فضل العلماء في تقوية الدولة الإسلامية،وفضل سلاطين مصر في نصرة الإسلام وإنشاء المدارس والمساجد، وزاد هذا الدرس من مكانة ابن خلدون في نفوس سامعيه.

لما غضب السلطان على قاضي قضاة المالكية لبعض النزعات عزله وعين ابن خلدون مكانه ،وكان هذا المنصب من أرقى مناصب الدولة في مصر،وكان هناك أيضا قاضي قضاة الشافعية وقاضي قضاة الحنفية وقاضي قضاة الحنابلة وفقا لعدد المذاهب،والقضاء في مصر حينئذ كان يسودها الفساد والميل الى الهوى والأغراض،وقد وصف أبو المحاسن وهو من معاصريه ولايته للقضاء في كتابه "المنهل الصافي"فيقول: "فباشره بحرمة وافرة وعظمة زائدة،وحمدت سيرته ودفع رسائل أكابر الدولة وشفاعات الأعيان". وكانت صرامته في تحقيق العدالة والمساواة سببا في إثارة السخط عليه ،وزاد من هذا السخط أمور غيرها منها:

1) أن ابن خلدون كان مغربيا ،ومنصب قاضي القضاة من أهم مناصب الدولة فكان من الطبيعي أن يثير حقدهم عليه لأنه أجنبي عن بلادهم.

2) الاعتزاز بنفسه وكفايته

3) مظاهر عبقريته ومكانته العالية في شتى فروع العلم والآداب .

لما كان ابن خلدون في هذا المنصب أصابته نكبة كبيرة ، وهي هلاك زوجته وأولاده وأمواله، وذلك حينما ركبت الأسرة البحر الى مصر، فلم تصل الى مرسى الاسكندرية حتى أصابها عاصفة فغرقت السفينة ومات جميع افراد أسرته وما كان معهم من مال ومتاع وكتب،وبعد هذه الحادثة زهد ابن خلدون عن منصب القضاء وتركه.ثم عاد الى التدريس ايضا وعين استاذا للفقه المالكي في المدرسة الظاهرية البرقوقية، ولكن وشى به الوشاة عند مدير هذه المدرسة فعفي عن هذا المنصب.بعد ذلك أدّى فريضة الحج،وبعد ذلك تولى ابن خلدون مناصب كثيرة منها التدريس والقضاء ، ثم سافر الى فلسطين،ومر في طريقه ببيت لحم موضع ميلاد المسيح عيسى وشاهد ما فيه من آثار ووصف رحلته هذه وصفا دقيقا في كتابه "التعريف"،وبعد عودته من زيارة فلسطين انصرف الى التدريس والتأليف.

وقد عانى ابن خلدون مدة إقامته بمصر حملات كثيرة من خصومه،يقول عن ذلك الكتاب من معاصيه مثل الحافظ ابن حجر العسقلاني ولسان الدين ابن الخطيب وكذلك تلميذه المؤرخ المصري المقريزي .ومن جهة أخرى كان يحظى بتقدير كثير من العلماء والمفكرين،وعلى رأسهم المؤرخ العلامة تقي الدين المقريزي،فقد درس على ابن خلدون وأعجب بغزارة علمه وروائع محاضراته وطريفة آرائه ونظرياته، ويتحدث عن شيخه ابن خلدون باخشوع والإجلال ويترجم له في كتابه "درر العقود الفريدة " بالإسهاب

الفصل الثاني

عبقرية ابن خلدون

طرق ابن خلدون أبوابا كثيرة من العلوم ، ولذا تبدوا عبقريته في نواح كثيرة ، ومن أهمها:

ا) المنشئ الأول لعلم الاجتماع:

درس ابن خلدون الظواهر الاجتماعية التي تتفق في موضوعها وأغراضها ومناهجها في البحث مع "علم الاجتماع " في هذا العصر، إنّه أقام هذا العلم على دعائم سليمة وسار فيه على نهج مستقيم واضح، واستوعب جميع مسائله ووصل في تنظيم دراساته وكشف حقائقه إلى شأو رفيع ، لم يصل إلى مثله واحد من علماء الاجتماع المحدثين .

يقول العلامة سميت في كتابه "ابن خلدون عالم الاجتماع والمؤرخ والفيلسوف " الذي أصدر سنة 1930م "إنّ ابن خلدون قد تقدم في علم الاجتماع إلى حدود لم يصل إليها "كونت " نفسه في النصف الأول من القرن التاسع عشر ، وأن المفكرين الذين وضعوا أسس علم الاجتماع من جديد لو كانوا قد اطلعوا على "مقدمة ابن خلدون " فاستعانوا بالحقائق التي كان قد اكتشفها والمناهج التي أحدثها في الدراسة ذلك العبقري العربي قبلهم بمدة طويلة لاستطاعوا أن يتقدّموا بهذا العلم الجديد بسرعة أعظم كثيرا مما تقدموا به"[105].

ب) إمام ومجدّد في علم التاريخ:

تعدّ "كتاب العبر وديوان المبتدإ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر " خير دليل على إمامته في علم التاريخ.بدأ ابن خلدون هذا الكتاب بالحديث عن أصل الخليقة وأنساب الأمم المختلفة ، ثم انتقل

---

[105] ابراهيم ابن عبد الله القاسمي، التعريف بابن خلدون ومقدمته ، ص: 44

إلى تاريخ العرب في الجاهلية واليهود واليونان والفرس ، و"تكلّم فيه على ظهور الإسلام ، وحياة الرسول صلعم وعصر الخلفاء الراشدين ، وعصر بني أمية ، وعصر بني العباس ، وتاريخ الفاطميين في المغرب ومصر ، والقرامطة ، وتاريخ الأندلس منذ الفتح الإسلامي حتى مبدإ دولة بني الأحمر في غرناطة ، ودولة الإسلام في صقلية ، وتاريخ المماليك النصرانية في أسبانيا ، وتاريخ بني بويه والترك والسلاجقة والحروب الصليبية ، ودول المماليك في مصر"[106].

ج) إمام ومجدد في فن التعريف النفسي:

برع ابن خلدون في التعريف النفسي ، ويعدّ بارعا في هذا الفن من بين مؤرخي العرب والمسلمين بما كتبه عن تاريخ حياته في كتابه " التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا."وقد سبقه فيه كثير من مؤرخي العرب وأدبائهم مثل ياقوت الحموي ولسان الدين ابن الخطيب، والحافظ ابن حجر ، ولكنهم كتبوا فيه بالموجز، فابن خلدون هو أول من كتب عن نفسه ترجمة رائعة مستفيضة ، يتحدث فيه عن تفاصيل ما جرى له في حياته من يوم نشأته إلى قبيل مماته.

د) إمام في أسلوب الكتابة العربية :

يعدّ ابن خلدون من كبار أئمة الأدب وأعلام البيان العربي ومن المجددين في أسلوب الكتابة العربية.فقد كتب الرسائل العادية والحكومية،وكان أسلوبه أسلوبا جديدا يمتاز بالسهولة والوضوح والتعبير الدقيق عن الحقائق ، وترابط الفكرة وجيد الأداء والتناسق ،وتخيير المفردات والتراكيب العربية السليمة،والتخلص من قيود السجع ومحسنات البديع التي كان النثر العربي خاضعا لها في هذا العهد.

ولم يكن أسلوب ابن خلدون في الحقيقة جديدا كل الجدّة ،إنما كان إحياء للأسلوب العربي الأصيل الدي امتاز به العربية في عهودها الذهبية الأولى والذي

---

[106] علي عبد الواحد الوافي، عبقريات ابن خلدون ، ص: 121

يتمثل في أوضح صور في أسلوب عبد الحميد الكاتب في عهد بني أمية ، وكذلك في أسلوب الجاحظ في العصر العباسي.

ه) إمام ومجدد في بحوث التربية والتعليم وعلم النفس التربوي والتعليمي:

ولابن خلدون بحوث قيمة في التربية والتعليم وتاريخهما وفي علم النفس التربوي والتعليمي وما يتصل بهما،ويناقش عنه في الباب السادس من مقدمته.وعرض فيه تاريخ جميع العلوم والفنون المعروفة في عصره حتى فنون السحر والطلسمات والطب الروحاني .....، وقال عن تاريخ التربية والتعليم لدى كثير من الأمم الإسلامية في المشرق والمغرب، وبين رأيه في طرق التربية لدى هذه الأمم ، ومع ذلك وضّح ما ينبغي أن تسير عليه التربية في مختلف مراحل الطفولة والشباب.

و) رسوخ القدم في علوم الحديث:

كان ابن خلدون راسخ القدم في علوم الحديث بمختلف أنواعها،وكان واسع الاطلاع فيه ،خاصة صحيح مسلم الذ ي كان موضع عناية كبيرة في بلاد المغرب. وكان يدرّس الموطأ للإمام مالك في المعاهد العالية بمصر، وكذلك كان متمكنا في علوم مصطلح الحديث.

ز) رسوخ القدم في الفقه المالكي:

رسوخ قدم ابن خلدون في مذهب الإمام مالك أقوى من رسوخ قدمه في الحديث،وأنه كتب في "المقدّمة "فصلين في علوم الفقه والفرائض،وكذلك عيّن بمصر أستاذا للفقه المالكي بمدرستين من أرقى المدارس العالمية ،وهما القمحية والبرقوقية،وعين على قاضي قضاة المالكية.

ح) أنه لم يغادر أي فرع من فروع المعرفة:

علوم القرآن والقراءات ورسم المصحف والتفسير.حفظ ابن خلدون القرآن الكريم في صباه وكذلك عرض في فصلين من مقدّمته لعلوم القراءات ورسم

المصحف العثماني.وكتب في مقدمته عن تفسير القرآن الكريم وأنواع التفاسير وما ألف في كل نوع منها وتعليقه على كل تفسير منها بما يبين طريقته ومحتوياته ومواطن التي حاد فيها عن جادة الصواب.

وكان له معرفة واسعة في علم الكلام والتصوف وأصول الفقه وفي علوم اللغة العربية ،والعلوم الفلسفة والمنطق ،والعلوم الطبيعية، والعلوم الرياضية.

وكان ابن خلدون شاعرا أيضا ، ونظم عدة قصائد في صباه وشبابه ،وظل يمارسه إلى العقد الخامس من عمره،ثم تفرغ للعلم والتأليف، على ما يظهر من كتابه التعريف، إلا ثلاث قصائد:قصيدة يهنئ بها سلطان أباالعباس سلطان تونس،وقصيدة يقدّمها إلى السلطان نفسه مع كتابه "العبر " حينما أهداه له بعد فراغه من تأليفه ، وقصيدة ثالثة يعتذر بها إلى السلطان برقوق ملك مصر عن فتوى أرغم على كتابتها ضدّه ،ومن قصيدته التي بعث بها إلى برقوق يعتذر عن الفتاوى التي أرغم على إصدارها:

والعدا نمّقوا أحاديث إفك كلها من طرائق معلولة

روجوا في شأني غرائب زور نصبوها لأمرهم أحبولة

ورموا بالذي أرادوا ال بهتان ظنا بأنها مقبولة

وفاة ابن خلدون

توفي ابن خلدون فجأة عن ستة وسبعين من عمره في 16 مارس سنة 1406م في القاهرة، ولا يعرف قبره على وجه التحقيق ،وقد ذكر السخاوي أنه دفن بمقابر الصوفية خارج باب النصر(العباسية الآن)لأنه كان شيخا لخانقاه بيبرس بعد وفاة شيخها شرف الدين عثمان الأشقر ،وخانقاه بيبرس تكية لبعض فرق الصوفية أنشأها المظفر ركن الدين بيبرس ووقف عليها أوقافا كثيرة،وقد خصصت هذه المقبرة لدفن الصوفية. وقد قال المقريزي (1364م-1442م) : إنّ هذه القبور كانت تقع بين طائفة من الترب والمدافن.

وقد ذكر الجمال البشيشي أنه رأى ابن خلدون بالقرب من الصالحية في القاهرة متوجها إلى بيته ما يشير إلى أنّ مسكنه يقع في حي بين القصرين أو الأحياء القريبة منه، حيث المكان قريب إلى وظيفته كقاض للمالكية ، ولأنّ إيوان فقهاء المالكية كان قريبا أيضا.

إحياء ذكراه:

في سنة 1962 م قام المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية بتنظيم مهرجان علمي لذكرى ابن خلدون ودعا اليه طائفة من كبار العلماء المهتمين بدراسته في تسع دول ، وهي :الجمهورية العربية المتحدة اي مصر والشام وتونس والجزائر ولبنان وتركيا وإيطاليا وفرنسا وألمانيا الغربية ،وطلب على كل مدعو من هؤلاء تقديم بحث أو أكثر في موضوعات حددتها ادارة المهرجان.وكان هذا المهرجان في الثاني من شهر يناير ،واستغرق المهرجان أربعة أيام،وطبعت هذه البحوث في مجلد كبير بعنوان "أعمال مهرجان ابن خلدون"،وأقيم في هذه المناسبة لابن خلدون تمثال في الميدان الذي يقع فيه المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية بمدينة الأوقاف.وسمي هذا الميدان "ميدان ابن خلدون".

وكذلك تهتم جامعة "استانبول" بابن خلدون ونظرياته اهتماما بالغا،كليات الآداب ، والاقتصاد ، والحقوق تخصص دروسها ومحاضراتها حصة لا بأس بها لمقدّمة ابن خلدون.

أقوال و إقتباسات لابن خلدون:

حينما ينعم الحاكم في أي دولة بالترف والنعمة ،تلك الأمور تستقطب إليه "ثلة من المرتزقين والوصوليين الذين يحجبونه عن الشعب،ويحجبون الشعب عنه فيصلون له من الأخبار أكذبها ويصدّون عنه الأخبار الصادقة التي يعاني منه الشعب"، "يوزن المرء بقوله ويقوّم بفعله،إنّ ثروة الأمم بكثرة سكانها المحبين للعمل والمجيدين له ، المبدعين فيه".

تأثير ابن خلدون في مؤرخي الأتراك ومفكّريهم:

إنّ مقدمة ابن خلدون أثرت تأثيرا شديدا في مؤلفات المؤرخين العثمانيين،وقد قدم البروفسور فندق أوغلو ضياء الدين فخري-أحد أساتذة جامعة استانبول- إلى مؤتمر المستشرقين الثاني والعشرين المنعقد سنة 1951م تقريرا حول هذا الموضوع،عنونه باللغة الفرنسية(L'Ecole Ibn – Haldounienne en Turquie .) أي " المدرسة الابن خلدونية في تركية" ، ثم نشر ترجمة التقرير إلى التركية تحت عنوان "ابن خلدون في تاريخ التفكير التركي".

ذكر الأستاذ ضياء الدين الفخري أسماء المؤرخين العثمانيين الذين تأثروا بابن خلدون ،إنه قال عنهم " ابن خلدونيون " .ووصف مذهبهم " ابن خلدونية" و"ابن خلدونيزم". ومن هؤلاء العلماء اللذين ذُكروا أسمائهم في التقرير:

مصطفى ابن عبد الله

هو الملقب ب "حاجي خليفة" في الغرب وب "كاتب جلبي" في الشرق.اشتهر بموسوعته "كشف الظنون في أسماء العلوم والفنون".

عندما يستعرض الكاتب كتب التواريخ يذكر "تاريخ ابن خلدون" ويقول :"وهو كبير عظيم النفع" ، وهو يتبع ابن خلدون في تعريفه عن التاريخ ،ويقول في كشف الظنون:

"وعلم التاريخ هو معرفة أحوال الطوائف وبلدانهم ورسومهم وعاداتهم وصنائع أشخاصهم وأنسابهم ووفياتهم إلى غير ذلك،وموضوعه أحوال الأشخاص الماضية،وفائدته العبرة بتلك الأحوال،والنصح بها ،وحصول ملكة التجارب بالوقوف عن تقلبات الزمن ، ليحترز عن أمثال ما نقل من المضار".

مصطفى نعيما

هو من أشهر مؤرخي الدولة العثمانية، وتاريخه المعروف ب "تاريخ نعيما"مصدر بمقدمة مستلهمة من ابن خلدون،ويشير إلى تاريخ ابن خلدون باسم "عنوان العبر" ويقول:

"إنّ مقدّمة هذا الكتاب وحدها بمثابة كنز لا قعر له،وملئ بجواهر العلوم ولآلى الحكم."

أحمدبن لطف الله

هو الملقب ب " منجم باشى – رئيس المنجمين "، كتب تاريخه المشهور "جامع الدول "باللغة العربية. صدره بمقدمة مستلهمة من ابن خلدون،ونقل فيها بعض عباراته بنصوصها الأصلية، كما يقول عن أهم أسباب الأخطاء عند المؤرخين:

هو الذهول عن طبيعة العمران وأصول الاجتماع الإنساني على ما فصله ابن خلدون."

محمد صاحب

هو الملقب ب "بيرى زاده"، كان من أشدّ المعجبين بمقدمة ابن خلدون،ولذا ترجمها إلى اللغة التركية "لتعمم الإستفادة منها"، وساعدت هذه الترجمة مساعدة كبيرة على انتشار آراء ابن خلدون بين الأتراك. وفي هذه الترجمة قال عن ابن خلدون:

"المؤرخ ذو الفنون ، العلامة ابن خلدون، من فحول المغاربة ، ولي الدين عبد الرحمن الحضرمي، أحيى فنّ التاريخ ورفع شأنه"[107].

---

[107] القاسمي ، التعريف بابن خلدون ومقدمته

خير الله أفندي

كان من أول المؤرخين العثمانيين اللذين اتصلوا بالتواريخ والمصادر الغربية، كتب تاريخه الضخم بعنوان" مفتاح العبر" وكان إصداره بمقدمة تكلم فيها عن آراء ابن خلدون في العصبية وفي أطوار الدول.

الفصل الثالث

آثار ابن خلدون

ابن خلدون ترك إرثا فكريا غنيا في مجالات متعدّدة ، ومازال العالم يستفيد منها إلى يومنا هذا ،ومنها كتاب "تاريخ ابن خلدون" أو "كتاب العبر" ، واشتهر ابن خلدون بمقدمة هذا الكتاب، وكتاب " لباب المحصل في أصول الدين " في علم الكلام ، وكتاب " التعريف " وهو في سيرة ذاتية لابن خلدون،وكتاب " شفاء السائل" في التصوف.

كتب لسان الدين ابن الخطيب الذي كان صديق ابن خلدون في المغرب الأقصى والأندلس، ترجمة عن حياة ابن خلدون ، وذكر في هذه الترجمة عن مؤلفات صديقه،وهي : رسالة في المنطق ، ورسالة في الحساب ،و تلخيص لبعض ما كتبه ابن رشد، وشرح لقصيدة البردة ،وتلخيص لكتاب فخر الدين الرازي، وشرح لرجز في أصول الفقه. وقد قتل هذا العالم الكبير قبل أن ينتقل ابن خلدون إلى قلعة بني سلامة التي كتب فيها "المقدمة"،ولذلك لم يرد كتاب تاريخ ابن خلدون و"مقدمته " من بين هذه المولفات .ومن العجيب أن هذه المؤلفات التي ذكرها ابن الخطيب ليست معلومة الآن ، ومع ذلك أن ابن خلدون نفسه لم يذكر عن هذه الكتب في ترجمة حياته.وأن العلاقة بين ابن الخطيب وابن خلدون كانت وثيقة ولذلك ليس هناك مجال للشك في صحة ما قاله ابن الخطيب عن مؤلفات ابن خلدون.وأما ابن خلدون لم يذكر هذه المؤلفات في ترجمة حياته والسبب في ذلك أنه اعتبرها تافهة في نظره فقط،إنه ربما اعتبرها مثل كراسات الدرس.

كتاب تاريخ ابن خلدون

يتكون تاريخ ابن خلدون من سبعة أجزاء ، وهو "عبارة عن محاولة إسلامية لفهم التاريخ العالمي،ويعتبر من أوائل الكتب التي تهتم بعلم الاجتماع"[108] ويتناول تاريخ العالم الإسلامي من القرن السابع حتى القرن الرابع عشر الميلادي، أخذ ابن خلدون من المؤرخين السابقين مثل الواقدي والطبري، وابن سعد، وابن اسحق، ثم هذّب ما كتبوه،وتكلم عن كل ما يختص بالناس من معنويات وماديات، وإنه يشهد آراءه وأقواله بالقرآن الكريم وديوان الشعر العربي، يعتبر "تاريخ ابن خلدون " إرثا فكريا غنيا يزخر بالمعلومات والنظريات حول التاريخ والمجتمع والسياسة ،وهذا الكتاب مرتب على مقدمة وثلاثة كتب حسب تعبير المؤلف نفسه:

"المقدمة في فضل علم التاريخ وتحقيق مذاهبه والإلماع بمغالط المؤرخين"

الكتاب الأول : "في العمران ، وذكر ما يعرض فيه من العوارض الذاتية مثل الملك والسلطان والكسب والمعاش والصنائع والعلوم ،وما لذلك من الأسباب والعلل.

وإن المقدمة المشهورة ب "مقدمة ابن خلدون " هي في الحقيقة " المقدمة والكتاب الأول " من كتاب العبر.

الكتاب الثاني : في أخبار العرب وأجيالهم ودولهم منذ بدء الخليفة إلى هذا العهد، وفيه إلماع ببعض من عاصرهم من الأمم ، مثل السريانيين ، والنبط ، والفرس، وبني إسرائيل ، والقبط ،واليونان ،والترك والإفرنجة والروم. ويتضمن المجلد الثاني والثالث والرابع والخامس من كتاب العبر في هذا الكتاب الثاني.ويتناول فيها تاريخ العرب وتاريخ الإسلام وتاريخ المشرق.

---

[108] https://ar.wikipedia.org

الكتاب الثالث: في أخبار البربر، ومن إليهم من زناتة ،وذكر أوليتهم وأجيالهم وما كان لهم بديار المغرب خاصة من الملك والدول.وهذا الكتاب يتضمن المجلد السادس والسابع من كتاب العبر.والمجلد السابع ينتهي ب " التعريف بابن خلدون مؤلف هذا الكتاب"[109].

وينقسم الكتاب إلى قسمين رئيسيين:

1- المقدمة: وهي الجزء الأول من الكتاب ،وتعتبر من أهم أجزائه ، وفي المقدمة ، يتناول ابن خلدون نظرياته حول المجتمع البشري، والعمران ، والسياسة ، والاقتصاد ، والتعليم.ويقدم رؤية متكاملة حول كيفية بناء المجتمعات وتطورها ، ويشدد على أهمية العوامل الاجتماعية والاقتصادية في تشكيل التاريخ.
2- التاريخ العالمي: والجزء الثاني من الكتاب يتناول تاريخ العالم الإسلامي ، بما في ذلك تاريخ الدول والسلالات الحاكمة ، والحروب والفتوحات ، يقدم ابن خلدون في هذا الجزء سردا تاريخيا دقيقا ، يعتمد على مصادر متعددة ويحلل الأحداث التاريخية بمنظور نقدي . يعالج الجزء الثاني أيضا الإنتفاضات التي حدثت من الخوارج وغيرهم.
3- الجزء الثالث "يبدأ بولاية أسفار على جرجان والري،وفي النهاية يخبر عن الآثار التي أظهرها السلطان في أيامه.
4- الجزء الثالث يبدأ بالخبر عن فرار أبي اسحق ، وبيعة رباح به، وما يقارن ذلك من أحداث ، وينتهي بولاية القضاء الثالثة والرابعة والخامسة بمصر.

---

[109] https://www.hindawi.org/books/92914940/7/

أوّلا ،قد أنجز ابن خلدون هذا الكتاب في مدّة خمسة أشهر ،وكان ذلك في حين إقامته عند بني العريف في قلعة بني سلامة بوهران،وبعد ذلك نقحه وهذّبه وألحق به تاريخ العرب وأخبار البربر وزناتة،ثم أهداه إلى المستنصر أبي العباس،وكانت هذه النسخة موجودة حتى عام 1858م.ثم بعد مغادرته تونس ذهب إلى مصر ، وعكف فيه على تهذيب الكتاب والزيادة عليه زهاء عشرين سنة، فأضاف إليه الجزء الخاص بملوك العجم،وأقساما أخرى ألحقها بمواضعها"[110].

تشتمل كتاب العبر على عدّة مواضيع تاريخية مثل الحديث عن العمران وصفات المجتمعات البشرية، وأثر الجغرافية على الإنسان ،وسمات الأقاليم وغيرها .ومن أبواب كتاب العبر نذكر هنا غير ما ذكرناه في الفصل السابق.

أ)أخبار العرب وأجيالهم ودولهم منذ مبدإ الخليقة:

وفي هذا الباب يتكلم ابن خلدون عن العرب العاربة والعرب المستعربة، وعن ملوك التبابعة،وملوك بابل والأنباط والسريانيين،وعن ملوك الفرس.

ب) المولد الكريم وبدء الوحي:

يتكلم ابن خلدون في هذا الباب عن مولد الرسول (ص) والبعثة النبوية وبداية الوحي ونزول القرآن الكريم، وكذلك يتكلم عن جميع مراحل الدعوة الإسلاميةومن قوله في هذا الباب:

" ثم بدأ بالرؤيا الصالحة ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح،ثم تحدّث الناس بشأن ظهوره ونبوته،ثم حببت إليه العبادة والخلوة بها ، وكان يتزود للإنفراد حتى جاء الوحي بحراء لأربعين سنة من مولده وقيل لثلاث وأربعين ."

---

[110] https://ar.wikipedia.org/wiki

ج)الخلافة الإسلامية:

وفي هذا الباب يتكلم عن الخلافة الإسلامية بعد انتقال الرسول (ص) إلى الله تعالى، وعن تسلم أبي بكر(ر) الخلافة والأحداث التي جرت بين المسلمين وفي الدولة الإسلامية في ذلك الوقت مثل الحروب الردة والفتوحات الإسلامية.ويقول في هذا الباب:

" أجمع المهاجرون والأنصار على بيعة أبي بكر ولم يخالفه إلا سعد، إن صحّ خلافه فلم يلتفت إليه لشذوذه ،وكان من أول ما اعتمده انفاذ بعث أسامة ،وقد ارتدّت العرب إما القبيلة مستوعبة وإما بعض منها."

د)الدول الإسلامية :

يذكر ابن خلدون في هذا الباب "عن الدول التي قامت بعد انتهاء الخلافة الراشدة ، مثل الدولة الأموية وعن تأسيسها وخلفائها ،ثم يذكر عن بداية الدولة العباسية التي قامت على إثرها"[111].

تختلف قيمة الأبحاث والأخبار التاريخية المدونة في كتاب العبر حسب اختلاف أقسامها ، وأن أهم الأبحاث وأثمنها هي ما تتعلق بتاريخ البلاد المغربية ، لأن المعلومات المدونة عن هذا البحث إنما هي طريفة وأصيلة ،ولم ينقلها ابن خلدون من الكتب ، بل جمعها كلها بنفسه من خلال اتصاله بالقبائل المختلفة ،وخلال تنقله بين مختلف الدول المغربية، فالمجلدان الأخيران من كتاب العبر يعتبران كالمصدر الأصلي لتاريخ البلاد المغربية خلال العصور بين الفتح الإسلامي وبين الأزمنة الأخيرة ،يقول المؤرخون والمستشرقون تعمقوا في دراسة تاريخ البلاد المغربية :

---

[111] https://mawdoo3.com

" لولا كتاب العبر لما استطعنا أن نعرف شيئا عن تاريخ البلاد والشعوب المغربية خلال العصور المذكورة"

إن هذا القسم من تاريخ ابن خلدون ترجم إلى لغة أوربية ترجمة كاملة ، فنشرت ترجمته إلى اللغة الفرنسية في مجلدين (1852، 1856)، وكذلك طبعت من جديد في باريس سنة (1925، 1927)

وأما القسم المتعلق بتاريخ المشرق ، فقد اقتبس ابن خلدون معلوماتها وجمعها من كتب معلومة ، وليس له اختلاف عن هذه الكتب إلا في كيفية التبويب والتلخيص والعرض.

إن ابن خلدون عندما أراد بتأليف هذا الكتاب حصر قصده على تاريخ المغرب وحده ،لعدم إطلاعه على تاريخ المشرق ، إنه أعلن عن هذا القصد بصراحة في مقدمة "المقدمة "حيث يقول:

" وأنا ذاكر في كتابي هذا ما أمكنني به في هذا القطر المغربي،إما صريحا أو مندرجا في أخباره وتلويحا، لاختصاص قصدي في التأليف بالمغرب وأحوال أجياله وأممه وذكر ممالكه ودوله دون ما سواه من الأقطار،لعدم إطلاعي على أحوال المشرق وأممه[112]،وإن الأخبار المتناقلة لا تفي كنه[113] ما أريده منه"[114].

وأما كتاب العبر الموجود عندنا فهو متضمن عن أحوال المشرق وتاريخه ضعيف بما يتضمنه أحوال المغرب وتاريخه،وهذا دليل على أن ابن خلدون قد

---

[112] وتحسب هذه المكرمة لابن خلدون المعترف بقصر معرفته عن إدراك أحوال المغرب، كما اتبع قاعدة ألزم بها نفسه في البداية ، وهي عدم الوقوف مع الأخبار التي نقلها الإخباريون ، أو المؤرخون المتقدمون عليه كالطبري ، وليس ذلك إلا لقناعة شخصية من ابن خلدون بأنهم قد ضلوا الطريق ، ولم يحققوا له الثقة التي ابتغاها.

[113] كنه: حقيقة

[114] مقدمة ابن خلدون : ص : 53

أضاف هذا القسم بعد انتقاله إلى مصر، مخالفا لقصده الأصلي وخطته الأولى.وإنما تم ذلك عن طريق الجمع والاقتباس من الكتب المختلفة.

أهمية هذا الكتاب:

يعتبر هذا الكتاب ذات أهمية كبيرة لعدّة أسباب:

- المنهج العلمي:

يعتبر ابن خلدون أحد رواد المنهج العلمي في دراسة التاريخ، يعتمد في كتابته على الملاحظة والتحليل النقدي للمصادر، ويقدم نظريات حول كيفية تفسير الأحداث التاريخية .

- نظرية العصبية :

يقدم ابن خلدون في مقدمة هذا الكتاب نظرية العصبية ، التي تشرح كيفية تأثير الروابط القبلية والاجتماعية على بناء الدول وتطورها ، وهذه النظرية تعتبر واحدة من أهم النظريات في علم الاجتماع السياسي.

- التأثير على الفكر الاجتماعي والسياسي:

أثرت مؤلفات ابن خلدون بشكل كبير على الفكر الاجتماعي والسياسي في العالمين العربي والإسلامي ، وكذلك في أوربا ، وقد استفاد العديد من المفكرين والمؤرخين من أفكاره ونظرياته في أعمالهم.

كتاب "لباب المحصل في أصول الدين"

وهذا الكتاب اختصار وتلخيص وتهذيب لكتاب "محصل أفكار المتقدّمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين" لفخر الدين الرازي في علم

الكلام،وانتهى ابن خلدون من اختصاره في السابع والعشرين ابريل سنة 1351م ، وهو من أوائل كتبه، طبع في القاهرة سنة 1905م ،عندما فرغ ابن خلدون من تأليف هذا الكتاب كان عمره تسع عشر سنة وستة أشهر فقط.وهذا يدل على شوقه في علم الكلام.

وهو عبارة عن خلاصة لجميع الثقافات العربية الإسلامية فيما يخصّ مسألة العقيدة وانعكاساتها الفلسفية،وقد ذكر ابن خلدون في مقدّمة الكتاب عن سبب تأليفه لهذا الكتاب، وذلك إنه قرأ كتاب المحصل على شيخه محمد بن إبراهيم الآبلي شيخ العلوم العقلية في المغرب، وقال: "إلى أن قرأنا بين يديه كتاب المحصل الذي صنعه الامام الكبير فخر الدين الرازي، فوجدناه كتابا احتوى على مذهب كل فريق ، وأخذ في تحقيقه كل مسلك وطريق إلا أنّ فيه إسهابا لا تميل همم أهل العصر إليه وإطنابا لا تعوّل قرائحهم عليه ، فرأيت بعون الله تعالى أن أحذف من ألفاظه ما يستغنى عنه وأترك منها ما لا بدّ منه ،وأضيف كل جواب إلى سؤاله ،وأنسج في جميعها على منواله ، فاختصرته وهذّبته وحذوت ترتيبه ، وأضفت إليه ما أمكن من كلام الامام الكبيرنصير الدين الطوسي وقليلا من بنيات فكري وعبرت عنهما في "ولقائل أن يقول " وسميته "لباب المحصل " فجاء بحمد الله رائق اللفظ والمعنى ، مشيّد القواعد والمبنى."

يقول الدكتور عباس محمد حسن سليمان في مقدمة "لباب المحصل" :

" ارتبطت الفلسفة بالدراسات الكلامية ارتباطا شديدا منذ أواسط القرن الخامس الهجري،وهو أمر كان له أثره الكبير في طبيعة الدراسات الكلامية في الإسلام،ولا أدل على تلك السمة الجديدة في تطور علم الكلام، من أن المتكلمين المتأخرين قد استخدموا المنطق الصوري في مؤلفاتهم ، ومن ثم بدأ علم الكلام بداية جديدة

اتضحت فيها علاقته بالفلسفة والمنطق ،وذلك على الرغم من صيحات الفقهاء ضد الفلسفة والمنطق والمشتغلين بهما."

ويقول أيضا :

" إنه إذا كان ارتباط المنطق بالفلسفة سببا في ازدهاره ، فإن ارتباطه بعلم الكلام كان هو السبب الحقيقي وراء استمراره في العالم الإسلامي."

يقارن الأستاذ الدكتور محمد علي أبو ريان بين موقف ابن خلدون من علم الكلام في" مقدمته"،وموقفه من علم الكلام في " لباب المحصل"،ويلاحظ أن أسلوب ابن خلدون في ملخصه المسمى لباب المحصل يختلف تماما عن أسلوبه في "المقدمة".

محتويات الكتاب:

تتضمن هذا الكتاب على مقدمة وأربعة أركان:

وفي "المقدمة" ، يبين ابن خلدون عن السبب الذي دفعه لتلخيص هذا الكتاب، ويؤكد ابن خلدون نقلا عن الآبلي الذي قرأ عليه "المحصل " – الأصل الذي صنفه فخر الدين الرازي – "أن هذا المؤلف يحتوي على جملة من الآراء والمذاهب ،حيث يذكر أنه وجده كتابا احتوى على مذهب كل فريق،وأخذ في تحقيق كل مسلك وطريق،إلا أنه فيه اسهابا لا تميل همم أهل العصر إليه، وإطنابا لم تتعوده عقولهم، فلهذا حذف من ألفاظه ما يستغنى عنه، وترك ما لا بدّ منه، وأضاف كل جواب إلى سؤاله،وحاول على قدر المستطاع أن يوجد تنسيقا وانسجاما بين مباحث

هذا الكتاب ، وهو بصدد اختصارهوتهذيبه وترتيبه، وأيضا أضاف إليه ما أمكن من كلام الإمام الكبير نصير الدين الطوسي"[115].

الركن الأول:

يكون الركن الأول في المقدّمات، وهي ثلاث: الأولى في البديهات ،وسماها الرازي في "المحصل" بالعلوم الأولية ، وتشتمل القول في التصورات والتصديقات ، والردّ على من ينكرالبديهات ، والثانية في النظر، وتشتمل الكلام في مسائل مرتبطة بتعريف النظر وأحكامه، والثالثة تشتمل على الدليل وأحكامه.يذكر ابن خلدون في هذا الركن عن البديهيات : "أنها حقائق تدرك في ذاتها من حيث هي هي ، دون أي إعتبار أو تصور ،وي أنه يحاول بعدذلك معالجة موضوع التصورات،فيرى أنها غير مكتسبة ، وذلك لأمرين : أولهما : إن المطلوب إن كان مشهورا به طُلب حصوله ، وثانيهما: إن تعريف الماهية لا يكون بذاتها "[116].

ويذكر ابن خلدون "أن البسائط من المحسوسات،ومن فقد حسا فقد العلم المقابل له"، وهذا الرأي الذي يقول به الطوسي ضعيف من وجهة نظر ابن خلدون ، لأن الطوسي حينما أراد أن يعطي أمثلة على البسائط أورد بعض البديهيات كأمثلة عليها ، وتتضمن على أمثلة أربعة:

_ "أن النفي والإثبات لا يجتمعان ولا يرتفعان

_ أن الكل أعظم من الجزء

_ الأشياء المساوية لشيئ واحد متساوية

_ والجسم الواحد في الزمان الواحد لا يكون في مكانين"

---

[115] https://archive.org/details/2964Pdf/page/10/mode/1up?view=theater

[116] لباب المحصل في أصول الدين : ص : 19

الركن الثاني:

يكون الركن الثاني في المعلومات، إنّه يشتمل على عرض لمسائل الوجود والموجودات أي الواجب لذاته والممكن لذاته ، والعرض والجوهر ، والقديم والحادث،وبعد ذلك أورد خاتمة لهذا الركن، وفيها نظران: الأول في الوحدة والكثرة والثاني في العلة والمعلول.

والمعلومات على رأي الفلاسفة إما موجودة أو معدومة ،وهذا التصور أمر بديهي حسب رأي المعتزلة والفلاسفة. وينقسم الموجودة إلى جوهر وعرض وأيضا إلى الثابت والمنفي.ويختتم ابن خلدون التكلم هن هذا الركن بالكلام عن الأجسام في مقوماتها وفي عوارضها .

الركن الثالث:

يكون الركن الثالث تلخيصا للإلهيات عند الرازي ، وفيه أقسام:

أولا "في الذات: وفيه عرض لأنواع الاستدلال على وجود الذات،وينتهي رأي الرازي إلى القول بأنّ المؤثر في كل الأحوال وفي النهاية هو الله وهو الواحد في ذاته ، والعالم كله من آثاره ، وأنه على رأي الفلاسفة واجب الوجود وخلافا لرأي الملاحدة .

ثانيا في الصفات: وهذا ملخص شامل لأقوال الفلاسفة والمعتزلة في صفات الله والردود عليها .

ثالثا في الافعال:وفيه ردّ على المعتزلة في خلق أفعال العباد والقول بالتولّد والقول بالحسن والقبح الذاتيين ،والقول بنسبة العوض واللطف والصلاح إلى الله تعالى.

رابعا في الأسماء: يقول فيه إنّ أسماء الله تشير وتدلّ في الحقيقة على الماهية الإلهية في تمامها أو في وجودها الأساسي.

الركن الرابع:

يكون الركن الرابع في السمعيات ، وفيها النبوات، والمعاد ،والأسماء والأحكام ،والإمامة والشيعة. وينتهي هذا الركن من الكتاب بإيراد رأي الرازي في الإسماعيلية إذ يرميهم بالفسق ، بل بالكفر،لأنهم يقدحون في الشرع ، ويقولون بالقدم ،وكذلك يرد على بعض مبادئ الشيعة "[117].

وقد كتب الدكتور محمد علي أبو ريان خلاصة لعرضه في كتاب لباب المحصل ومنها [118]:

"إن ابن خلدون لم يلتزم في عرضه لمشكلات علم الكلام في "المقدمة" ،بما أورده في كتاب " المحصل " للرازي ، ويبدو أنه كان يواجه مواقف ثلاثة من المفكرين في موجز المحصل، وهم الرازي والطوسي ، وأستاذه " الآبلي ، ولهذا لم يستكع أن يضع بصماته الفكرية الكلامية الأشعرية على هذه الرسالة الموجزة ، وأنه تناول مشكلات فلسفية بحتة ،وكانت السمة الغالبة على تطور علم الكلام ودخوله إلى المجال الفلسفي واستفادته من مواقف الفلاسفة، فقد جاءت معالجاته لمشكلة الإلهيات معالجة فلسفية كاملة، ويتضح هذا في كلامه على المثل الأفلاطونية ،وعلى الواجب والممكن ،والموجود والمعدوم،وواجب الوجود"[119].

- استخدم ابن خلدون في "مقدمته" القياس الفقهي ، وإنه لم يستعمل فيه الأقيسة المنطقية، ولكنه استخدم في لباب المحصل كل أنواع الإستدلال من قياس واستقراء وكذلك قياس الأصوليين،وقد وضح أنّ المتكلمين

---

[117] https://archive.org/details/2964Pdf

[118] لباب المحصل في أصول الدين ص: 32

[119] نفس المرجع : ص : 33

المتأخرين كيف اختلطوا علم الكلام بالفلسفة ،وإنما يرجع إليهم فضل التعرض لمشكلات علم الكلام بأسلوب منطقي قياسي.

- تحدث ابن خلدون في " على التوحيد المطلق بالمعنى الذي أشار إليه المتكلمون ، وليس بالمعنى الذي أشار إليه الفلاسفة ، ويقول طويلا عن الإلهيات، فيرى أنها واجبة بالدليل ، لا بالدليل العقلي وحده كما يقول المعتزلة ،ويناقش في المقدمة أيضا عن الذات والصفات ،ومسألة التولد عند المعتزلة ، ومشكلة الإمامة عند الشيعة وأهل السنة.
- ويتحدث ابن خلدون كثيرا عن معالجة المشكلات الكلامية عند المبتدعة وأهل السنة،ويرفض كل مواقفهم، ويسلم بموقف السلف من الذات والصفات، ثم يعرض للقائلين بالمعاني ، وللذين قالوا بخلق القرآن ، ويرفض أقوالهم جميعا ، ويتمسك بالرأي الوسط لأبي الحسن الأشعري ، فيرفص آراء المعتزلة والمشبهة أي أصحاب الجهة"[120]

كتاب التعريف

برع ابن خلدون في فن الأوتوبيوغرافيا ، وهو ترجمة المؤلف لذاته ،ويعدّ ابن خلدون مظهرا في هذا الفن من بين مؤرخي العرب وسماه كتابه باسم "التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا".وكثير من مؤ رخي العرب وأدبائهم قد سبقوا ابن خلدون في هذا الفن، مثل ياقوت الحموي في "معجم الأدباء"، ولسان الدين ابن الخطيب ، وكان معاصر لابن خلدون وصديقه ، في كتابه "رفع الأصر عن قضاة مصر" .

[120] https://archive.org/details/2964Pdf/page/34/mode/1up?view=theater

وكل من كتبوا في الترجمة الذاتية قبل ابن خلدون قد اكتفوا بتراجم موجزة ، ولكن ابن خلدون هو أول من كتب عن نفسه ترجمة رائعة طويلة يتحدّث عنها عن تفاصيل ما جرى له وماأحاط به من حوادث من النشأة إلى ما قبل وفاته ببضعة أشهر. وهو يتحدث عنه بدقة المؤرخ الأمين الحريص على الاستيعاب والشمول،فإنه لا يترك شيئا مما حدث في حياته إلا سجّله بدقة حتى الأمور التي يكره الناس أن يذكر من خلق غير كريم،وبذلك تتضمن هذه الترجمة في الفن التاريخي المشهور بالاعترافات،كما فعل الامام الغزالي في كتابه" المنقذ من الضلال" .

ولا يذكر ابن خلدون في هذا الكتاب على تاريخ حياته فقط،ولكنه يذكر أمورا كثيرة مما يتصل بهذا التاريخ من حوادث ووثائق وخطب ورسائل وقصائد، ويصور أحوال كثير من المجتمعات والنظم وكذلك يوضح أحوال العصور التي عاشها أحسن توضيح، وذكر طائفة كبيرة من الرسائل التي أرسلها أصدقائه له مع نصوصها الكاملة ، وذكر كذلك كثيرا من قصائدهم وأشعارهم ومن التقارير الرسمية والخطابات المتبادلة بين الملوك والسلاطين وخطبه في مجالس التدريس ودروسه ورسائله وأشعاره وأيضا فيه بحوث تاريخية قيمة لبعض الدول.وكذلك تصوير دقيق لحالة فساد القضاء في مصر وكان ذلك لما كان في منصبه قاضي قضاة المالكية في مصر ،وكذلك يصور طريقة تبادل الهدايا بين الملوك والامراء وكتابة الرسائل والقرارات الرسمية ، ويشتمل أيضا على تراجم مفصلة لكثير من رجالات السياسة والعلم والأدب.

وفي طبعة بولاق ينتهي كتاب العبر ب "التعريف بابن خلدون " ،ويدوّن فيه ترجمة حياة المؤلف حتى سنة 1395م (797هـ)،وفي هذه السنة أرسل نسخة كاملة

من التاريخ إلى السلطان المغرب الأقصى،وبعد ذلك أيضا واصل ابن خلدون ترجمة حياته حتى سنة 1405م (807هـ) ، وقد توفي بعام واحد.

إن ابن خلدون لما واصل تدوين الترجمة ، فصّلها عن كتاب العبر وسماها " التعريف بابن خلدون مؤلف هذا الكتاب ورحلته شرقا وغربا". وفي سنة 1951م طبع كتاب التعريف على نفقة "لجنة النشر والتأليف والترجمة" في القاهرة بعد التحقيقات التي قام بها ،مع الحواشي التي كتبها السيد محمد بن تاويت الطنجي ، وبذلك أصبح "كتاب التعريف " كتابا خاصا مثل "المقدمة".

ومما تقدم يجب أن يعتبر "كتاب التعريف" مؤلفا من قسمين حسب تاريخ كتابة وقائعه، القسم الأول : هوما كتبه قبل سنة 1395م ،وفيه 278 صفحة ، والقسم الثاني : هو ماكتبه بعد سنة 1395م ، وفيه 106 صفحات .

وأما الأبحاث المسرودة في القسم الأول فنجد فيه كثيرا من الأبحاث المتكررة ،تارة مع التفصيل وتارة مع التلخيص وذلك بسبب كتابته في أوقات مختلفة، وبإلحاق الكتابات الجديدة بالقديمة حسب أوقات كتابتها، وأنها أضيفت في بعض الأحيان بين الفقرات المكتوبة من قبل.

وفي هذا الكتاب ، عندما يذكر ابن خلدون أسماء العلماء الذين درسوا منهم ، يكتب تراجم أحوال كل واحد منهم بتفصيل ،ويذكر عن مكان ولادتهم ويثبت تاريخ وفاتهم، وكذلك يذكر كثيرا من الوقائع التاريخية وعندما يذكرها ، يفصلها تفصيلا وافيا،ففيه كثير من الأبحاث التاريخية ، وفيه أيضا من الوثائق الأدبية ،لأنه يدوّن فيه بعض الرسائل التي تلقاها من أصحابه مع النصوص الكاملة ، وطائفة من أشعارهم وقصائدهم أيضا . وكذلك يضم بعض من خطب ابن خلدون نفسه.مثل الخطاب الموجه إلى ابن الخطيب جوابا على إحدى رسائله التي أرسلها إليه،والخطب

الافتتاحية التي ألقاها عند جلوسه للتدريس في المدرسة القمحية والمدرسة الظاهرية وغيرها .

يتضمن في هذا الكتاب خطابات عديدة صادرة من لسان الدين ابن الخطيب،وخطابا من ابن زمرك،الذي كان كاتب السر للسلطان ابن الأحمر ،وخطابا آخر من علي بن البني قاضي الجماعة في غرناطة،ويتضمن أيضا بعض الخطابات الرسمية ،مثل الخطاب العام الموجهمن سلطان غرناطة إلى عماله لتسهيل سفر ابن خلدون خلال عودته من الأندلس إلى بجاية، والخطاب الذي أرسله سلطان مصر إلى سلطان تونس ، يطلب منه تسفير أسرة ابن خلدون إلى القاهرة. وفوق ذلك كله ، دوّن ابن خلدون بعض من أشعاره وقصائده فيه.وبالجملة إن " كتاب التعريف " هو وثيقة تاريخية وأدبية يستحق اهتمام الدارسين فيها .

اهتم ابن خلدون في "كتاب التعريف " بتسجيل الوقائع وتفصيلها اهتماما شديدا ، ولكنه لم يعتن بتدوين الأفكار والإنفعالات،فإن عباراته في وصف الإنفعالات موجزة ومحدودة ، مثل ما يقول في قضية سجنه : " قبض عليّ ، وامتحنني ، وحبسني."وكذلك يذكر عن النكبة التي توفي فيها والديه بقوله: "كان الطاعون الجارف ،وذهب بالأعيان والصدور وجميع المشيخة ،وهلك أبواي رحمهما الله." وكذلك يذكر عن غرق أهله بقوله : " وافق ذلك مصاب الأهل والولد، وصلوا من المغرب بالسفين، فأصاب عاصف من الريح فغرقت ، وذهب الموجود والسكن والمولودن وعظم المصاب."

وقد "كتب ابن خلدون ترجمة حياته كأنّه يسجل وقائع تاريخية ،ولم يسجل انفعالاته إلا نادرا .ولكنه عندما تكلم عن عمله في منصب القضاء في مصر سجله

في ست صفحات مشبوبا بالانفعال،وكذلك ذكر عن ملاقاته مع تيمور لنك في نحو اثنتي عشرة صحيفة "[121]

يقول ابن خلدون عن تولية منصب القضاء :

"خلع علي السلطان بإيوانه، وبعث من كبار الخاصة من أقعدني بمجلس الحكم بالمدرسة الصالحية بين القصرين ، فقمت بما دفع إليّ من ذلك المقام المحمود،ووفّيت جهدي بما أمّنني عليه من أحكام الله ، لا تأخذني في الحق لومة ، ولايزعني عنه جاه ولا سطوة ، مسويا في ذلك بين الخصمين ، آخذا بحق الضعيف من الحكمين ، معرضا عن الشفاعات والوسائل من الجانبين ، جانحا إلى التثبت في سماع البينات،والنظر في عدالة المنتصبين لتحمل الشهادات، فقد كان البر منهم مختلطا بالفاجر ، والطيب ملتبسا بالخبيث، والحكام ممسكون عن انتقادهم، متجاوزون عما يظهرون عليه من هناتهم، لما يموهون به من الاعتصام بأهل الشوكة ، فإن غالبهم مختلطون بالأمراء معلمون للقرآن ،وأئمة في الصلوات ، يلبسون عليهم العدالة ،فيظنون بهم الخير، ويقسمون لهم الحظ من الجاه في تزكيتهم عند القضاء والتوسل لهم ، فأعضل دائهم ، وفشت المفاسد بالتزوير والتدليس بين الناس منهم، ووقفت على بعضها ، فعاقبت فيه بموجع العقاب ومؤلم النكال ، وتأدّى إلي العلم بالجرح في طائفة منهم ، فمنعتهم من تحمل الشهادة، وكان منهم كتاب لدواوين القضاة والتوقيع في مجالسهم،قد دَرِبوا على إملاء الدعاوى وتسجيل الحكومات ، واستخدموا للأمراء فيما يعرض لهم من العقود، بأحكام كتابتها وتوثيق شروطها ،فصار لهم بذلك شفوف على أهل طبقتهم ، وتمويه على القضاء بجاههم،يدرعون به مما يتوقعونه من عتبهم،لتعرضهم لذلك بفعلاتهم،وقد يسلط بعض منهم قلمه على العقود المحكمة ،فيوجد السبيل إلى حلها بوجه فقهي أو كتابي،ويبادر إلى ذلك

[121] https://www.hindawi.org/books/92914940/7/

متى دعا إليه داعي جاه أو منحة، وخصوصا في الأوقاف التي جاوزت حدود النهاية في هذا المصر بكثرة عوالمه،فأصبحت خافية الشهرة ،مجهولة الأعيان ، عرضة للبطلان،باختلاف المذاهب المنصوبة للحكام بالبلد،فمن اختار فيها بيعا أو تمليكا شارطوه وأجابوه،مُفْتاتين فيه على الحكام الذين ضربوا دونه سدّ الحظر والمنع حماية عن التلاعب، وفشا في ذلك الضرر في الأوقاف،وطرق الضرر في العقود والأملاك"[122]

ويقول أيضا فيه "فعاملت الله في حسم ذلك بما آسفهم علي وأحقدهم،ثم التفت إلى الفتيا بالمذهب،وكان الحكام منهم على جانب من الخبرة،لكثرة معارضتهم وتلقينهم الخصوم،وفتياهم بعد نفوذ الحكم،إذا فيهم أصاغر ببناهم يتشبثون بأذيال الطلب والعدالة ولا يكادون،وإذا بهم طفروا إلى مراتب الفتيا والتدريس، فاعتقدوها وتناولوها بالجزاف،واحتازوها من غير مثرب ،ولا منتقد للأهلية ولا مرشح ،إذ الكثرة فيهم بالغة ، ومن كثرة الساكن مشتقة ، وقلم الفتيا في هذا المصر طلق ، وعنانها مرسل،يتجاذب كل الخصوم منه رسنا ،ويتناول من حافته شقا، يروم به الفلج على خصمه،ويستظهر به لإرغامه،فيعطيه المفتي من ذلك ملء رضاه، وكفاه أمنيته ، متتبعا إياه في شعب الخلاف،فتتعارض الفتاوى وتتناقض،ويعظم الشغب إن وقعت بعد نفوذ الحكم،والخلاف في المذاهب كثير،والإنصاف في المذاهب متعذر، وأهلية المفتي أو شهرة الفتيا ليس تمييزها للعامي،فلا يكاد المدد ينحسر ، ولا الشغب ينقطع"[123].

وأيضا يقول: "فصعدت في ذلك بالحق،وكبحت أعنّة أهل الهوى والجهل، ورددتهم على أعقابهم ، وكان فيهم ملتقطون سقطوا من المغرب،يشعوذون بمفترق

---

[122] ابن خلدون ،كتاب التعريف
[123] المرجع السابق

من اصطلاحات العلوم هنا وهناك، لا ينتمون إلى شيخ مشهور،ولا يعرف لهم كتاب في فن،قد اتخذوا الناس هزوا،وعقدوا المجالس مثلبة للأعراض ومأبنة للحرم،فأرغمهم ذلك مني،وملأهم حسدا وحقدا عليّ، وخلوا إلى أهل جلدتهم من سكان الزوايا المنتحلين للعبادة،يشترون بها الجاه ليجيروا به على الله،وربما اُضطر أهل الحقوق إلى تحكيمهم،فيحكمون بما يلقي الشيطان على ألسنتهم ، يترخصون به للإصلاح،ولا يزعهم الدين عن التعرض لأحكام الله بالجهل،فقطعت الحبل في أيديهم،وأمضيت أحكام الله فيمن أجاروه، فلم يغنوا عنه من الله شيئا،وأصبحت زواياهم مهجورة، وبئرهم التي يمتاحون منها معطلة،وانطلقوا يراطنون[124] السفهاء في النيل من عرضي، وسوء الأحدوثة عني بمختلف الإفك،وقول الزور يبثونه في الناس،ويدسون إلى السلطان التظلم مني، فلا يصغى إليهم ، وأنا في ذلك محتسب عند الله ما منيت به هذا الأمر،ومعرض فيه عن الجاهلين، وماض على سبيل سواء من الصرامة،وقوة الشكيمة،وتحري المعدلة،وخلاص الحقوق ، والتنكب عن خطة الباطل متى دعيت إليها،وصلابة العود عن الجاه والأغراض،متى غمرني لامسها،ولم يكن ذلك شأن من رافقته من القضاة،فنكروه علي،ودعوني إلى تبعهم فيما يصطلحون عليه من مرضاة الأكابر ومراعاة الأعيان،والقضاء للجاه بالصور الظاهرة، أودفع الخصوم إذا تعذرت،بناء على أن الحاكم لا يتعين عليه الحكم مع وجود غيره، وهم يعلمون أن قد تمالئوا عليه.

وليت شعري ما عذرهم في الصور الظاهرة إذا علموا خلافها ، والنبي (ص) يقول في ذلك: " من قضيت له من حق أخيه شيئا ، فإنما أقضي له من النار."

---

[124] يراطنون : يكلمونهم بالعجمية

فأبيت في ذلك كله إلا إعطاء العهدة حقها ،والوفاء لها ولمن قلدنيها،فأصبح الجميع علي ألبا ، ولمن ينادي بالتعفف مني عونا"[125].

كتاب "شفاء السائل لتهذيب المسائل"

اعتمد ابن خلدون في هذا الكتاب المنهج العلمي مبنيا على العرض والتحليل والاستنتاج والمناقشة ،وأورد لكل المسائل دليلها وكذلك ولكل آراء حجتها لكي يصل إلى النتائج التي ساق إليها البحوث الجادة.وهذا البحث يؤدّي إلى القناعة العلمية وإلى الغاية الصحيحة.وهذا الكتاب مرجع مهم في علم التصوف، وبدأ البحث بالحديث عن نشأة التصوف.

وقال ابن خلدون: "بدأ بحركة خاصة قامت تدعو إلى الزهد ، قبل أن يقوم المذهب الصوفي المعروف، ثم أخذ يفصل في التطور التاريخي لكلمة التصوف، مشيرا إلى مدلولها عند السلف، ومدى اهتمام الصحابة رضوان الله عليهم بأعمال الباطن ، معرجا على ظهور فرق جديدة ، ونشوء بعض المعتقدات ،وإهمال أعمال القلب، الأمر الذي أدّى إلى قيام دعوة صادقة للمحافظة على الحياة الروحية ، وعندئذ ظهر اصطلاح التصوف في نهاية القرن الثاني الهجري،وظهر معه ما سمي فقه الظاهر وفقه الباطن."

و بين ابن خلدون عن المفهوم اللغوي والاصطلاحي لكلمة "التصوف" وكذلك يبين عن مكانة التصوف عند المسلمين ، ومجاهدة النفس والزهد في الدنيا عند الصوفيين،ورياضات المتصوفين وطرقهم وكرامتهم.

ونسبة شفاء السائل إلى ابن خلدون :

---

[125] التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا : ص : 254-258

وللباحثين اختلاف في نسبة هذا الكتاب لابن خلدون ،وينسب بعض العلماء هذا الكتاب إلى عم والده الذي يتفق في اسمه وكنيته ،لأنّ والد ابن خلدون ،لم يكن يكنى بأبي بكر ولكنه كان يكنى بأبي عبد الله، وكذلك لم يذكر ابن خلدون عن هذا الكتاب في كتابه "التعريف" مع أنّه ذكر جميع مؤلفاته ورسائله وخطبه في هذا الكتاب. ولكن بعضا من علماء التصوف أشاروا إليه في كتبهم، يقول الأستاذ محمد بن تاويت الطنجي رحمه الله: "إنّ الشيخ زرّوق في كتابه " عدّة المريد" أشار إليه وونسبه لأبي زيد بن خلدون ،وذكره كذلك في شرح " القصيدة النونية " للششتري،وفي " النصيحة الكافية"، ثم ذكره أيضا الشيخ أبو عبد القادر الفاسي ، ومن بعده أبو عبد الله المناوي في كتابه " جهد المقل القاصر" فقال : " والذي كنا نسمعه في الجواب المذكور(أي شفاء السائل) ورأيته في صدر بعض نسخه أنه لولي الدين أبي زيد عبد الرحمن بن خلدون صاحب التاريخ المشهور" [126].

إنّ الشيخ أباعلي اليوسي تملك نسخة من الكتاب منسوبة لابن خلدون ، و تحتفظ بهذه النسخة في دار الكتب المصرية، وكتب عليها تملكه، و ألف اليوسي رسالة في الموضوع ذاته،وأجاب عن المسألة عينها ،وليس فيه نص بما ينفي نسبة الكتاب لابن خلدون سواء كان في مؤلفاته أم على النسخة التي تملكها، ومما يؤيد أنّ المصنَّف لابن خلدون اتفاق الرأي في جوانب كثيرة من حيث العرض والمنهج والنتائج والتحليل،والمعلومات التي ذكرت في الكتاب، وفي "مقدمته" للتاريخ المشهور الذي أورد فيها فصلا في التصوف ، وفصلا في الرؤيا ، وفصلا في أصناف المدركين للغيب،وفصلا في أسرار الحروف،وكذلك تبدأ النسخة المنسوبة لابن خلون بالعبارة الآتية:

---

[126] https://archive.org/details/3088Pdf/page/n10/mode/1up?view=theater

" قال الشيخ الفقيه الرئيس الأوحد،نسيج وحده وفريد فضله وحده ، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون نفعه الله ونفع به[127]".

وتختم بقول الناسخ :

" تم التقييد المسمى ب " شفاء السائل في تهذيب المسائل " للشيخ الرئيس أبي زيد عبد الرحمن بن خلدون ، نفعه الله بذلك، جوابا على المناظرة الصوفية التي كتبها الشيخ الإمام أبو اسحق الشاطبي رحمه الله ،سائلا علماء عصره بالعدوة المغربية الجواب عنها والفصل فيها ، وكان الفراغ من تقييده في وسط جمادى الآخرة عام ستة عشر وثماني مائة ،عرف الله بركته على يدي عبيد الله المشفق من ذنبه ، الراجي عفو ربه محمد المدعو بأبي يحيى بن محمد بن عاصم بن أبي عاصم القيسي ،لطف الله به في الدارين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما"

ويستفاد من هذين النصين من نسبة الكتاب لابن خلدون للأمور التالية :

أ) يبدأ الكتاب بنسبته لابن خلدون ، وينتهي بهذه النسبة أيضا

ب) "نسخ عن نسخة كتبت سنة 816 هـ ، أي بعد وفاة ابن خلدون بثماني سنوات فقط.

ت) ناسخ الكتاب عالم ثقة كبير، عرف بالأنلس بلقب قاضي الجماعة ، ولقب خاتمة رؤساء الأندلس، وهو من أسرة بني عاصم ، الأسرة المعروفة بالعلم والفضل ، والرئاسة .

وهذا كله حجة على من نفى نسبة الكتاب لصاحبه"[128]

---

[127]شفاء السائل لتهذيب المسائل ،ص:11

[128] شفاء السائل لتهذيب المسائل ، ص : 11-12

منهج الكتاب ومحتواه:

نهج ابن خلدون في هذا الكتاب المنهج العلمي الذي يعتمد على العرض والتحليل والاستنتاج والمناقشة،وبدأ البحث بالحديث عن نشأة التصوف، فقال : " إنه بدأ بحركة خاصة قامت تدعو إلى الزهد،قبل أن يقوم المذهب الصوفي المعروف "

ثم فصل ابن خلدون المدلول اللغوي والاصطلاحي لكلمة التصوف ، وبعد ذلك يبين عن مكانة التصوف عند المسلمين ومجاهدة النفس عند الصوفية ، وعن الزهد في الدنيا ، ولإظهار حقيقة التصوف قدم بقدمات أربع لبحثه:

1- في "ماهية الروح والنفس والعقل والقلب"
2- في "كيفية اكتساب الروح للمعارف والعلوم"
3- في "معنى السعادة وتفاوتها"
4- في "بيان لذة المعرفة في الدنيا"

لما تكلم عن كلمة التصوف واختلاف مدلولاتها إنه "قسم المجاهدات إلى ثلاثة أقسام ، مجاهدة التقوى ، ومجاهدة الاستقامة ،ومجاهدة الكشف ،وأنه بين مشروعية هذه المجاهدات، وأشار إلى أن الإمام غزالي جمع بين هذه الثلاث في كتابه "إحياء علوم الدين "، ثم قال عن مقصود اشتراط الشيخ في المجاهدة ،وقال : إنّ مجاهدة التقوى فرض عين ،ووجود الشيخ فيها شرط كمال ، في حين تحتاج مجاهدة الاستقامة إلى المعلم المرشد لصعوبة الإطلاع على مكانة النفس وأحوال القلب،ورأى أن مجاهدة الكشف والمشاهدة تتأكد فيها حاجة المريد إلى الشيخ، وبعد أن بين أنّ مصطلحات القوم خاصة بهم ،انتقل للفصل بين المتناظرين وعين

الحق في أقوالهم ، ليصل إلى أهمية السلوك على الشيخ في كل مجاهدة واستحباب ذلك أو وجوبه ،وختم بحثه باختصار ما توصل إليه من نتائج"[129]

[129] https://archive.org/details/3088Pdf/page/n10/mode/1up?view=theater

الباب الثالث

مقدمة ابن خلدون: دراسة تحليلية

الفصل الأول: لمحة عن "مقدمة ابن خلدون"

الفصل الثاني: ابن خلدون وعلم الاجتماع

الفصل الثالث: فلسفة ابن خلدون

الفصل الأول

لمحة عن "مقدمة ابن خلدون"

يعتبر كتاب " المقدمة " لابن خلدون من أهم تأليفاته ،وهو في الأصل مقدمة لكتابه التاريخي المعروف بكتاب " العبر"المكون من سبعة مجلدات، واسمه الكامل كتاب" العبر وديوان المبتدإ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر"،لكن المقدمة اشتهر كعمل مستقل بذاته يتناول هذا الكتاب عن تاريخ الإنسانية وأسس علم الاجتماع ونظريات حول نشوء الدول وتطورها وسقوطها والعمران البشري والعلوم والاقتصاد،يقدم ابن خلدون في "المقدمة" رؤية متكاملة حول كيفية بناء المجتمعات وتطورها ، ويشدد على أهمية العوامل الاجتماعية والاقتصادية في تشكيل التاريخ، وهو مرجع هام في مجال التاريخ والفلسفة الاجتماعية.وقد ترجمت إلى العديد من اللغات وأثرت في الفكر العالمي.

وقد قال عنه محقق المقدمة حامد أحمد الطاهر: " ومقدمة ابن خلدون تعبر عن رجل مولع بالتحليل ، والإستقصاء، وسبر أغوار الحوادث والوقائع، بل رجل له تطلعات إبداعية ،ونزعة نحو التجديد في عصور الظلام التي عاشتها الأمة ورآها هو بنفسه ففتح الباب نحو آفاق جديدة بكر ، لم يكن الإسلاميون من المؤرخين والكتاب قد وصلوا إليها بعد."[130]

كتب ابن خلدون "المقدمة" سنة1377م (779هـ) حينما كان في قلعة بني سلامة،بعد الوصول في منتصف العقد الخامس من عمره،وبعد مشاهدة كثيرا من الانقلابات السياسية،واشتراك في عدد غير قليل منها،"إنّ الأمور التي شاهدها خلال

---

[130] مقدمة ابن خلدون : ص: 5

هذه السنوات الطويلة في هذه الأقطار المختلفة بين هذه الانقلابات المتتالية ،كانت من أهم العوامل التي أثارت تأملاته ووجهت نظرياته عندما أقدم على كتابة المقدّمة"[131].يقول ابن خلدون:"أقمت بها متخليا عن الشواغل كلها ،وشرعت بتأليف هذا الكتاب وأنا مقيم بها، وأكملت المقدمة منه على النحو الغريب الذي اهتديت إليه في تلك الخلوة"[132].

تحتوي المقدّمة على ستّة بحوث رئيسية:

1- العمران البشري بالجملة ويشتمل على ست مقدّمات :

المقدمة الأولى: الاجتماع الإنساني وضروريته.

المقدّمة الثانية: قسط العمران من الأرض.

المقدمة الثالثة: المعتدل من الأقاليم والمنحرف وتأثير الهواء.

المقدمة الرابعة: أثر الهواء في أخلاق البشر.

المقدمة الخامسة: اختلاف أحوال العمران في الخصب والجوع.

المقدّمة السادسة : الوحي والرأي، و أصناف المدركين للغيب بالفطرة أو الرياضة، و حقيقة النبوة والكهانة والعرافة .

2- العمران البدوي والأمم الوحشية والقبائل ، ويشتمل على تسعة وعشرين فصلا فرعيا.

العشرة الأولى منها في بيان الشعوب البدوية ونشأتها وبعض شئونها الاجتماعية وأصول المدنيات. الفصول الباقية منها في توضيح طائفة من نظم الحكم والسياسة المتعلقة بالشعوب البدوية وغيرها.

---

[131] دراسة عن مقدمة ابن خلدون – ساطع الحصري ص: 46

[132] التعريف بابن خلدون - ص :899

3- الدولة العامة والملك والخلافة والمراتب السلطانية : يشتمل على أربعة وثلاثين فصلا يبحث فيه عن نشأة الدولة ومنازع الملك فيها وعمرها وشروط السلطة وأسباب السيادة وغيرها .

4- البلدان والأمصار وسائر العمران : يشتمل على اثنين وعشرين فصلا فرعيا تعرض نشأة المدن والأمصار ومواطن التجمع الإنساني وما يمتاز به المدن عن غيرها من مختلف الوجوه العمرانية والاقتصادية واللغوية.

5- المعاش ووجوه الكسب والصنائع وما يعرض في ذلك كله من الأحوال ، ويشتمل على ثلاثة وثلاثين فصلا.

6- العلوم وأصنافها والتعليم وطرقه وسائر وجوهه وما يعرض في ذلك كله من الأحوال،ويشتمل على واحد وستين فصلا فرعيا.

وباعتبار "هذا الكتاب مرجعا وسباقا إلى نظريات وقوانين في العمران البشري والمجتمعي التي بقي العلم والعالم يفتقران إليها حتى عصور متأخرة ، قد تناوله العرب وغير العرب بالتحقيق والترجمة والتأليف. وآخرون بالتفسير والتحليل والدراسة.وكلما غاصوا في لججه وحاولوا الإحاطة بأكنافه ومراميه تكشف لهم عن الجديد من الجواهر الثمينة فانبروا يرصعون بها المجلات والدوريات ويعرضوها لطالبيها ومريديها.فكانت بحوثا خاصة به ، وبحوثا تناولته مع غيره ،من قطاعات الفكر الشتى، حيث وجد كل قطاع عند هذا العالم ضالته أو على الأقل ما يخدم غرضه، في التاريخ والاجتماع ، في السياسة والاقتصاد، في العلم والفلسفة ، في الفقه والتصوف ، وكيف لا وقد احتوى هذا العالم حاضره وماضيه، وسبق عصره في مجالات شتى، ولنا مما كتب عنه وما قيل به خير دليل"[133].

---

[133] الفكر التربوي عند ابن خلدون وابن الأزرق – ص :26

الظاهرات الاجتماعية:

يعالج ابن خلدون الظاهرات الاجتماعية أو علم الاجتماع في"مقدمته" ويقسمها إلى أقسام عدّة ، واعتبر ابن خلدون البيئة الجغرافية دعامة هامة لمختلف الظواهر الاجتماعية وفي رأيه أنّ السبب في اختلاف البشر في ألوانهم وجسومهم وميولهم ونشاطهم العام وكذلك كثير من صفاتهم الجسمية والخلقية يرجع إلى البيئة الجغرافية.

ويقول في بداية "مقدمته" : "إنّه لما كانت طبيعة التاريخ أنّه خبر عن الاجتماع الانساني الذي هو عمران العالم وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من التوحش والتأنس والعصبيات وأصناف التغلبات للبشر بعضهم على بعض وما ينشأ عن ذلك كله من الملك والدول ومراتبها وما ينتحله البشر بأعمالهم ومعاشهم من الكسب والمعاش والعلوم والصنائع وسائر ما يحدث في ذلك العمران بطبيعته من الأحوال" ويقول أيضا : " ونبين الآن في هذا الكتاب ما يعرض للبشر في اجتماعهم من أحوال العمران في الملك والكسب والعلوم والصنائع."

يذهب ابن خلدون إلى أنّ التطور الاجتماعي يختلف باختلاف نظم الحكم وتغير الأسرات الحاكمة. ويقول: "والسبب الشائع في تبدل الأحوال والعوائد أنّ عوائد كل جيل تابعة لعوائد سلطانه كما يقال في الأمثلة: "الناس على دين ملوكهم ".

المباحث المهمة من المقدمة :

علم التاريخ :

يقول ابن خلدون : " اعلم أنّ فن التاريخ فن عزيز المذهب، جم الفائدة ،شريف الغاية ، إذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في

أخلاقهم ، والأنبياء في سيرهم ، والملوك في دولهم وسياستهم ، حتى تتم فائدة الإقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدين والدنيا"[134].

وأشار أيضا أنه علم مستقل بذاته، له موضوعه ومسائله، ولا شك أنّ له منهجه ومسائله ، كما أنّ له أغراضه ومراميه، ويقول فيه : "وكأنّ هذا علم مستقل بنفسه ، فإنه ذو موضوع ، وهو العمران البشري والاجتماع الإنساني، وذو مسائل ، وهي بيان ما يلحقه من العوارض والأحوال لذاته، واحدة بعد أخرى، وهذا شأن كل علم من العلوم وضعيا كان أو نقليا،واعلم أنّ الكلام في هذا الغرض مستحدث الصنعة ، غريب النزعة ، غزير الفائدة،...."[135].

علم الاجتماع أوعلم العمران :

يقرر ابن خلدون إلى أن التجمع البشري ، هو أمر طبيعي في الكائن البشري،فالتجمع ضروري لبقاء الإنسان ، وهذا أمر طبيعي وفطري ،وكذلك حاجة من حاجات الفطرية مثل : القوت والملبس والمأوى والدفاع وحفظ النوع وغيرها . فالأمر الذي يوحد البشر جميعا ويجمعهم ، وهو الطبيعة الواحدة التي فطروا عليها، لكن لاحظ ابن خلدون اختلافات في الأمم والمجتمعات في اللون ،وفي طرق المعاش ،وفي النشاط ، وفي الذكاء والعلاقات.

وينتج عن انحراف المناخ واختلافه اختلافا في أحوال العمران في الخصب وفي الجوع، ويكون أثره في أبدان البشر وفي أخلاقهم ،ويقول فيه : " والسبب في ذلك والله أعلم أنّ كثرة الأغذية وكثرة الأخلاط الفاسدة العفنة ورطوباتها تولد في الجسم فضلات رديئة، ينشأعنها بعد أقطارها في عير نسبة ، وينبع ذلك انكساف الألوان وقبح الأشكال من كثر اللحم كما قلناه، وتغطي الرطوبات على الأذهان والأفكار بما

---

134 المقدمة ، تحقيق: حامد أحمد الطاهر، ص: 21

135 نفس المرجع،ص:58

يصعد إلى الدماغ من أبخرتها الرديئة، فتجيئ البلادة الغفلة والإنحراف عن الاعتدال بالجملة"[136].

الفلسفة:

قسم ابن خلدون العلوم إلى قسمين:

الأول : العقلي:

وهو الذي "يهتدي إليه الإنسان بفكره،ويمكن تحصيله بالمدارك المتوفرة لديه،ويطلق عليه العلوم الفلسفية أو الحكمية،والعلوم التعليمية أوالعقلية.

الثاني : النقلي:

وهو الذي يؤخذ من وضعه ، وهو لا يحتاج به إلى العقل ،إلا في حالة إلحاق الفروع بالأصول، وهي العلوم الشرعية"[137]

يتميز الإنسان عن الحيوان بالفكر،إن أعمال الحيوان لا رابط بينها ولا تنظيم لها ،ولكن أعمال الإنسان منظمة ومرتبة ترتيبا تسلسليا ومنطقيا ، ويدرك هذا الترتيب بالفكرالإنساني ، ويكون هذا بالطبع والوضع، أي إنه يكون من طبيعة الإنسان، أو ما تقدمه الأنبياء والمرسلون.

تقدم الطبيعة للإنسان الحقائق بدون ترتيب و لا تنظيم، وبالفكر الذي يختص به الإنسان ينظمه حيث يتحقق له المصلحة والهدف الذي يريده.وفي ذلك يضرب ابن خلدون المثل التالي:

---

[136] مقدمة ابن خلدون ص :120

[137] الفكر التربوي عند ابن خلدون وابن الأزرق ص : 36

" إذا أراد الإنسان أن يقيم سقفا يستظله ، فلا بدّ أن يفكر بما سيحمل السقف ليتوصل بصورة تسلسلية ومنطقية على التوالي من السقف،إلى الجدران ثم إلى الأساس الذي سيقوم عليه السقف ، إذ لا يمكن أن يقام السقف إلا على ركائز تحمله، ومن هنا كان الكلام المأثور: أوّل العمل آخر الفكرة، وأوّل الفكر آخر العمل." فيبدأ العمل من حيث تنتهي الفكرة باتجاه تصاعدي،بينما الفكر يبدأ من حيث ينتهي العمل وباتجاه تنازلي.

فإذا العقل أو الفكر هو أداة المعرفة ،ويكون على درجة وعلى مرتبةمتفاوتة .

المرتبة الأولى : المرحلة الفاصلة بين الإنسان والحيوان،وفي هذه المرتبة يكون العقل خاليا من أي علم ومعرفة.

المرتبة الثانية: العقل التجريبي،وهي المرحلة التي يتكوّن بها الفكر الإنساني من تجرباته وخبراته ، مباشرة كانت أو غير مباشرة .

المرتبة الثالثة: وهو العقل النظري،وبهذه المرحلة يحصل تصور الموجودات على ماهي عليه.ويكتمل هذا الفكر بالآلات التي منحها الله له،وتكتمل بهذه المرحلة الذات الإنسانية.

التصوف:

عالج ابن خلدون موضوع التصوف والصوفية،ونظر إليه كعلم قائم بذاته،ويقول ابن خلدون :

"وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى ، والإعراض عن زينة الدنيا وزخرفها، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذّة ومال وجاه، والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة. وكان ذلك عاما في الصحابة والسلف"[138].

حقيقة هذا العلم في مجال المعرفة وفيما يتعلق بالكشف عن حجاب الحس والاطلاع على عوالم أمر الله فيقول: " وسبب هذا الكشف أنّ الروح إذا رجع عن الحس الظاهر إلى الباطن ضعفت أحوال الحس، وقويت أحوال الروح،وغلب سلطانه وتجدّد نشوؤه ، وأعان على ذلك الذكر، فإنه كالغذاء لتنمية الروح، ولايزال في نموّ وتزيد إلى أن يصير شهودا بعد أن كان علما ،ويكشف حجاب الحس، ويتم وجود النفس الذي لها من ذاتها ، وهو عين الإدراك، فيتعرض حينئذ للمواهب الربانية والعلوم اللدنية والفتح الإلهي، وتقرب ذاته في تحقيق حقيقتها من الأفق الأعلى ، أفق الملائكة . وهذا الكشف كثيرا ما يعرض لأهل المجاهدة فيدركون من حقائق الوجود ما لا يدرك سواهم ، وكذلك يدركون كثيرا من الواقعات قبل وقوعها ، ويتصرفون بهممهم وقوى نفوسهم في الموجودات السلفية، وتصير طوع إرادتهم."[139]ولهذا يكون هذا العلم مختصا بأصحابه، وإن البرهان فيه لا قيمة له.

يتحدّث ابن خلدون عن الصوفية كأنه منهم،إنه حدّد موقفه إزاء الصوفية ومنهجهم في المعرفة الصوفية ،وأقرّهم عليها.

---

[138] المقدمة ص: 577
[139] المقدمة ص: 579

أقسام العلوم:

الفكر هو الذي يميز الإنسان عن سائر الحيوان،و"يهتدي به لتحصيل معاشه،وإلى الاجتماع مع أبناء جنسه والتعاون معهم ، ولتقبل ما جاء به الأنبياء من الله تعالى للعمل به والاهتداء إلى صلاح أخراه"[140].

أمّا العلوم التي يتداولها الإنسان في الأمصار في عهد ابن خلدون فتكون على صنفين:

1) الصنف الطبيعي في الإنسان، ويهتدي إليه بفكره ، وهو العلوم العقلية أو الحكمية.
2) الصنف النقلي ، وهو العلوم الشرعية التي يأخذها عمن وضعها.

ومن أهم أنواع العلوم المتداولة في عهد ابن خلدون:

- العلوم الإنسانية
- العلوم الملائكة: التعلم عن الملائكة
- علوم الأنبياء: وهي حالة الهيئة خارجة عن منازع البشر
- علم التصوف: العلوم الشرعية الحادثة في الملة.
- علم تعبير الرؤيا: من العلوم الشرعية الحادثة في الملة، وأصبح صنعة عندما صار العلوم من الصنائع.

وبجانب هذا كله تحدّث ابن خلدون في "مقدمته" عن طوائف كثير من العلوم الأخرى ، مثل صناعة الفلاحة والنجارة والحياكة والبناءوالغناء والخياطة والخط والكتابة وغيرها من العلوم.وتحدث كذلك عن فنون غربية ، مثل فن السحر

---

[140] الفكر التربوي عند ابن خلدون وابن الأزرق ، ص : 52

والطلسمات والكهانة والاصابة بالعين والاطلاع على الأسرار الخفية من جهة الارتباطات الخرافية وغيرها .ويذكر مناهجها وطرق استخدامها والانتفاع بها .

ومن مباحث هذا الكتاب:

ا) العمران البدوي والأمم الوحشية والقبائل:

وفي هذا الباب يتكلم عن طبيعة السكان البدو والحضر،وتكلم فيه أيضا على أن العرب أقرب للعيش الطبيعي بالفطرة،وفيه الزراعة والرعاية،فتكلم عن أقدمية البدو وأن البادية هي أصل العمران ومنه امتدت الأمصار والمدن.

ب)الدول والملك والخلافة والمراتب السلطانية:

يتناول في هذا الباب عن الدولة والملك ويقول فيه على أن الملك والدولة يتحصل عليهما الإنسان في بادئ الأمر بالعصبية والقبلية، الدولة استغنت عن رابطة العصبية القبلية إذا كانت مستقرة ومنتظمة ،ويقول ابن خلدون: "أن الدول العظيمة يتم ملكها بأصل ثابت ، أي بالدين الذي يأتي من النبوة والدعوة الحق،لأن القوة الدينية تعمل على تثبيت أساسات الدولة ، وكذلك تعطي الملك قوة يتفوق على قوة العصبية والقبلية".

ج) البلدان والأمصار وسائر العمران الحضري:

يناقش في هذا الباب عن المُلك وعلاقته بالتحضر والمدنية ،وعن النزول إلى الأمصار والبعد عن البداوة،وأن المُلك الكثير يعمل على تأسيس المدن العظيمة والهياكل المرتفعة،وقد تناول أيضا عن دور الملك الثابت في بناء المساجد الضخمة.

ومن قوله في هذا الباب:

"وكانت المساجد الثلاثة هي أفضل بقاع الأرض حسبما ثبت في الصحيحين ، وهي مكة والمدينة وبيت المقدس،أما البيت الحرام الذي بمكة فهو بيت إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه،أمره الله ببنائه، وأن يؤذن في الناس بالحج إليه،فبناه هو وابنه اسماعيل كما نصه القرآن ، وقام بما أمره الله فيه، وسكن اسماعيل به مع هاجر ومن نزل معهم من جرهم إلى أن قبضهما الله ودفنا بالحجر" .

د) المعاش ووجوهه من الكسب والصنائع:

بين ابن خلدون في هذا الباب عن الحقيقة الثابتة في حياة الإنسان ، أي الإنتفاع بما سخر الله له في الأرض للمعاش،وقد قال أنّ لكسب المعاش سبل كثيرة مثل التجارة والصناعة والحياكة ورعاية الأنعام والزراعة وغيرها من الأعمال.

ه) العلوم وأصنافها والتعليم وطرقه:

وقد ذكر ابن خلدون في هذا الباب على أن العلم من ميزة الإنسان، وليس ذلك في سائر المخلوقات من الأرض ، "فالعلم هو ما اهتدى إليه الإنسان للعمل به وتحصيل رزقه والتعاون مع العباد على العمران وزيادة المعرفة والتقرب من الله سبحانه وتعالى"[141].

[141] http://mawdoo3.com

الفصل الثاني

ابن خلدون وعلم الاجتماع

يعتبر علم الاجتماع من أحدث العلوم الاجتماعية ،ولم يتم تأسيسه إلا في القرن الرابع الهجري ، وهو الدراسة عن الحياة الاجتماعية للبشر بكافة أشكالها، ويرجع الشرف في تأسيس هذا العلم إلى المفكر الفرنسي المشهور "أوغست كونت"،ولقد وضع "كونت"علم الاجتماع في المرتبة العليا من مراتب العلوم التي رتبها وشرحها في فلسفته الخاصة، حيث رتبها حسب درجة إعضال مواضيعها،مبتدئا من الرياضات ،ورتبها حسب السلسلة التالية:

1- الرياضيات
2- علم الفلك
3- علم الفيزياء
4- علم الكيمياء
5- علم الحياة
6- علم الاجتماع

إنّ "جميع هذه العلوم والمباحث الخاصة كانت مشوبة بعيوب جوهرية منها :كانت كل واحد منها يدرس نوعا واحدا من الحادثات الاجتماعية من غير أن يعتبر علاقة هذه الأنواع بعضها ببعض،وبالمجتمع بوجه عام ولا بأشكال المجتمع بوجه خاص.وكذلك فإنّ معظم مباحث هذه العلوم كانت دستورية وانشائية ، تبحث عما يجب أن يكون أكثر مما تدرس ما هو كائن وتسعى وراء وضع دساتير عمل أكثر مما تهتم باكتشاف واستجلاء الحقائق"[142].

---

[142] الحصري – ص:233

بحث علماء الحقائق عن السلوك التي يجب أن يسلكه الإنسان ،بدون أن يدرسوا عن السلوك الإنساني، وبدون أن يلاحظوا علاقة هذه السلوك بأحوال المجتمع وأشكاله.

وبحث علماء الاقتصاد في الثروة بدون الاهتمام بأحوال المجتمع الذي ينتج هذه الثروة ويستهلكها، فالبحث في المجتمع كمجموع، ودرس أحواله على هذا الأساس كان من الأمور الخارجة عن خطط العلوم وبعيدة عن أنظار العلماء الذين اشتغلوا بها .

هذه الحالةأدّت إلى المباحثات الكثيرة والمناقشات الشديدة بين مؤسسي علم الاجتماع المتأخرين وبين أرباب العلوم الاجتماعية، وكان سؤالهم "ماذا يجب أن تكون علاقة هذا العلم الأساسي الجديد بتلك العلوم الخاصة القديمة؟ ".وانقسم المفكرون تجاه هذا السؤال إلى قسمين:

وقالت جماعة: "إنّ العلوم الاجتماعية القديمة يجب أن تحافظ على استقلالها،وتواظب على أبحاثها الخاصة،وفق خططها الخاصة ومناحيها الخاصة ،وأما علم الاجتماع فيجب أن يقتبس ما يجب أن يقتبسه من الحقائق التي تكتشفها تلك العلوم، ويركب تلك الحقائق تركيبا فلسفيا ،وبتعبير آخر:إن علاقة علم الاجتماع الجديد بالعلوم الاجتماعية القديمة، يجب أن تكون مثل علاقة الفلسفة بسائر العلوم".

وقالت جماعة أخرى بعكس ذلك تماما: "إنّ علم الاجتماع يجب أن يشتمل جميع مباحث العلوم الاجتماعية اشتمالا مباشرا،ويجب أن تدخل كل هذه العلوم في نطاق علم الاجتماع، فتعتبر فروعا لهذا العلم الشامل ،لأنّ اعتبار تلك المواضيع مستقلا بعضها عن بعض ،ودرسها مستقلا عن المجتمع، لا بدّ من أن يؤدّي إ لى

أخطاء كبيرة أساسية،فإنّ البحث في تلك المواضيع لا يمكن أن يوصل إلى حقائق علمية مثبتة،إلا عندما يتم على ضوء مناحي البحث التي تتبع في علم الاجتماع"[143].

وإن هذه المناقشات لم تنته إلى نتيجة ،وأدّت إلى عدّة نتائج علمية.فأعاد علماء الاجتماع النظر والبحث في جميع المسائل والمواضيع، فكوّنوا فروعا عديدة لعلم الاجتماع مثل الاجتماع السياسي والاجتماع الاقتصادي والاجتماع التشريعي وغيرها.فأصبح علم الاجتماع يسيطر على جميع العلوم الاجتماعية.

فالذين اعتبروا أوغست كونت(1798-1857م) مؤسسا لعلم الاجتماع لم يقولوا ذلك لزعمهم "أنه أول من درس الحادثات الاجتماعية، بل قالوا ذلك لزعمهم أنّه كان أوّل من نظر إلى المجتمع ككل، فاتخذه موضوعا لعلم مستقل.وبهذا الاعتبار أنّ حق ابن خلدون بلقب "مؤسس علم الاجتماع " أقوى من حق كونت لأنه كان قد فعل كل ذلك قبل أن يؤلف كونت دروسه في الفلسفة الإثباتية، بمدّة تزيد على أربعمائة وستين عاما.ولذلك وقد يقال إنّ ابن خلدون هو المنشئ الأوّل لعلم الاجتماع،و كذلك يعتبر ابن خلدون من أبرز علماء الاجتماع في التاريخ لأنه هو الذي درس الظواهر الاجتماعية تتفق كل الإتفاق في موضوعها وأغراضها والأسس القائمة عليها ومناهجها في البحث مع ما نسميه الآن "علم الاجتماع".ولم نعثر على بحث سابق له تتوافر فيه هذه الصفات.وكان للفسفة التي بناها ابن خلدون حصة الأسد في الدراسات ،ولا يرجع الفضل في هذا إلى فيكو(1668-1744 Vico) كما يزعم الايطاليون ولا إلى كتليه(1796-1874 Quetelet) كما يدّعي البلجيكيون ولا إلى أوغست كونت (1798-1857 Auguste Cont) كما يقول الفرنسيون،وإنما يرجع فضله إلى المفكر العربي الذي ظهر قبل هؤلاء نحو أربعة قرون فأقام هذا العلم على دعائم سليمة"[144] ،وسار فيه على نهج واضح مستقيم،وهو المعروف بابن خلدون

---

[143] الحصري : 234

[144]،ص:43 القاسمي، التعريف بابن خلدون ومقدمته

الذي استوعب جميع مسائله ونظم دراساته وكشف حقائقه ووصله إلى مكان رفيع حيث لم يصل إليه واحد من هؤلاء.

وقد أقرّ علماء الإجتماع الحديث بأسبقية ابن خلدون في وضع علم الإجتماع ويقول العلامة فارد (Vard) الأمريكي في كتابه "علم الإجتماع النظري": "كانوا يظنون أنّ اول من قال بمبدإ الحتيمية في الحياة الإجتماعية هو "مونتسكيو"(Montesqiuew) أو "فيكو"(Vico) مع أنّ ابن خلدون قد قال بذلك وأثبت خضوع الظواهر الكونية لقوانين ثابتة قبل هؤلاء بمدّة طويلة " إنه قال بذلك في القرن الرابع عشر الميلادي .ويقول العلامة سميت (M.Semidt) في كتابه "ابن خلدون عالم الاجتماع والمؤرخ والفيلسوف" :

"إنّ ابن خلدون قد تقدّم في علم الاجتماع إلى حدود لم يصل إليها "كونت " نفسه في النصف الأول من القرن التاسع عشر،وأن المفكرين اللذين وضعوا أسس علم الاجتماع من جديد لو كانوا قد اطلعوا على" مقدمة ابن خلدون" فاستعانوا بالحقائق التي كان قد اكتشفها والمناهج التي أحدثها في الدراسة ذلك العبقري العربي قبلهم بمدّة طويلة لاستطاعوا أن يتقدّموا بهذا العلم الجديد بسرعة أعظم كثيرا مما تقدّموا به"[145]. والظواهر الإجتماعية في تعريفها المجمل "عبارة عن القواعد والاتجاهات العامة التي يتخذها أفراد مجتمع ما أساسا لتنظيم شئونهم الجمعية وتنسيق العلاقات التي تربطهم بعضهم ببعض والتي تربطهم بغيرهم"[146].

إنّ "مقدمة ابن خلدون" ليست لمسة بسيطة لعلم الاجتماع،بل كانت محاولة ناجحة لاستحداث علم الاجتماع، ولذا إنّ لقب "مؤسس علم الاجتماع " هو أجدر به من غيره من العلماء والمفكرين.

---

[145] ابراهيم بن عبد الله القاسمي ، التعريف بابن خلدون ومقدّمته ، ، ص 44

[146] علي عبد الواحد الوافي – عبقريات ابن خلدون – ص : 203

يقول ريتزر(أحد علماء الاجتماع الأمريكيين المعاصرين): "هناك ميل إلى الاعتقاد أن علم الاجتماع بشكل عام هو ظاهرة غربية حديثة ،ولكن الواقع أنّ هناك باحثين كانوا طوّروا أفكارا سوسيولوجية ونظريات منذ زمن بعيد وفي أجزاء أخرى من العالم، وأحد الأمثلة عبد الرحمن بن خلدون. فلقد أنتج ابن خلدون أعمال تحوي كثيرا مما جاء به علم الاجتماع المعاصر.كان ملتزما بالدراسة العلمية للمجتمع والبحث الأمريكي والبحث عن أسباب الظواهر الاجتماعية"[147]

وهذه الظواهر الاجتماعية تنقسم إلى أقسام متعدّدة باعتبارات مختلفة:

ومن ناحية وظائفها تنقسم إلى :

- النظم العائلية: وهي متعلقة بشئون الأسرة وتنسيق العلاقات التي تربط أفراد الأسرة ، وتحدّد حقوق الكل وواجباتهم، مثل نظم الزواج والطلاق والقرابة.
- النظم السياسية: وهي متعلقة بشئون الحكم في الدولة وتنسيق سلطاتها وتحديد مميزات السلطة وحقوقها وواجباتها وما إلى ذلك من الأمور .
- النظم الاقتصادية : وهي التي تتعلق بشئون الثروة في المجتمع ،وتحدّد طرق إنتاجها وإنفاقها وغير ذلك.
- النظم القضائية: وهي تشرف على شئون المسئولية والجزاء وإجراءات التقاضي وما يتصل بذلك.
- النظم الخلقية: وهي المراد بتمييز الفضيلة من الرذيلة والخير من الشر ، وكذلك الأمور التي يجب أن يتحلى به المرء في الحياة.
- النظم الدينية: وهي التي تتعلق بالعقائد وجميع ما تشتمل عليه الديانة من تعاليم وقواعد.

---

[147] Ritzer 2006

- النظم اللغوية : وهي التي تتعلق بطريقة التفاهم بين أفراد المجتمع ،وتبادل أفكارهم وآرائهم وغيرها.
- التظم التربوية : وهي التي تتعلق بالطرق التي يسير عليها المجتمع في تكوين الجيل الناشئ.
- النظم الجمالية: وهي التي يترسمها المجتمع في شئون الجمال ومظاهر الفن من شعر وأدب وموسيقي وغيرها .

ومن ناحية علاقتها بالتفكير والعمل تنقسم إلى قسمين:

ا) يتمثل في قواعد تشرف على التفكير الإنساني مثل القواعد الخلقية التي تبين له الفرق بين الحق والباطل وبين الفضيلة والرذيلة.

ب) يتمثل في قواعد تشرف على العمل الإنساني،مثل القواعد التي توجب على من يريد الزواج.

ومن ناحية استقرارها وتطورها تنقسم إلى قسمين:

1) يتمثل في نظم ثبتت واستقرت وأصبحت جزءً من شريعة المجتمع.كالنظم العائلية والسياسية وغيرها
2) يتمثل في تيارات تطورية لم يستقر بعد ولكنها تشق طريقها نحو الثبات والاستقرار.

البحوث الاجتماعية قبل ابن خلدون :

وقد سلك الباحثون في دراسة الظواهر الاجتماعية من قبل ابن خلدون ، فكان طرقهم فيها تختلف اختلافا جوهريا عن الطرق التي سلكها علماء الطبيعة في دراسة ظواهر علومهم، وكان لهم ثلاث طرائق في دراسة هذه الظواهر :

1- الطريقة التاريخية : ويقتصر أصحابها على وصف هذه الظواهر بدون أن يحاولوا استخلاص شيء من هذا الوصف . وقد سار على هذه الطريقة جميع

المؤرخين من قبل ابن خلدون.وسار على هذه الطريقة طائفة ممن درسوا ظواهر الاجتماع في صورة مستقلة عن حوادث التاريخ العام، فجعلوا موضوع دراستهم مجموعة معينة من هذه الظواهر،كالسياسة والاقتصاد والقضاء والتربية والدين ، كما فعل الامام ابن حزم في دراسته للملل والنحل، وكما فعل الفقهاء في دراستهم للشرائع وكما فعل الباحثون في تاريخ التشريع أو تاريخ الفقهاء.

2- الطريقة المثالية: وفي هذه الطريقة التي يوجه الأصحاب كل عنايتهم إلى ما ينبغي أن تكون عليه الظواهر بحسب المبادئ المثالية، كما فعل أفلاطون في كتابيه "الجمهورية" و"القوانين" وأرسطو في كتابيه "الأخلاق" و"السياسة "والفارابي في كتابه "آراء أهل المدينة الفاضلة"

3- طريق الدعوة والإصلاح: وهي التي تدعو المجتمع إلى المبادئ التي تقررها معتقدات الأمة ونظمها وتقاليدها ، وذلك ببيان محاسنها وترغيب فيها وتثبيتها في نفوسهم وحثهم على التمسك بها وتحذيرهم من تعدى حدودها وما يجب أن يسلكوه في تطبيقها في مختلف مجالات الحياة الانسانية .

علم الاجتماع بعد ابن خلدون:

لم يتح ل"مقدمة ابن خلدون" من بعده ما كانت تستحقه من الذيوع والانتشار،وظل الأمر على هذا الحال حتى منتصف القرن الثامن عشر للميلاد، وظهرت حينئذ طوائف جديدة من البحوث الاجتماعية واتجهوا الى اتجاهات" مقدمة ابن خلدون" ،واتجهت الى الأغراض التي اتجه اليها دراسة ابن خلدون ،فإنها تختلف عنها بعدّة وجوه ومن أهمها:

ا) إنّ بحوث ابن خلدون تتناول جميع نواحي الحياة الاجتماعية من نواحي التطور ونواحي الاستقرار،وأما بحوث هؤلاء لا تتناول إلا ناحية التطور وحدها.

ب) إنّ بحوث ابن خلدون لا تعتمد إلا على الملاحظة واستقراء الحوادث، وأن جميع من بحثوا في فلسفة التاريخ قد تأثروا بنظرياتهم الفلسفية وحاولوا أن يخضعوا حقائق التاريخ لهذه النظريات والآراء.

ظل العلم الذي أنشأ ابن خلدون منقطع النظير أكثر من أربعة قرون ، كان العلماء يحومون حوله ولكنهم ما استطاعوا أن يأتوا بمثله في شموله واستيعابه لجميع ظواهرالاجتماع الانساني وسلامة منهجه ودقة أغراضه ووحدة بنيانه.وظل الحال كذلك حتى ظهر أوغست كانت العالم الفرنسي في منتصف القرن التاسع عشرة (1798-1857م)، إنه قام بالبحوث في الظاهرات الاجتماعية.

تعتبر المساهمات الفكرية والعلمية للعلامة عبد الرحمن بن خلدون من أهم المساهمات وأكثرها عراقة وتميزا في مجال الفكر الاجتماعي والسوسيولوجي والتاريخي منذ القرن الرابع عشر الميلادي،وعنى الكثيرون من القدماء والمحدثين بجمع أخباره وسرد أحداثه وتحليل فلسفته وإسهاماته الفكرية والعلمية ومنهم لسان الدين ابن الخطيب صاحب "الإحاطة في تاريخ غرناطة "، وشمس الدين السخاوي صاحب "الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع"، وأبو المحاسن بن تغري بردي صاحب "المنهل الصافي "ثم محمد عبد الله عثمان صاحب "ابن خلدون : حياته وتراثه الفكري".

يقول محي الدين صابر:"إنّ فضل ابن خلدون في الفكر العربي الإسلامي ، وفي الفكر الاجتماعي العالمي،سيظل مذكورا في سياقه التاريخي،وذلك بمحاولته فرز الظواهر الاجتماعية وفي محاولته إثبات التكامل بينها " ويقول أيضا : يكتسب فكر ابن خلدون أهمية خاصة ضمن تراثنا العربي لما انطوى عليه من عناصر الجدة وقوة الريادية وأهمية الاكتشاف، وما يتحقق فيه من أبعاد إنسانية في مجال تطوير العلوم على المستوى الإنساني"[148] .

---

[148] المقدمة :1980، ص 9-12

كان" مقدمة ابن خلدون" من أكبر المساهمات التي قدمها في علم الاجتماع وعلم العمران ، وتعدّ "مقدّمة ابن خلدون" البداية الحقيقية لعلم الاجتماع ، ووضع فيها أهم خبراته وتجاربه وأفكاره وآرائه الاجتماعية ، وجد ابن خلدون على أنّ وجود علم مستقل لتناول أمور الاجتماعي الإنساني والعمران البشري أمر ضروري،فأنشأ منهجا ومجالا وموضوعا لهذا العلم ،وبناه على أساس ونظر وتأمل،وخبرة حقيقية وشملت معظم أقطار العالم العربي، واتبع ابن خلدون المنهج التي ترتكز على الظواهر الاجتماعية المترابطة،ولكل ظاهرة سبب ومع ذلك تكون سببا للظاهرة التي تليها ، والعمران البشري يشتمل على جميع الظواهر عمرانية كانت أو اجتماعية أو اقتصادية أو ثقافية. تميز ابن خلدون بالعديد من الصفات التي جعلته رائد الفلسفة ، وكان له معرفة كبيرة في الاطلاع ومراقبة أحوال البشر، ويتسم أيضا بدقة النقد والملاحظة ،وله قدرة كبيرة على التفكير،يقول ابن خلدون إنّ الفلسفة هي من أهم العلوم التي ستتطور مع العمران.

يقول ابن خلدون: "اعلم أنّه لما كانت حقيقة التاريخ انّه خبر عن الاجتماع الإنساني الذي هو عمران العالم،وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الأحوال مثل التوحش والتأنس والعصبيات وأصناف التغلبات للبشرية على بعض ، وما ينشأ عن ذلك من الملك والدول ومراتبها ،وما ينتحله البشر بأعمالهم ومساعيهم من الكسب والمعلش والعلوم والصنائع وسائر ما يحدث من ذلك العمران بطبيعته من الاحوال"،التاريخ في الحقيقة هو تاريخ المجتمعات البشرية ،فإنّ كتابة التاريخ تكون بالمعايشة والمطابقة بين الفكر والواقع.

ويقول ابن خلدون عن ذلك: "وأما الأخبار عن الواقعات فلابدّ في صدقها وصحّتها من اعتبار المطابقة ، فلذلك وجب أن ينظر في امكان وقوعه ، وصار فيها ذلك أهمّ من التعديل ومقدما عليه ، اذا كان فائدة الإنشاء مقتبسة منه فقط،وفائدة الخبر منه ومن الخارج بالمطابقة، واذا كان ذلك فالقانون في تمييز الحق من الباطل في الأخبار بالامكان والاستحالة ان ننظر في الاجتماع الإنساني

الذي هو العمران ،ونميز ما يلحقه من الأحوال لذاته ، وبمقتضى طبعه ، وما يكون عارضا لايعتد به وما لايمكن أن يعرض له،فإذا فعلنا ذلك كان ذلك لنا قانونا في تمييز الحق من الباطل في الأخبار والصدق من الكذب بوجه برهاني لا مدخل للشك فيه ،وحينئذ فإذاسمعنا عن شيئ من الأحوال الواقعة في العمران علمنا ما نحكم بقبوله مما نحكم بتزييفه، وكان ذلك لنا معيارا صحيحا يتحرى به المؤرخون طريق الصدق والصوب في ما ينقلونه"

تطابق "توصيات ابن خلدون في الحكم للإجراءات التي اتخذها قادة الدول الأوروبية في العصور الوسطى ، وإنه بذلك سبق ميكافيللي الذي كتب عن هذه الإجراءات بعد ذلك بقرن تقريبا في كتابه " الأمير" . وقد ذكر ابن خلدون في كتبه عن الخلافة ومراتبها،وأكّد على أنّ الدعامة الأساسية للحكم تكمن في العصبية ،فكتب العديد من المقولات الاجتماعية وأصبحت لها فيما بعد مكانة بارزة"[149]. وقد عرف ابن خلدون قانون التشبه بالوسط قبل مجيئ تشارلس داروين بخمسة قرون ، ويدل آرائه على ذلك وكذلك يدلّ تشبيهه الإنسان للحيوان في الامتثال للقوانين الاجتماعية على اكتشافه لوحدة المادة قبل تعريف إرنست هيكال . وبالجملة نستطيع أن نرى خمس نقاط في علم الاجتماع عند ابن خلدون.وهي:

ا) علم العمران : ابن خلدون هو الذي ابتكر مصطلح "علم العمران " ، ويستعمل هذا المصطلح أيضا بمثابة علم الاجتماع.يهتم هذا العلم بدراسة المجتمعات البشرية ونشأتها وتطورها وقوانينها الحاكمة.ويري أنّ المجتمعات ليست ثابتة ولكنها تخضع لدورة حياة مثل الكائنات الحية الأخرى من النشأة والنموّ والازدهار والضعف والانهيار.

ب) العصبية : يرى ابن خلدون أنّ العصبية هي القوّة الدافعة وراء قيام الدول ونموّها حيث تمنح الجماعة القدرة على التغلب على المنافسين وبناء السلطة،

---

[149] Mawdoo3.com

ويشير العصبية إلى التماسك الاجتماعي والوحدة والتضامن بين أفراد الجماعة او القبيلة .وتضعف العصبية تدريجيا مع استقرار الدولة وترفها مما يؤدّي في النهاية الى اضمحلالها وسقوطها.

ج) تأثير البيئة : ابن خلدون هو الذي أدرك أهمية البيئة الجغرافية في تشكيل المجتمعات وأنماط حياتها.أصبحت العلاقة بين الانسان والبيئة الطبيعية مجالا هاما فهو يعرف الآن باسم علم اجتماع البيئة ، ويبحث في تأثير البيئة بمختلف عناصرها ويذهب إلى أنّ البيئة تؤثر على طبيعة السكان وعاداتهم وتقاليدهم وطرق معيشتهم.إنّ المناخ له دور في ألوان البشر وأخلاقهم وطبائهم ، وهو مرتبط بحالة العمران البشري ، إنه يميز بين حياة البدو والرحل وحياة الحضر المستقرّة ويربط بينهما وبين نوعية العصبية وقوة الدولة.

د) التغير الاجتماعي: يرى أنّ التغير الاجتماعي عملية طبيعية وحتمية ،تحركها عوامل مختلفة مثل العصبية والاقتصاد والثقافة والسياسة.وكذلك يقدّم نظرية دورية للتغير الاجتماعي ،حيث تمر الدول والمجتمعات بمراحل صعود وهبوط متعاقبة.

ه) المنهج : المراد بالمنهج عند ابن خلدون هو "جمع المادة العلمية واعطاء العلل والأسباب لتفسير الحوادث ثم الوصول إلى القوانين العامة"، إنّ ابن خلدون "لم يوفق كل التوفيق في بعض النظريات والقوانين التي انتهت اليه دراسته . وما كان يمكن أن ينتظر من منشئ علم أن ينشئه كاملا مبرئا من كل عيب . ويحسبه شرفا أنّه أقام علما جديدا على دعائم قوية ورسم منهجه في صورة واضحة ،ولم يغادر أية طائفة من مسائله إلا عرض لها بالدراسة ،وجاءت في كثير من تفاصيلها أقرب ما يكون إلى الكمال"[150]. يشير ابن خلدون إلى هذا في آخر "مقدمته" حيث يقول:

"عزمنا أن نقبض العنان عن القول في هذا الكتاب الأول اللذي في طبيعة العمران ومايعرض فيه ، فقد استوفينا من مسائله ما حسبناه كفاية له ،ولعل من يأتي بعدنا ممن يؤيده الله بفكر صحيح وعلم متين يغوص من مسائله أعلى مما كتبناه ، فليس على مستنبط الفن استقصاء مسائله وانما عليه تعيين موضوع العلم وتنويع فصوله وما يتكلم فيه ".

الفصل الثالث

فلسفة ابن خلدون

الفلسفة هي دراسة الأسئلة الأساسية حول الوجود والمعرفة والقيم والأخلاق ، والفلسفة تسعى إلى فهم العالم والإنسان والعلاقات بينهما من خلال التفكير النقدي والتحليل المنطقي ، والفلسفة تعزز التفكير النقدي وتساعد على فهم العالم وتطوير القيم الأخلاقية .

كان ابن خلدون رجلا كثير الاطلاع وسعى من أجل الاطلاع والمعرفة، فاطلع على آراء العلماء السابقين ،فحلل آرائهم المختلفة، لذلك كان له آراء مختلفة على ما كتبه القدامى على أحوال البشر وكان له قدرة على استعراض الآراء ونقدها، ولكنه كان أمينا في عرض الآراء والمقولات ونقده.

وكان أيضا رجلا كثير الترحال، رحل إلى عديد من البلدان في شمال إفريقيا والشام والحجاز وعمل بها واطلع على كتبها ولذلك كان له خبرة واسعة في الحياة السياسية والإدارية والقضاء،ويعتبر ابن خلدون من أبرز المفكرين والفلاسفة المسلمين في التاريخ وخلّف في فلسفة التاريخ والاجتماع والسياسة مجالات معرفية عديدة،ويعتبر كتابه "المقدمة"عملا مهمّا في علم الاجتماع وفلسفة التاريخ، استمر اهتمام العربي والغربي بأفكار ابن خلدون خلال القرن التاسع عشر وظل المؤرخون ينشرون أجزاءً من "مقدّمته "حتى 1858 حين نشر "كارتمير" "المقدّمة "كاملة بنصّها العربي،ونشر بعدها "دي ساسي" الترجمة الفرنسية الكاملة للمقدّمة ، فتبدّت أهمية أفكار ابن خلدون للفكر الغربي.

حاول ابن خلدون إنشاء نظام فلسفي مكوّن من التاريخ بحيث يكون المجتمع وثقافته هو الأساس ويعمل التاريخ لتبيين كيفية حصول الناس على قوتهم ولماذا يقاتلون بعضهم ببعض؟ ، وكيف تنشأ الحضارات من الأراضي الخشنة لتزدهر وتصبح ناعمة حتى تضعف وتنهار؟، ويرى ابن خلدون في المقدّمة : "أنّ الفلسفة من

العلوم التي استحدثت مع انتشار العمران وأنها كثيرة في المدن ، ويعرّفها قائلا :إنّ قوما من عقلاء النوع الإنساني زعموا أنّ الوجود كله –الحسي منه وما وراء الحسي – تدرك أدواته وأحواله ، بأسبابها وعللها، بالأنظار الفكرية والأقيسة العقلية وأنّ تصحيح العقائد الإيمانية من قبل النظر لا من جهة السمع فإنها بعض من مدارك العقل، وهؤلاء يسمون فلاسفة جمع فيلسوف ، وهو باللسان اليوناني محب الحكمة. فبحثوا عن ذلك وشمروا له وحوّموا على إصابة الغرض منه ووضعوا قانونا يهتدي به العقل في نظره إلى التمييز بين الحق والباطل وسموه بالمنطق"[151]

يكتب ساطع الحصري في كتابه "دراسات عن مقدّمة ابن خلدون " محاكيا عن "روبرت فلنت" حيث يقول : "إنّ أول كاتب بحث في التاريخ كموضوع علم خاص كان ابن خلدون،أما هل يجب أن يعدّ أو لا يعدّ-لهذا السبب – "مؤسس علم التاريخ" فذلك سؤال قد يثير الخلاف في الآراء.غير أن كل من يقرأ مثدّمته باخلاص ونزاهة لا يستطيع إلا أن يعترف بأن: حق ابن خلدون بادّعاء هذا الشرف- شرف التسمية باسم مؤسس علم التاريخ أو فلسفة التاريخ أقوى وأثبت من حق كل كاتب آخر سبق "فيكو".[152]

وكانت لإبن خلدون فلسفته الخاصة وبنى عليها بعد ذلك أفكاره ونظرياته في علم الاجتماع والتاريخ ، وعمل على التجديد في طريقة عرضهم ، وكان رواة التاريخ يقومون بخلط الخرافات بالأحداث وكذلك كانوا يفسرون التاريخ استنادا إلى التنجيم والوثنيات ، فحدّد ابن خلدون التاريخ بأنه "في ظاهره لا يزيد على أخبار عن الأيام والدول،وفي باطنه نظر وتحقيق وتعليل للكائنات ومبادئها، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها " فالتاريخ هو : "خبر عن المجتمع الإنساني الذي هو عمران العالم، ومايعرض لطبيعة هذا العمران من الأحوال"

---

[151] ابن خلدون: نادين نافع الأسود ،مريم جامع المحمد ، سارة حسين العازمي،ريم :مناقشة
[152] الحصري، دراسات عن مقدمة ابن خلدون 176

أرسل ابن خلدون أكثر من مرّة لحلّ نزاعات دولية بسبب فكره الدبلوماسي الحكيم،وعينه السلطان محمد بن الأحمر سفيرا إلى أمير قشتالة لعقد الصلح، وكذلك استعان به أهل دمشق لطلب الأمان من الحاكم المغولي تيمور لنك.فقد قال المؤرخ الفرنسي المعروف "فيرنان بروديل " صاحب التنظيرات الشهيرة عن مجرى التاريخ البشري وحركته عن ابن خلدون:يعتبر ابن خلدون من قبل المفكّرين المعاصرين بمثابة أحد مؤسسي علم الإجتماع السياسي. ويقول ابن خلدون : إنّ ثروة الأمم بكثرة سكانها المحبين للعمل والمجيدين له ، المبدعين فيه".

فلسفة التاريخ

إنّ "فلسفة التاريخ تبحث في الوقائع التاريخية بنظرة فلسفية،فتسعى لاكتشاف العوامل الأساسية التي تؤثر في سير الوقائع التاريخية،وتعمل على استنباط القوانين العامة التي تتطور بموجبها الأمم والدول على مر القرون والأجيال ،وأنّ "مقدّمة ابن خلدون" من نوع المؤلفات التي عرفت أوربا باسم "فلسفة التاريخ" في القرن الثامن عشر،وباسم "علم التاريخ"أو "المدخل إلى التاريخ" في القرن التاسع عشر"[153].

وقال روبرت فلينت الانجليزي فصلا عن ابن خلدون في كتابه :"تاريخ فلسفة التاريخ" وقال فيه:"من وجهة علم التاريخ أو فلسفة التاريخ ، يتحلى الأدب العربي باسم من ألمع الأسماء،فلا العالم الكلاسيكي في القرون القديمة،ولا العالم المسيحي في القرون الوسطى يستطيع أن يقدم اسما يضاهي في لمعانه ذلك الاسم،إنّ أول كاتب بحث في التاريخ كموضوع علم خاص ،هو ابن خلدون"[154]

قرر ابن خلدون رأيه الخاص في موضوع التاريخ وحقيقته في بداية الكتاب الأول بالعبارات الآتية:

---

[153] الحصري- ص:170
[154] الحصري –ص: 258

"حقيقة التاريخ: أنّه خبر عن الاجتماع الإنساني الذي هو عمران العالم، وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الاحوال،مثل التوحش والتأنس،والعصبيات، وأضاف التغلبات للبشر بعضهم على بعض، وما ينشأ عن ذلك من الملك والدول ومراتبها،وما ينتحله البشر بأعمالهم ومساعيهم من الكسب والمعاش والعلوم والصنائع،وسائر ما يحدث في ذلك العمران بطبيعته من الأحوال"[155]

عدّ ابن خلدون فلسفة التاريخ كعلم مستقل ولذلك يعتبر مؤسسا حقيقيا لفلسفة التاريخ،وقد تجاوز النظرة التقليدية للتاريخ كمجرد سرد للأحداث والوقائع، وقدم منهجا جديدا يعتمد على التحليل النقدي والبحث عن الاسباب والقوانين التي تحكم تطور المجتمعات والدول.

لاحظ ابن خلدون التاريخ بأنه ما يشغفه الخواص والعوام على السواء ،لأن كل الناس متشوّقون إلى معرفة أخبار الماضي،ومهتمون بأبحاث التاريخ ومتكلمون فيها ، ولكنه يجد فرقا عظيما بين مفهوم التاريخ الدارج وبين مفهومه الحقيقي،ويوضح هذا الفرق بالعبارات الآتية:

" أما بعد ، فإنّ فن التاريخ من العلوم التي تتداوله الأمم والأجيال ،وتشدّ إليه الركائب والرحال وتسمو إلى معرفته السوقة والأغفال، وتتنافس فيه الملوك والأقيال"[156]، والعلماء والجهال متساو في فهم التاريخ.

"إذ هو في ظاهره لا يزيد على أخبار عن الأيام والدول، والسوابق من القرون الأول، تنمق لها الأقوال، وتضرب فيها الأمثال،وتطرف بها الأندية إذا غصها الاحتفال، وتؤدّي لنا شأن الخليقة كيف تقلبت بها الأحوال،واتسع للدول النطاق فيها والمجال،وعمروا الأرض حتى نادى بهم الارتحال ، وحان منهم الزوال. وفي باطنه نظر

---

[155] المقدّمة ص: 35

[156] الأقيال: ج (قيل) وهم الملوك قديما ، بعُمان والبحرين .

وتحقيق ،وتعليل للكائنات ومباديها دقيق ،وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق،فهو لذلك أصيل في الحكمة عريق،وجدير بأن يعدّ في علومها وخليق....."[157]

فأول الواجبات التي تترتب على المؤرخ هو تمحيص الأخبار التي يقرأها في الكتب أو يسمعها من الرواة. يقول ابن خلدون في ذلك: " والغلط والوهم، نسيب للأخبار وخليل."، لأن الاخبار والحكايات "مظنة الكذب ومطية الهذر"[158]

ومن نظرياته في الفلسفة:

ا) نظرية العصبية: وهي من أطرف النظريات التي وضعها ابن خلدون،وتعتبر نظرية ابن خلدون من أهم مساهماته في فهم ديناميكية المجتمعات،يرى أنّ العصبية وهي الرابطة الاجتماعية والتضامن بين الأفراد،وهي القوة الدافعة وراء قيام الدول ونهضتها ، تتشكل العصبية في البداوة وتكون في أوجّ قوتها ،ثم تضعف تدريجيا مع الانتقال إلى الحضارة والترف ، مما يؤدّي في النهاية إلى اضمحلال الدولة وسقوطها.

أوّلا تكلم ابن خلدون عن مصدر العصبية ،وردّها إلى الطبيعة البشرية،وإلى أثر القرابة في الحياة الاجتماعية.

"إنّ صلة الرحم طبيعي في البشر،إلا في الأقل ،ومن صلتها : النعرة [159]على ذوي القربى والأرحام أن ينالهم ضيم أو تصيبهم هلكة.

فإن القريب يجد في نفسه غضاضة من ظلم قريبه،أو العداء عليه،ويودّ لو يحول بينه وبين ما يصله من المعاطب والمهالك،نزعة طبيعية في البشر مذ كانوا"[160].

إنّ هذه النزعة طبيعية في البشر ،فهي تؤدي إلى الاتحاد والالتحام بين أفراد النسب الواحد،لأنها تحملهم على التعاضد والتناصر. ولهذا أنّ أفراد النسب

---

[157] المقدمة - ص 12
[158] نفس المرجع، ص: 13
[159] النعرة: العصبية لذوي الأرحام ، والحدب عليهم .
[160] المقدمة ، ص: 129

الواحد يشبركون في حمل الديات،ويتعاونون على دفع العدوان، ويتناصرون في تحقيق المطالبات.

"وأما المنفردون في أنسابهم ، فقل أن يصيب أحدا منهم نعرة على صاحبه،فإذا أظلم الشر يوم الحرب ،تسلل كل واحد منهم يبغي النجاة لنفسه.[161]"

وللقرابة مراتب ودرجات متفاوتة،وإن قوة العصبية المتولدة من القرابة تختلف باختلاف هذه الدرجات

ب) أهمية العوامل الجغرافية والاقتصادية : أدرك ابن خلدون أهمية العوامل المناخية والجغرافية والاقتصادية في تشكيل المجتمعات وتطورها، فقد لاحظ كيف تؤثر البيئة في أنماط حياة الناس وعاداتهم وطبائعهم،وكيف يلعب الاقتصاد دورا حاسما في قوة الدول واستقرارها .

ج) المنهج النقدي في دراسة التاريخ: دعا ابن خلدون إلى ضرورة التحقق من صحة الأخبار التاريخية وتمييز الحق من الباطل، وذلك من خلال تطبيق العقل والمنطق ومقارنة الروايات المختلفة وفهم السياق الاجتماعي والثقافي للأحداث.

د) دورة الحضارات: قدم ابن خلدون تصورا دوريا لتطور الحضارات ، حيث تمر الدول والمجتمعات بمراحل شبيهة بدورة حياة الانسان وهي: النشأة، النموّ ،الازدهار، الضعف ،والانهيار.هذه الدورة ليست حتمية بشكل مطلق ولكنها تمثل نمطا عاما للتغير الاجتماعي والتاريخي.

الفلسفة الاجتماعية:

قدم ابن خلدون رؤى عميقة في مجال الفلسفة الاجتماعية وتناول طبيعة الاجتماع البشري وضرورته وأشكاله المختلفة .

---

[161] نفس المرجع، ص: 128

الإنسان كائن اجتماعي بطبعه : يرى ابن خلدون أن الاجتماع ضروري للإنسان ولا يمكنه العيش بمفرده،فالإنسان مدني بالطبع ومحتاج إلى التعاون مع الآخرين لتلبية احتياجاته وتحقيق مصالحه.

تأثير البيئة على المجتمع: أكد ابن خلدون على تأثير البيئة الطبيعية والاجتماعية في تشكيل خصائص المجتمعات وعاداتها وتقاليدها ،ولاحظ ابن خلدون الاختلافات بين المجتمعات البدوية والحضرية وأرجعها جزئيا إلى اختلاف البيئات وأنماط الحياة .

تحليل الظواهر الاجتماعية:

حاول ابن خلدون لأن يفهم ويحلل مختلف الظواهر الاجتماعية مثل التفاوت الطبقي.

وفي رأي ابن خلدون هناك طائفتان من العلوم وهما :العلوم العقلية والعلوم النقلية، الطائفة الأولى تحصل بالحواس والعقل والثانية تحصل بالوحي فقط،ويقول في ذلك: " اعلم أن العلوم التي يخوض فيها البشر ويتداولونها في الأمصار تحصيلا وتعليما، هي على صنفين: صنف طبيعي للإنسان، يهتدي إليه بفكره ، وصنف نقلي يأخذ عمن وضعه ،والأول هي العلوم الحكمية الفلسفية ، وهي التي يمكن أن يقف عليها الإنسان بطبيعة فكره ، ويهتدي بمداركه البشرية إلى موضوعاتها ومسائلها ،وأنحاء براهينها ، ووجوه تعليمها ، حتى يقفه نظره ويحثه على الصواب من الخطإ فيها ، من حيث هو إنسان ذو فكر. والثاني هي العلوم النقلية الوضعية ، وهي كلها مستندة إلى الخبر عن الواضع الشرعي ، ولا مجال فيها للعقل إلا في إلحاق الفروع من مسائلها بالأصول، بوجه قياسي ، إلا أنّ هذا القياس يتفرّع

عن الخبر بثبوت الحكم في الأصل ،وهو نقلي فرجع هذا القياس إلى النقل لتفرعه عنه" [162]

الكتابة:

ابن خلدون هو من كبار أئمة الأدب وأعلام البيان العربي ومن المجدّدين في أسلوب الكتابة العربية ،وكان أسلوبه ساميا وسهلا فلم يكن له أثر يعتدّبه في أقلام معاصريه ولا في أقلام من جاؤوا بعده في أثناء القرون الخمسة التالية لوفاته،فأخذت أقلام الكتاب والمؤلفين تتأثر بأسلوب ابن خلدون. وقد وصف طه حسين أسلوب ابن خلدون في الكتابة حيث قال: "وأسلوبه كأسلوب معاصريه أسلوب مضمحل جدّا وكثر فيه العبارات المسجعة والإستعارات والمقارنات التي تكثر فيها التكلف" [163]. وصدر منه هذا الحكم بعد ما قرأخطبة التمهيدية من "مقدمة ابن خلدون" ،فحكم بأسلوبها على أسلوب المقدمة كلها رجما بالغيب.

المنطق:

أخذ ابن خلدون المنطق وسائر الفنون الحكمية عن شيخه أبي عبد الله محمد بن إبراهيم الآبلي ، ويصف ابن خلدون الآبلي بأنه "شيخ العلوم العقلية ".والعلوم الفلسفية أو العلوم العقلية كانت تطلق على ست طوائف من العلوم، المنطق والإلهيات والعلوم الطبية والعلوم الفلكية والعلوم الرياضية والموسيقي، وذكر ابن خلدون علوم المنطق والفلسفة في عدّة فصول من "مقدّمته"، فتكلم على موضوعه وفائدته وأقسامه ومسائله وتاريخه وأدواره.وكذلك تكلم عن كتاب الأورجانون(Organon) لأرسطو في المنطق وعن أقسام هذا الكتاب.وعن مؤلفات الفلاسفة المشهورين في المنطق مثل الفارابي وابن سينا وابن رشد وصلة مؤلفاتهم بكتاب الأرسطو ومؤلفات المتأخرين.

---

[162] المقدمة ص 435

[163] فبسفة ابن خلدون الإجتماعية

العلوم الطبيعية:

قد عرض ابن خلدون للعلوم الطبيعية في عدّة مكان من "مقدمته" في صورة واضحة تبين وتدل على سعة اطلاعه وتمكنه من هذه العلوم،يبحث ابن خلدون على جغرافية الطبيعية والانسانية وتكلم كثيرا عن قسط العمران من الأرض وما فيها من البحار والانهار والأقاليم المعتدلة والمنحرفة وتأثير الهواء في ألوان البشر وأحوالهم وأخلاقهم واختلاف أحوال العمران في الخصب والقحط ،وما ينشأ عن ذلك في أبدان البشر وأخلاقهم،وعرض علم الفلك وتكلم على علم الهيئة العام وعلى الرصد وآلاته عند اليونان وغيرهم وعلى علم الأزياج ، وهي صناعة حسابية على قوانين عددية فيما يخص كل كوكب من طريق حركته، يعرف به مواضع الكواكب في أفلاكها ، ويمكن بفضلها معرفة الأيام والشهور والتواريخ الماضية . وتكلم أيضا عن بحوث علوم الطبيعة والكيمياء والجيولوجيا والبيولوجيا وعلوم الأحياء (علم الحيوان وعلم النبات وعلم الانسان) والفيزيولوجيا وعالم الجو،إنّه يضع كل هذه العلوم تحت عنوان الطبيعيات.وهو يقول : "هو علم يبحث عن الجسم من جهة ما يلحقه من الحركة والسكون ،فينظر في الأجسام السماوية والعنصرية وما يتولد عنها من حيوان وانسان ونبات ومعدن وما يتكون في الأرض من العيون والزلزال وفي الجو من السحاب والبخار والرعد والبرق والصواعق وغير ذلك ، وفي مبدإ الحركة للأجسام وهو النفس على قنوعها في الانسان والحيوان والنبات".

علم الطب:

يعدّ ابن خلدون علم الطب على أنه فرع من الطبيعيات وذكر مقومات هذا الفن،وبعد ذلك تكلم عن طب البادية، وهومبني على تجربة قاصرة ربما يصح منه البعض الا أنه ليس مبني على قانون طبيعي،ويقول:كان عند العرب كثير من طب البادية، وكان فيهم أطباء بارزون كالحارث بن كلدة وغيره .والطب المنقول في الشرعيات من هذا القبيل وليس فيها شيئ من الوحي ،وكان أمره عاديا للعرب، وإنّ

النبي صلعم إنما بعث ليعلمنا الشرائع ولم يبعث لتعريف الطب ولا غيره من العاديات .

الباب الرابع

الأفكار التربوية عند ابن خلدون: دراسة تحليلية

الفصل الأول: خلفيات ابن خلدون في التربية والتعليم

الفصل الثاني: مناهج ابن خلدون في التربية

الفصل الثالث: الأفكار التربوية الخلدونية وتطابقاتها وتخالفاتها مع التربية الحديثة

الفصل الأول:

خلفيات ابن خلدون في التربية والتعليم

تضمنت "مقدمة ابن خلدون" أفكارا تربوية محدثة في الباب السادس منها ، وتبحث عن العلوم وأنواعها وأصنافها ومنازلها و أيضا عن أهمية التعليم ، وفيها بحث عن طرق التعليم وأساليبها.وأن هذه الآراء والملاحظات قيمة جدا،أقره علماء التربية في القرن الأخير من حيث العموم ، وقد كتب فصولا خاصة في البحث عنها ، وتستلفت هذه الفصول أنظار الذين يدرسون المقدمة من وجهة التربية والتعليم. ولكن آرائه في التربية والتعليم لا تنحصر فيما جاء في هذه الفصول فقط،بل إنها دوّنت في ثنايا الفصول المختلفة بصورة عرضية ،فمن أراد إحاطة العلم في هذا المجال فيجب عليه البحث في سائر فصول المقدمة أيضا.ومن الفصول التي تبحث عن التربية والتعليم بصورة مباشرة :

1- فصل في أن العلم والتعليم طبيعي في العمران البشري(وهذا الفصل محذوف من طبعة دار الفجر للتراث ، القاهرة، ولكنه موجود في الطبعات القديمة في صفحة 426)
2- في أن تعليم العلم من جملة الصنائع (ص: 519)
3- في أن العلوم إنما تكثر حيث يكثر العمران وتعظم الحضارة (ص: 523)
4- في أصناف العلوم الواقعة في العمران لهذا العهد (ص : 524)
5- في أن عالم الحوادث الفعلية إنما يتم بالفكر (ص : 562)
6- في العقل التجريبي وكيفية حدوثه (ص: 563)
7- في علوم البشر وعلوم الملائكة (ص: 564)
8- في علوم الأنبياء عليهم السلام (ص : 566)
9- في أن الانسان جاهل بالذات ، عالم بالكسب (ص: 567)

10- في وجه الصواب في تعليم العلوم وطرق إفادته (ص :684)

11- في تعليم الولدان واختلاف مذاهب الأمصار الإسلامية في طرقه (ص : 689)

12- في أن الشدة على المتعلمين مضرة بهم(ص: 692)

13- في أن كثرة التأليف في العلوم عائقة عن التحصيل (ص: 679)

14- في أن كثرة الاختصارات الموضوعة في العلوم مخلة بالتعليم (ص: 683)

15- في أن العلوم الآلية لا توسع فيها الأنظار ولا تفرع المسائل (ص: 688)

16- في أن الرحلة في طلب العلوم ولقاء المشيخة مزيد كمال في التعليم(ص:693)

وكذلك توجد فصولا كثيرة غيرها التي تشتمل في ثناياها ملاحظات هامة عن التربية والتعليم. ومن أهم هذه الفصول -من حيث كثرة الملاحظات التربوية الواردة فيها – فصل في وجه الصواب في تعليم العلوم وطريق إفادته ، إنه يتكلم فيه عن أصول التعليم ويقرر بعض القواعد العامة التي يجب اتباعها في التعليم بوجه عام، وفصل في تعليم الولدان واختلاف مذاهب الأمصار الإسلامية في طرقه، ويبحث فيه عن مناهج الدراسة ومواد التدريس ، ويعرض فيه الطرائق المتبعة في تعليم الصغار في مختلف البلدان بوجه خاص.

الفكر الإنساني:

إنّ الله تعالى ميّز الناس بالفكر وجعله نهاية فضله على الكائنات الأخرى لأن الإدراك وهو شعور المدرك في ذاته بما هو خارج عن ذاته خاص بالحيوان ، فالحيوانات تشعر بما فيها من الحواس الظاهرة كالسمع والبصر،والانسان قادر على أن يدرك بالفكر الذي وراء حسه يقوي في دماغه وينتزع بها صور المحسوسات

ويجرد منها صور أخرى. والفكر هو التصرف في تلك الصور وراء الحس وجولان الذهن فيها بالانتزاع والتركيب.

والفكر على مراتب:

الأولى : تعقل الأمور المرتبة في الخارج ، وهو العقل التمييزي الذي يحصل منافعه ويدفع مضاره.

الثانية : الفكر الذي يفيد به الآراء والآداب في معاملة أبناء جنسه وسياستهم ويحصل بالتجربة ويسمى بالعقل التجريبي.

الثالثة: الفكر الذي يفيد العلم بمطلوب وراء الحس وهو العقل النظري.

عالم الحوادث يتم بالفكر:

عالم الكائنات "يشتمل على ذوات محض كالعناصر والآثار والمكونات الثلاثة ، وهي المعدن والنسبات والحيوان ، وعلى أفعال صادرة من الحيوانات ، فمنها منتظم وهي الأفعال البشرية وغير منتظم وهي أفعال الحيوانات ، والفكر يدرك الترتيب بين الحوادث ، فإذا قصد إيجاد شيئ فلا بد من التفطن لسببه أو علته أو شرطه ، فلو فكر في إيجاد سقف يكنّه انتقل بذهنه إلى الحائط ثم إلى الأساس وهو آخر الفكر، ثم يبدأ العمل بالأساس ثم بالحائط ثم بالسقف ، وهو آخر العمل ، فلا يتم فعل الإنسان إلا بالفكر في هذه المرتبات والعثور على هذا الترتيب يحصل الانتظام في أفعال البشر "[164].

والأفعال الحيوانية فليس فيها انتظام لعدم الفكر الذي يعثر به الفاعل ، إذا الحيوانات تدرك بالحواس ، ومدركاتها متفرقة خالية من الربط، ولما كانت الحواس

---

[164] التعريف بابن خلدون ومقدمته : ص: 153

المعتبرة هي المنتظمة وغير المنتظمة تبع لها ، اندرجت أفعال الحيوانات فيها ، فكانت مسخرة للبشر ، واستولت أفعال البشر على عالم الحوادث ، فكان كله في طاعته ، وهذا هو المراد بالاستخلاف في قوله تعالى : "إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَة".[165]

التربية والتعليم عند ابن خلدون :

المعاش ، والبحث لتحصيله ، هي من أولى اهتمامات الإنسان، إنه بالطبع محتاج إلى ما يقوته،وليست هذه الظاهرة مقتصرة على مرحلة معينة من مراحل عمره،فهي ترافقه منذ الولادة حتى الوفاة،وكذلك ليست مختصة بفئة من الناس، ولكن كل الناس محتاجون إلى ذلك.إن هذا المعاش هو قيم للأعمال البشرية،وبإزدهارها ينتعش العمران. وهو يقول في ذلك: " ألا ترى إلى الأمصار القليلة الساكن يقل الرزق والكسب فيها أو يفقد لقلة الأعمال الإنسانية. حتى إن الأنهار والعيون ينقطع الجري فيها في القفر كالحال في ضروع الأنعام.

فوجوه التحصيل لهذا المعاش وهي متعدّدة ومتنوعة،ومن هذه الأوجه :

1- المغرمة أو الجباية أو الأمارة : وهي ليست من وجوه المعاش الطبيعية.
2- الاصطياد: هو ما يحصله الانسان عن طريق اصطياد الحيوان الوحشي.
3- الفلاحة : وهي نتيجة العمل بالنبات ،او الدواجن من الحيوان.
4- الصناعة: وهي تشتمل على جميع المهن والتصرفات التي يلجأ إليها الإنسان للحصول على معاشه.وغالبا توجد عند أهل الحضر.
5- التجارة : وهي أن تعدّ البضائع للعرض ، لأن يحصل فائدة الكسب من المنتوجات.

---

[165] نفس المرجع: ص: 154

موقع العلم والتعلم من العمران البشري:

العلم والتعلم طبيعي في العمران البشري،ويتميز الإنسان عن سائر المخلوقات بالفكر مع أنه يشترك بالحيوان في الغذاء والحس والحركة، وبهذا الفكر يهتدي الإنسان إلى معاشه.ويجتمع ويتعاون من بني جنسه ، ويقبل ما جاءت به الأنبياء والرسل عن الخالق.

الفكر راغب في تحصيل ما ليس عنده من الإدراكات ، فيرجع إلى من سبقه بعلم أو معرفة ، فيلقن عنهم، ثم يتوجه إلى واحد من الحقائق،وينظر فيما يعرض له ، ويتمرن على ذلك ، حتى يصير إلحاق العارض بتلك الحقيقة ملكة ، فيكون علمه بما يعرض لتلك الحقيقة علما مخصوصا ، وتتشوق نفوس الجيل الى تحصيل ذلك ، وهكذا ينتشر التعلم والتعليم ، وكذلك ينتشر العمران البشري.

الصناعة وسيلة من وسائل العمران البشري ، فيحصرها ابن خلدون بما هو ضروري للعمران البشري أو بما هو شريف بالموضوع.

فالصنف الأول وهو الصناعات التي لا يمكن أن تقوم حياة الأفراد والمجتمعات ، أو تعمر الأرض بدونها ،مثل الفلاحة والبناء والخياطة وغيرها من الصناعات.

أما الصنف الثاني فهي صناعات شريفة بموضوعها ، ومفيدة لأصحابها وللبشرية كلها ، مثل الكتابة والوراقة والطب والغناء.

وإن كانت الوراقة والكتابة ليست من الصناعات الضرورية فهي في مصافها بما تسديه للبشرية للعمران من فوائد وخدمات جمة بالإضافة لما تحققه للعاملين بها من عيش شريف، " فهي حافظة على الإنسان ماضيه، ومقيدة لها عن النسيان، ومُبلغة ضمائر التفس إلى البعيد الغائب ومخلدة نتائج الأفكار والعلوم في الصحف،

ورافعة مراتب الوجود للمعاني"[166]. ويختتم ابن خلدون بحثه هذا بقوله : " فقد تبين بذلك أن العلم والتعليم طبيعي في البشر".[167]

الوظيفة الحضارية للعلم والتعليم:

نظر ابن خلدون إلى العلم والتعليم كظاهرة طبيعية في المجتمع الإنساني،وله وظائفه على صعيد الأفراد والجماعات ونتائجه المترتبة سواء على صعيد العمران البشري أو التقدم الحضاري للأمم والمجتمعات.

تاريخ التربية والتعليم:

إن أول ما ينبغي تعلمه للصبيان هو القرآن ، لأنه أصل التعلم،ولأهل الأمصار الإسلامية خلاف في ذلك.و "يذكر ابن خلدون العلوم المعروفة في عصره واحد بعد واحد،ويبين ما انتهى إليه الناس من أمر هذا العلم تبيينا لا مزيد عليه ،ويذكر بعد ذلك أنّ التأليف في هذه العلوم قد كثر كثرة أضرّت بالطلاب من حيث أصبح تعلم العلم والوقوف على غايته أمرا عسيرا لاختلاف الاصطلاحات في التعليم وتعدّد طرقه تعدّدا يجعل عمر المتعلم أقصر من أن يفي بما كتب في صناعة واحدة ، وفي هذا يشير إلى النزعة الموسوعية التي أصابت التعليم في كل عصر ، والتي يشكو منها التعليم في عصرنا خاصة ،ثم ينحى باللائمة على قوم من المتأخرين ذهبوا إلى اختصار بحوث العلم اختصارا مخلا ، يحشون ذلك في متن مختصر يشتمل على حصر مسائل العلم وأدلتها باختصار في الألفاظ"[168]

كتب ابن خلدون في "مقدمته" عن أمور المدارس وأحوال التعليم في عهد كتابة المقدمة ،ومنها الأمور التالية :

---

[166] الفكر التربوي عند ابن خلدون وابن الأزرق: ص : 63
[167] دراسات عن مقدمة ابن خلدون ، ص : 444
[168] التربية عبر التاريخ ص :247

أ)كان التدريس والتعليم حرّا، وكان يستطيع لكل من يجد في نفسه الكفاءة أن يتعلّم،في المكان الذي يختار ،وعلى الطريقة التي يريد ، بدون قيد حكومي وسلطاني،ومع ذلك عليه أن يراعي القيود التي يفرضها العرف والعادة.ويستطيع له أن يفعله في المساجد أيضا.

"فاعلم أن المساجد في المدينة صنفان: مسجد عظيمة كثيرة الغاشية، معدة للصلوات المشهودة ، وأخرى دونها مختصة بقوم أو محلة ، وليست للصلوات العامة ، فأما المساجد العظيمة فأمرها راجع إلى الخليفة ، أو إلى من يفوض إليه من سلطان أو وزير أو قاض ، فينصب لها الإمام في الصلوات الخمس والجمعة والعيدين والخسوفين والاستسقاء، وأما المساجد المختصة بقوم أو محلة فأمرها راجع إلى الجيران ، ولا تحتاج إلى نطر خليفة ولا سلطان"[169].

فالمدرس الذي يريد التدريس في الصنف الأول من المساجد فعليه أن يستأذن السلطان في ذلك،ولكنه إذا أراد التدريس في الصنف الأول منها فلا يحتاج إلى إذن .

ب)وكان أصحاب الخير من الأغنياء يبنون البنايات المختصة للتدريس،ويربطون لها الأوقاف المغلة للإنفاق على معلميها ومتعلميها ،وأنّ صلاحية التعليم كانت واقفة حسب شروط الواقفين.

ج)إن مدة الدراسة لم تكن معينة في المدارس ، ولكن " المدة المعينة لسكنى طلبة العلم كانت محدودة ،إنها كانت ست عشرة سنة في المغرب ، وخمس سنين بتونس، وهذه المدة هي أقل مما يتأتى فيها المتعلم حصول مبتغاه من الملكة العلمية أو اليأس منها. " وأما طول المدة المعينة للدراسة، فتأتي من رداءة طرق التعليم المتبعة فيها .

---

[169] مقدمة ابن خلدون : ص : 277

د) كانت مهنة التعليم في عهد ابن خلدون مهنة المستضعفين، ولكن الأمر في صدر الإسلام لم يكن كذلك. ولم يكن العلم حينئذ من جملة الصنائع، ولكن حينما استقر الإسلام صار العلم ملكة تحتاج إلى تعلم ، فأصبح العلم من جملة الصنائع.

ه) وكان الهدف المهم من تعليم الولدان في البلاد الإسلامية، هو تمكين المتعلمين من قراءة القرآن الكريم،مع الحفظ قسما أو كمالا،والقرآن هو أصل التعليم ، والسبب في ذلك: أن أهل الدين كلهم متفقون عل أن القرآن يجب أن يسبق كل شيئ إلى قلوب الطلاب لأن يرسخ الإيمان في قلوبهم ، وإنهم متفقون كذلك على أنه لا بدّ أن يتم في الصغر.

التأليف والتعليم:

يتحدث ابن خلدون عن الكتب التي يكتبها العلماء والمدرسون ويتعلمها الطلاب في فصول ثلاثة :

1- في أن كثرة التأليف في العلوم عائقة عن التحصيل

وتبدو هذه القضية غريبة في النظرة الأولى ، بل إنما كتبه ابن خلدون في هذا الصدد ينتقد حالة خاصة كانت متعاهدة في عصره ، وذلك أن العرف كان يضطر على الطلاب درس وحفظ جميع تلك المؤلفات واحدا بعد آخر. ويقول فيه :

"اعلم أنه مما أضرّ بالناس في تحصيل العلم والوقوف على غاياته كثرة التآليف واختلاف الاصطلاحات في التعليم، وتعدد طرقها ، ثم مطالبة المتعلم والتلميذ باستحضار ذلك،وحينئذ يسلم له منصب التحصيل، فيحتاج المتعلم إلى حفظها

كلها أو أكثرها ومراعاة طرفها ، ولا يفي عمره بما كتب في صناعة واحدة إذا تجرد لها ، فيقع القصور ولا بد دون رتبة التحصيل"[170].

ويقول في ذلك مثلا " شأن الفقه في المذهب المالكي، والكتب المدونة فيها وما كتب عليها من الشروحات الفقهية مثل كتاب ابن يونس ، واللخمي ، وابن بشير ، والتنبيهات والمقدمات والبيان والتحصيل على العتبية ، وكتاب ابن الحاجب ، وما كتب عليه، وكان الطالب يحتاج إلى دراسة كل هذه المؤلفات،وكذلك كان يحتاج إلى تمييز "الطريقة القيروانية من القرطبية والبغدادية والمصرية ، وطرق المتأخرين عنهم والإحاطة بذلك كله" ، وأن مواضيع والمعاني في كلها واحدة ، والمتعلم يجب أن يستحضر جميعها وأن يميز بين كلها ،والعمر ينقضي في واحد منها".

2- في أن كثرة الاختصارات الموضوعة في العلوم مخلة بالتعليم:

وقد شرح ابن خلدون هذه القاعدة وعللها بقوله:

"ذهب كثير من المتأخرين إلى إختصار الطرق والأنحاء في العلوم ، يولعون بها ويدونون منها برنامجا مختصرا في كل علم يشتمل على حصر مسائله وأدلتها ، باختصار في الألفاظ وحشو القليل منها بالمعاني الكثيرة من ذلك الفن ، فصار ذلك مخلا بالبلاغة وعسيرا على الفهم ، وربما عمدوا إلى الكتب الأمهات المطولة في الفنون للتفسير والبيان، فاختصروها تقريبا للحفظ، وهو فساد في التعليم وفيه إخلال بالتحصيل ":

- "وذلك لأن فيه تخليطا على المبتدئ بإلقاء الغايات من العلم عليه، وهو لم يستعد لقبولها بعد، وهومن سوء التعليم."

---

[170] مقدمة ابن خلدون : ص : 679

- " ثم فيه شغل كبير على المتعلم بتتبع ألفاظ الاختصار العويصة للفهم بتزاحم المعاني عليها ، وصعوبة استخراج المسائل من بينها ، لأن ألفاظ المختصرات نجدها لأجل ذلك صعبة عويصة ، فينقطع في فهمها حظ صالح من الوقت."
- " ثم بعد ذلك كله فالملكة الحاصلة من التعليم في تلك المختصرات، إذا تم على سداده ، ولم تعقبه آفة فهي ملكة قاصرة عن الملكات التي تحصل من الموضوعات البسيطة المطولة،لكثرة ما يقع في تلك من التكرار والإحالة المفيدين لحصول الملكة التامة ، وإذا اقتصر على التكرار قصرت الملكة لقلته كشأن هذه الموضوعات المختصرة "[171]

3- في المقاصد التي ينبغي اعتمادها بالتأليف وإلغاء ما سواها:

إنّ "التآليف بين العوالم البشرية والأمم الإنسانية كثير، وهي تنتقل في الأجيال والأعصار ، وتكون مختلفة باختلاف الشرائع والملل والأخبار عن الأمم والدول.وكذلك تختلف الكتابة أيضا حسب اختلافات البشر في رسومها وأشكالها ،ويسمى ذلك قلما وخطاً.فمنها الخط الحميري والخط السرياني والخط العبراني والخط اللطيني من الروم، ولكل أمة اصطلاح في الكتاب يختص بها ويعزي بها "[172]

إنّ "الناس حصروا مقاصد التأليف التي ينبغي اعتمادها وإلغاء ما سواها فعدّوها سبعة"[173]:

1- "استنباط العلم بموضوعه وتقسيم أبوابه وفصوله وتتبع مسائله
2- أن يقف على كلام الأولين وتآليفهم
3- أن يعثر المتأخر على غلط أو خطإ في كلام المتقدمين ممن اشتهر فضله.

---

[171] مقدمة ابن خلدون ص: 683-684
[172] نفس المرجع ص: 681
[173] نفس المرجع : ص : 682-683

4- أن يكون الفن الواحد قد نقصت منه مسائل أو فصول بحسب انقسام موضوعه، فيقصد المطلع على ذلك أن يتمم ما نقص من تلك المسائل ليكمل الفن بكمال مسائله وفصوله ، ولا يبقى للنقص فيه مجال.

5- أن تكون مسائل العلم قد وقعت غير مرتبة في أبوابها ولا منتظمة ، فيقصد المطلع على ذلك أن يرتبها ويهذبها .

6- أن تكون مسائل العلم مفرقة في أبوابها من علوم أخرى ، فينتبه بعض الفضلاء إلى موضوع ذلك الفن وجميع مسائله، فيفعل ذلك ، ويظهر به فن ينظمه في جملة العلوم التي ينتحلها البشر بأفكارهم .

7- أن يكون الشيئ من التآليف التي هي أمهات للفنون مطوّلا مسهّبا فيقصد بالتآليف تلخيص ذلك بالاختصار وبالإيجاز وحذف المكرّر"[174] .

دور العلم وفضله على صعيد الأفراد:

الصنائع نوعان : البسيط ، يختص ذلك بالضروريات ، والمركب والمتطور ، ويكون للكماليات ، ويحتاج إلى علم حسب ما بلغه من درجة الكمال والتركيب. والعلم يؤدي بهذا وظيفة حياتية معيشية ،اي بكونها من إحدى وسائل الرزق وكسب القوت،وكذلك ينظر ابن خلدون إلى تعليم العلم أنها صناعة قائمة بذاتها ،لها غرض اقتصادي معيشي وغرض فكري انساني.

وإنّ الفكر الإنساني يرغب في تحصيل ما ليس عنده من الادراكات،ولتحصيل هذه لا بدّ أن يبحثها عند من سبقه بعلم أو عند من زاد عليه بمعرفة أو إدراك، أو أن يأخذه من الأنبياء .

---

[174] المرجع السابق 682-683

له أصول وفوع وفنون وموضوع،ويقول ابن خلدون: "إنّ الحذق في العلم والتفنن فيه والاستيلاء عليه ، إنما هو بحصول ملكة من الإحاطة بمبادئه وقواعده والوقوف على مسائله واستنباط فروعه من أصوله،وما لم تحصل هذه الملكة لم يكن الحذق في ذلك الفن المتناول حاصلا"[175].

صناعة التعليم وملكته:

فصل ابن خلدون بين العلم والتعليم،"فإذا كان لكل عالم صناعته القائمة بذاتها فهي كأي صناعة تكسب صاحبها عقلا فريدا أيضا التعليم كصناعة إذا برع به المرء وأجاده أيضا عقلا فريدا من البراعة والإتقان والإلمام والتفنن.وقد أعطى ابن خلدون للعلم والتعليم الدور الوظيفي الذي يؤديه على مستوى الأفراد انسجاما مع منطلقاته وفلسفته القائمة على الطبيعة التي فطر عليها البشر والتي تحثه على البحث عن القوت، والصنائع هي أوسع أبوابه"[176]

الدور البنائي والتكويني للصناعة:

يقول ابن خلدون : " اعلم أنّ الصناعة هي ملكة في أمر عملي فكري ،وبكونه عملي هو جسماني محسوس،والأحوال الجسمانية المحسوسة، نقلها بالمباشرة أوعب لها وأكمل ، لأن المباشرة في الأحوال الجسمانية المحسوسة أتم فائدة ،والملكة صفة راسخة تحصل عن استعمال ذلك الفعل وتكرره ورة بعد مرة أخرى، حتى ترسخ صورته ،وعلى نسبة الأصل تكون الملكة."[177]

وبما أن العلم والتعليم من الصنائع التي تكسب صاحبها العقل، فإنها تقتضي :

---

[175] ابن خلدون مقدمة ص : 147
[176] الفكر التربوي عند ابن خلدون وابن الأزرق ص : 67
[177] مقدمة ابن خلدون ص : 121

- الإلمام بجانبيها النظري والعلمي
- الممارسة المباشرة للصناعة والتكرار
- اكتساب المهارة في الصناعة، يرتبط هذا بمهارة المعلم وقدرته ومدى إتقانه للصناعة وبطاقات المتعلم واستعداداته.

العمل باليدين، كالعمل بالفكر يكسبان عقلا فريدا، وهذا ما أراده ابن خلدون لأصحاب الصناعات لينشأوا عليها منذ الطفولة،ويعملون بفكرهم وبحواسهم، فسعى ابن خلدون إلى أقرب ما تدعو إليه التربية الحديثة من تحويل إحساسات التعلم إلى أفكار عن كريق معالجة ومباشرة الأشياء نفسها،وليس بالأخبار والوصف والبلاغة والمجاز، كما جاء على لسان "رائد التربية الحديثة" "جان جاك روسو"(1712-1778م): " لا تقدّموا للطفل أبدا خطبا لا يستطيع سماعها ودعوا الوصف والبلاغة والمجاز، واكتفوا عن تعرضوا عليه الأشياء في حينها ، لتتحول احساساته إلى أفكار"[178]

الوظيفة الحضارية والإجتماعية والعمرانية للعلم :

هناك علاقة بين الصناعة والعمران البشري،والصناعة البسيطة المقتصرة في مجتمع البداوة كافية لتلبية ضروريات العيش، ولكن هذا النوع من الصناعة تصبح ناقصة وقاصرة لتلبية حاجات المجتمع المتحضر،فإن عمران الأرض والإنتقال بالمجتمعات من طور البداوة إلى طور الحضارة يقتضي تطور كمي ونوعي في الصناعات،والتطور في الصناعات والعلوم يدفع المجتمع البشري إلى التطور والعمران.فقرر ابن خلدون على أنّ :"اكتمال الصنائع بكمال العمران الحضري

[178] الفكر التربوي عند ابن خلدون وابن الأزرق ص: 69

وكثرته، ورسوخ الصنائع برسوخ الحضارة،ولا تستجاد الصنائع أو تكثر إلا بتكاثر طالبيها ،ومتى قاربت الأمصار على الخراب انتقصت منها الصنائع، فالعلوم والصنائع لا تكثر إلا بتكاثر العمران وتعاظم الحضارة"[179].

حملة العلم في الإسلام أكثرهم عجم:

إن في أول الملة لم يكن فيها علم ولا صناعة ،وإنما كان فيها الأحكام الشرعية ، ويتناقلها الرجال ،وقد عرفوا مآخذها من الكتاب والسنة ، وهم عرب لم يعرفوا التأليف والتدوين ولا دفعتهم إليه حاجة، فبعد النقل احتيج لوضع التفاسير وتقييد الحديث، ثم بمعرفة الأسانيد، ثم "فسد اللسان فاحتيج إلى القوانين النحوية ، وصارت العلوم الشرعية ملكات في الاستنباط والقياس ، واحتاجت إلى وسائل للدفع عن العقائد الايمانية بالأدلة لكثرة البدع والإلحاد، فصارت هذه كلها علوما محتاجة للتعليم، فاندرجت في الصنائع"[180].

وأما العرب هم الذين أدركوا هذه الحضارة ، "فشغلتهم الرئاسة والملك ،لأنهم أهل الدولة وحاميتها وساستها ، ثم لما صار العلم صناعة دفعوا ذلك إلى العجم للقيام به ، فلما خرج الأمر من يد العرب صارت العلوم الشرعية غريبة النسبة عندهم.ولم تظهر العلوم العقلية في الملة إلا بعد أن صار العلم صناعة واختص به العجم، ولم يزل فيهم مادامت الحضارة في أمصارهم ، فلما خرجت الأمصار وذهبت منها الحضارة ذهب العلم من العجم واختص بالأمصار الموفورة الحضارة"[181]

---

[179] مقدمة ابن خلدون ، ص: 153،147،146

[180] التعريف بابن خلدون ومقدمته، ص : 158

[181] نفس المرجع: ص : 158

مكانة التعليم:

يقول ابن خلدون "أن العلم والتعلم طبيعي في العمران البشر،فالإنسان يحصل على معاشه بالفكر الذي يهتدي به،ويتميز به عن سائر الحيوان،وكذلك يتعاون مع أبناء جنسه ، ويعرف عن الله تعالى به بما جاءت به الرسل ، فصار جميع الحيوانات في طاعته"[182]

ويشير ابن خلدون إلى أنه لا بدّ للعلم من التعليم،وأن التعلم للعلم فهو من جملة الصنائع أيضا ،ويقول فيه : "ذلك أن الحذق في العلم والتفنن فيه والاستيلاء عليه ، إنما هو بحصول ملكة في الإحاطة بمبادئه وقواعده والوقوف على مسائله واستنباط فروعه من أصوله،وما لم تحصل هذه الملكة لم يكن الحذق في ذلك الفن المتناول حاصلا،وهذه الملكة هي في غير الفهم والوعي"[183].

أنواع العلوم ومنازلها:

يذكر ابن خلدون عن أنواع العلوم وعن مكانتها ،"فالعلوم المتعارفة بين أهل العمران تنقسم إلى قسمين: "علوم مقصودة بالذات" كالشرعيات من التفسير والحديث والفقه والكلام والطبيعيات والإلهيات من الفلسفة ،"وعلوم وسيلة آلية " لتلك العلوم كالعربية والحساب وغيرهما للشرعيات، وكالمنطق للفلسفة ،وربما كان آلة لعلم الكلام ولأصول الفقه على طريقة المتأخرين،فأما العلوم التي هي مقاصد فلا حرج في توسعة الكلام فيها ،وأما العلوم التي آلة لغيرها ، فلا ينبغي أن ينظر فيها الا من حيث هي آلة لذلك الغير فقط، ولا يوسع الكلام فيها"[184].

---

[182] مقدمة ابن خلدون: ص : 518
[183] نفس المرجع : ص :435
[184]نفس المرجع : ص :688

إنّ العلوم الآلية كثيرة الفروع والمباحث، ولكن قسما كبيرا منها لا حاجة إليها في العلوم المقصودة ،والإشتغال بها فهو نوع من اللغو، وإنّ التوسع فيها يضيع أوقات الطلاب ،ثم لم يكن أمامهم مجالا كافيا لتعليم العلوم المهمة أي العلوم المقصودة بالذات.وعلى المعلمين أن يهتموا بالعلوم المقصودة أكثر من اهتمامهم بوسائلها فإذا قضوا أعمارهم في تحصيل الوسائل ،إنّهم لا يجدون وقتا لنيل المقاصد، لأن العمر قصير ،ولايحصل كل هذه العلوم على هذه الصورة في العمر الواحد،والإشتغال بها تضييع للعمر .

ينتقد ابن خلدون انتقادا شديدا التقاليد السائدة في زمانه في هذا الصدد: "هذا كما فعله المتأخرون في صناعة النحو وصناعة المنطق وأصول الفقه، لأنهم أوسعوا دائرة الكلام فيها ،وأكثروا من التفاريغ والاستدلالات بما أخرجها على كونها آلة وصيرها مقصودة بذاتها."

يبحث ابن خلدون عن القواعد التي يجب مراعاتها في تعليم "اللسان المضري" ، ويشرح طريقة تعليمه في فصل خاص.

"إنّ ما نسميه اليوم باسم "اللغة الفصحى " كان يسميه ابن خلدون في "مقدمته" باسم "لسان العرب "و "اللسان العربي " أو " لغة مضر " أو " اللسان المضري " ، وقد سماه مرة "اللسان المدون " أيضا ، وأما ما نسميه اليوم باسم "اللغة العامية" فكان يشير إليه ابن خلدون بتعبير " لغة الأمصار" بالنسبة إلى الحضر ، و "لغة الجيل " أو " لغة العرب لهذا العهد" بالنسبة إلى البدو"[185].

[185] دراسات عن مقدمة ابن خلدون : ص : 460

وبعد ذلك يبين العامل الأصلي الذي استوجب الإهتمام بلغة مضر،وذلك أنّ القرآن نزل بلغة مضر ،ونقل الحديث النبوي فيه،فأصبحت معرفة هذه اللغة من الضروريات ، لفهم الكتاب والسنة.

ثم يبين نظريته في "طريقة تعليم اللسان المضري"ويقول فيه:

"وجه التعليم لمن يبتغي ،ملكة اللسان المضري، ويروم تحصيلها أن يأخذ نفسه بحفظ كلامهم القديم الجاري على أساليبهم من القرآن والحديث وكلام السلف ومخاطبات فحول العرب في أسجاعهم وأشعارهم ،وكلمات المولدين أيضا في سائر فنونهم ، حتى يتنزل –لكثرة حفظه لكلامهم من المنظوم والمنثور _ منزلة من نشأ بينهم ولقن العبارة عن المقاصد منهم." ثم "ينصرف بعد ذلك في التعبير عما في ضميره على حسب عباراتهم وتأليف كلماتهم، وما وعاه وحفظه من أساليبهم وترتيب ألفاظهم،فتحل له هذه الملكة بهذا الحفظ والإستعمال،ويزداد بكثرتها رسوخا وقوة"[186]

ويجب أن يترافق "الحفظ والإستعمال" مع "سلامة الطبع" و "التفهم الحسن" ، وأن سبيل الحصول على ملكة اللسان المضري : هو "الحفظ الكثير من كلام العرب مع فهمه وممارسة ذلك الكلام ، مع التفطن لخواص تراكيبه."

علوم اللسان العربي:

اللسان العربي له أركان أربعة: اللغة والنحو والبيان والأدب ، ومعرفتها ضرورية لأهل الشريعة،لأن الكتاب والسنة بلغة العرب ونقلتها عرب ، وأنهما "المصدران الأساسيان للشريعة الإسلامية ،ومنها تؤخذ الأحكام الشرعية.والنحو أيضا من المهم ، وبه تتعين أصول المقاصد بالدلالة،ولولاه لجهل أصل الإفادة ،

[186] دراسات عن مقدمة ابن خلدون 462

وكان حق علم اللغة التقدم ، فلذلك كان النحو أهم لأن في جهله يكون الإخلال بالتفاهم"[187]

علم النحو:

اللغة هي عبارة المتكلم عن مقصوده ، وهي فعل لساني ، فلابدّ أن تصير ملكة اللسان، و"هذه الملكة للعرب من أحسن الملكات وأوضحها إبانة عن المقاصد،لدلالة غير الكلمات فيها على كثير من المعاني، مثل الحركات التي تعين الفاعل والمفعول ، والحروف التي تفضي بالأفعال إلى الذوات من غير تكلف ألفاظ أخرى"[188].

وكانت هذه الملكة في ألسنتهم يأخذها الآخر من الأول ، ثم لما جاء الإسلام فارقوا الحجاز وخالطوا العجم، فتغيرت الملكة بالاستماع لمخالفات المتعربين، وأبو الملكات اللسانية هو السمع ،ففسدت الملكة وخشي اهل العلوم أن تفسد جملة بطول العهد، فينغلق[189] القرأن والحديث على المفهوم، فاستنبطوا من مجرى كلامهم قوانين يقيسون عليها ، مثل" أنّ الفاعل مرفوع والمفعول منصوب ، ثم رأوا تغيير الدلالة بتغيير حركات الكلمات ، فاصطلحوا على تسميته إعرابا ، وجعلوها صناعة سموها علم النحو"[190].

و"أول من كتب فيه أبو الأسود الدولي ، بإشارة من علي بن أبي طالب، ثم انتهى إلى الخليل بن أحمد أيام الرشيد ن فهذب هذه الصناعة وأخذها عنه سيبويه ، فكمل تفاريغها ووضع فيها كتابه المشهور، ثم وضع أبو على الفارسي وأبو القاسم الزجاج مختصرات للمتعلمين،ثم حدث الخلاف بين أهلها في الكوفة والبصرة، وتباينت الطرق، وكثر الاختلاف في إعراب آي القرآن ، واختصر المتأخرون كثيرا من

---

[187] مقدمة ابن خلدون : ص : 700
[188] نفس المرجع : ص : 701
[189] ينسدّ
[190] التعريف بابن خلدون ومقدمته: ص: 159

طولها مثلما فعل ابن المالك والزمخشري وابن الحاجب. والتآليف في هذا الفن كثير وطرق التعليم مختلفة بين البصريين والكوفيين والبغداديين والأندلسيين ، وكادت هذه الصناعة تذهب بتناقص العمران لولا أن وصلنا من مصر ديوان ابن هاشم استوفى فيه أحكام الإعراب وتكلم عن الحروف والمفردات والجمل وحذف المتكرر في أبوابها ، وأشار إلى نكت إعراب القرآن"[191]

علم اللغة:

هو بيان الموضوعات اللغوية، لأنه "لما فسدت ملكة اللسان في الإعراب تأدى الفساد إلى موضوعات الألفاظ ، فاستعمل كثير من كلام العرب في غير موضوعه ، فاحتيج إلى حفظ الموضوعات بالتدوين خشية الجهل بالقرآن والحديث ، وكان السابق في ذلك الخليل بن أحمد الفراهيذي ، فألف كتاب " العين" ، حصر فيه مركبات الحروف المعجمية من الثنائي إلى الخماسي بوجوه عددية ، ثم رتب أبوابه بترتيب مخارج الحروف ، وبدأ بحروف الحلق وبدأ منها بالعين وبها سمي كتابه"[192]

علم البيان:

وهوعلم متعلق بالألفاظ ودلالتها على المعاني ، لأن الأمور التي يقصد بها المتكلم إفادة السامع من كلامه هي : "إما تصور مفردات من الأسماء والأفعال والحروف ، وإما تمييز المسند والمسند إليه والأزمنة ، ويدل عليها بالإعراب ، وهو من صناعة النحو ، ويبقى من الأمور المحتاجة للدلالة على أحوال المتخاطبين أو الفاعلين ، وما يقتضيه حال الفعل، لأن لكل مقام مقال يختص به بعد كمال

[191] مقدمة ابن خلدون : 701-702

[192] مقدمة ابن خلدون : 703،704،705

الإعراب والإبانة من تقديم وتأخير وتأكيد وفصل ووصل وإيجاز وإطناب والدلالة على ملزومه"[193]

ويشتمل هذا العلم على ثلاثة أصناف:

الأول: "يبحث فيه عن الهيئات والأحوال التي تطابق باللفظ جميع مقتضيات الحال ، ويسمى علم البلاغة.

الثاني: يبحث فيه عن الدلالة على اللازم اللفظي وملزومه من الإستعارة والكناية ، ويسمى علم البيان.

الثالث: وهو النظر في تزيين الكلام بالسجع والتجنيس والتورية، ويسمى علم البديع"[194].

علم الأدب:

يحدّد العرب هذا الفن بأنه: "حفظ أشعار العرب وأخبارهم والأخذ من كل علم بطرف ". ويريدون علم اللسان أو العلوم الشرعية من حيث متونها فقط، وهي القرآن والحديث، وأنّ أركان هذا الفن أربعة دواوين هي: أدب الكاتب لابن قتيبة، والكامل للمبرد، والبيان والتبيين للجاحظ، والنوادر لأبي علي القالي، وكان الغناء في الصدر الأول من أجزاء هذا الفن ، لما هو تابع للشعر، لأن الغناء تلحينه، وكان الكتاب الفضلاء من الخواص في الدولة العباسية ، يأخذون أنفسهم به، وقد ألف القاضي أبو الفرج الإصبهاني كتابه في الأغاني ، وجعل مبناه على الغناء في المائة صوت التي اختارها المغنون للرشيد"[195]

---

[193] نفس المرجع : 706،707

[194] المرجع السابق 707

[195] مقدمة ابن خلدون : 709، 710

محاور فلسفته التربوية:

وفي "مقدمة ابن خلدون" هناك نظريات في التربية والتعليم ، وتمثل ذلك فلسفة ابن خلدون التربوية وهي:

1) استيفاء الموضوع في فصل واحد ولا يجوز تقطيعه إلى عناصر متناثرة في فصول متفرقة لأنّ فيه مدعاة للنسيان ، يقول ابن خلدون: " وكذلك ينبغي لك أن لا تطوّل على المتعلم في الفن الواحد بتعريف المجالس وتقطيع ما بيناه لأنه ذريعة إلى النسيان وانقطاع مسائل الفن بعضها من بعض"[196]
2) خلط علمين معا في موضوع واحد فإنه غير جائز المراد بذلك أنّ ابن خلدون يدعو إلى التخصص في العمل التربوي، وهي نظرية حديثة في التربية . يقول ابن خلدون "أن لا يخلط على المتعلم علمان معا فإنه حينئذ قلّ أن يظفر بواحد منهما لما فيه من تقسيم البال وانصرافه عن كل واحد منهما إلى تفهّم الآخر فيستغلقان معا"
3) الابتعاد عن العنف والشدّة ضرورة ،وقد خصص ابن خلدون لذلك فصلا [197] تحت عنوان "في أنّ الشدّة على المتعلمين مضرة بهم " ويقول: "إنّ رهاف الحدّ بالتعليم مضرّ بالمتعلم سيما في أصاغر الولد.
4) اهتم ابن خلدون بالناحية التطبيقية في العملية ، فمعرفة القواعد والقوانين والإصطلاحات ليس من المهم في حدّ ذاتها، وإنّما المهم هي المقدرة على استخدامها و الاستفادة منها علميا ،وقد فرق ابن خلدون بين صناعة اللغة وبين ملكة اللغة .

---

[196] نفس المرجع ، ص: 332
[197] مقدمة ابن خلدون ص : 335

الفصل الثاني

مناهج ابن خلدون في التربية

الطرق التعليمية والتربوية:

ابن خلدون يقدم أمامنا منهجية تربوية وتعليمية،إنه يجد فيها صوابا في تعليم العلوم ونقلها، ويوضح فيها طرق الإفادة منها ومن المبادئ الضرورية التي يراها ابن خلدون في هذا المجال:

أ) التدرج والتكرار التصاعدي بما يناسب الطالب والموضوع معا :يشير ابن خلدون على المعلم أن يتدرج من الصعب إلى السهل، وهو أن يتدرج مع المتعلم بتلقينه مسائل من كل باب،أي من أصول ذلك الباب،فلا يدخل معه في التفصيل في البداية،وعليه أيضا أن يراعي قدرته وقابليته على فهم ما يلقى إليه، ثم في المرحلة الثانية يكون الدخول مناسبا في بعض التفاصيل لدراسة جزئيات الموضوع الذي له ارتباط كثير به، وبعد ذلك تأتي المرحلة الثالثة وفيها يبتعد المعلم عن العموميات ويخرج عن الإجمال ولا يترك عويصا ولا مغلقا إلا وضحه وفتح مقفله.

ب) الإعتماد في أول الأمر على الأمثلة الحسية والانتقال من المحسوس إلى المجرد: وذلك أن المبتدئ يكون في أول الأمر ضعيف الفهم قليل الإدراك،ولا يعينه على فهم ما يلقى عليه إلا الأمثلة الحسية.

ت)عدم إهاق فكر الطالب والإحاطة بطبيعة هذا الفكر: أدرك ابن خلدون بأن الفكر الإنساني ينمو ويتطور تدريجيا، ويتأثر بما يكتسبه من معلومات ومهارات وما يعرض له من خبرات،ولذلك على المعلم أن لا يؤتى بالغايات في البدايات ، والمراد به ألا يأتي المعلم بالعاريف والقوانين الكلية في أول الأمر، بل عليه أن يبدأ بالجزئيات ، وينتقل منها إلى الكليات ، ويسلك في ذلك الطريقة الاستقرائية، فأولا يلقي المعلم

بالأمثلة الكافية ، ثم ينتقل منها إلى التعاريف والقواعد، ويقول ابن خلدون : " يكون أول الأمر عاجزا عن الفهم بالجملة إلا في الأقل على سبيل التقريب والاجمال بالأمثال الحسية ، ثم لا يزال الاستعداد فيه يتدرج قليلا قليلا بمخالطة مسائل ذلك الفن وتكرارها عليه ، وإذا والقيت عليه الغايات في البدايات وهو حينئذ عاجز عن الفهم والوعي وبعيد عن الإستعداد له ،كَلَّ ذهنه عنها ، وحسب ذلك من صعوبة العلم في نفسه ،فتكاسل عنه وانحرف عن قبوله،وتمادى في هجرانه، وإنما أتى ذلك من سوء التعليم"[198]

ث)عدم الإنتقال من فن إلى آخر قبل فهمه: "يؤكد ابن خلدون على المعلم ضرورة عدم نقل الطالب إلى الجديد إلا بعد التأكد من فهم ما سبقه.والطالب إذا حصل ملكة علم استعدّ لقبول ما بقي منها ،وكذلك يكون له نشاط لقبول المزيد والنهوض إلى ما فوقه،حتى يستولى على ذلك العلم، وإذا خلط عليه العلوم عجز عن الفهم،وكذلك يدركه الملل، ويئس من التحصيل،ويهجر العلم والتعليم"[199]

ج) النسيان آفة العلم وتعالج بالتتابع والتكرار: يريد ابن خلدون بمنهجه التربوي أن يربي القدرات لدى المتعلم ،و تتطلب تربية الملكات الاحتفاظ بما اكتسبه ليكون قادرا على استخراجه واستحضاره عند الحاجة،ويحتاج هذا إلى زمن ، وأما الزمن فهو عامل سلبي في الذاكرة،ويستطيع أن يعالجها بعدم تفريق المجالس وتقطيع ما بينها أو بالتكرار،ولم يعتبر ابن خلدون عقل الطالب على أنه وعاء خالية ، ويجب على المعلم أن يملأها بالمعلومات،إنما هو ملكة تنمو وتزداد ، استعدادا وقابلية بالتدرج،بل إنّ تلك الملكة الذهنية ذات طبيعة لها قابلية النموّ والاتساع ،يقول ابن خلدون: "إن الاختلافات في أنظمة التعليم والتفوّت الزمني اللاّزم لتحصيل العلم

---

[198]مقدمة ابن خلدون ص : 685
[199] نفس المرجع : ص : 685

من بلد لآخر أو من فرد إلى آخر ، إنما تعود إلى مدى المعرفة بقوانين ومبادئ اكتساب هذه الملكة وطبيعة نموّها وطرق تربيتها".

يقول ابن خلدون : "فيعسر حصول الملكة بتفريقها ، وإذا كانت أوائل العلم وأواخره حاضرة عند الفكرة مجانبة للنسيان ، كانت الملكة أيسر حصولا ، وأحكم ارتباطا ، وأقرب صبغة، لأن الملكات إنما تحصل بتتابع الفعل وتكراره، إذا تنوسي الفعل تنوسيت الملكة الناشئة عنه"[200].

ح)ألا يخلط على المتعلم علمان معا : " فإنه حينئذ قل أن يظفر بواحد منهما لما فيه من تقسيم البال وانصرافه عن كل واحد منهما إلى تفهم الآخر فيستغلقان معا ويستصعبان ويعود منهما بالخيبة ، وإذا تفرغ الفكر لتعليم ما هو بسبيله مقتصرا عليه فربما كاك أجدر لتحصيله"[201].

خ) عدم الشدة على المتعلمين: رأى ابن خلدون أنّ الشدّة والقسوة على الطالب خاصة في المرحلة الإبتدائية لها نتائج سلبية،ورأى أيضا أنّ القهر والعسف سبب لإذلال النفس ويؤدي إلى اللجوء للأخلاق والعادات الذميمة.ويقول : " وذلك أن إرهاف الحد في التعليم مضر بالمتعلم،سيما في أصاغر الولد، لأنه من سوء الملكة، ومن كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلمين أو المماليك أو الخدم، سطا به القهر وضيق على النفس في انبساطها ، وذهب بنشاطها ، ودعاه إلى الكسل، وحمل على الكذب والخبث ، وهو التظاهر بغير ما في ضميره، خوفا من انبساط الأيدي بالقهر عليه، وعلمه المكر والخديعة لذلك،وصارت له هذه عادة وخلقا ، وفسدت معاني

---

[200] مقدمة ابن خلدون : ص : 685
[201] التربية عبر التاريخ : ص : 249

الإنسانية التي له من حيث الاجتماع والتمدن ....."[202]، وبهذه النظرية الدقيقة والعميقة لا يربي ابن خلدون فكر الإنسان فقط، بل إنه يربي بذلك أخلاقه أيضا.

المنهج التربوي عند ابن خلدون

كان ابن خلدون مجددا في مجال الدراسات التربوية وعلم النفس التربوي والتعليمي، وإنّ آرائه في التربية والتعليم تساعد على تربية الأطفال وتنشئتهم ، يتميز ابن خلدون في منهجه التربوي بخاصيتين أساسيتين: هما الواقعية والأصالة .

منهج ابن خلدون التربوي يتسم بالواقعية والبعد عن المثالية المبنية على التصورات النظرية ،فعنى ابن خلدون بموضوع التربية عناية تطبيقية عملية ،كان يمارسه كل يوم في جلسات الكتاتيب والمدارس،وكان مدرسا في تونس ثم في جامع الأزهر في القاهرة، والأصالة هي الميزة الثانية في منهجية التربوية الخلدونية،وهو لاحظ أن المناهج المتبعة في عصره ليست في حالة اعتدال،لإهمالها كثير من المبادئ الأساسية الخالدة التي جاء بها الإسلام، ويرى أن تبدأ عملية التربية بتعليم القرآن الكريم، وهو بقول في ذلك: "اعلم أن تعليم الولدان للقرآن شعار الدين الذي أخذ به أهل الملة ودرجوا عليه في جميع الأمصار لم يسبق فيه إلى القلوب من رسوخ الإيمان وعقائده من آيات القرآن وبعض متون الأحاديث وصار القرآن أصل التعليم الذي يبنى عليه ما يحصل بعد من الملكات وسبب ذلك أنّ التعليم في الصغر أشدّ رسوخا"[203].

---

[202] مقدمة ابن خلدون : ص 692
[203] المقدّمة ، ابن خلدون

النظرة التربوية عند ابن خلدون:

يقول ابن خلدون في مقدمته المشهورة " اعلم أن تلقين العلوم للمتعلمين إنما يكون مفيدا اذا كان على التدريج شيئا فشيئا وقليلا قليلا يلقى عليه أولا مسائل من كل باب من الفن هي أصول ذلك الباب ويقرب له في شرحها على سبيل الإجمال ويراعي في ذلك قوة عقله واستعداده لقبول ما يرد عليه حتى ينتهي إلى آخر الفن، وعند ذلك يحصل له ملكة في ذلك العلم إلاّ أنّها جزئية وضعيفة ، وغايتها أنّها هيّأتها لفهم الفن وتحصيل مسائله ثم يرجع به إلى الفن ثانية فيرفعه في التلقين عن تلك الرتبة إلى أعلى منها ،ويستوفي الشرح والبيان ويخرج عن الإجمال ويذكر له ما هنالك من الخلاف ووجّهه إلى أن ينتهي إلى آخر الفن فتجود ملكته ثم يرجع به وقد شدّ فلا يترك عويصا ولامهمّا ولا مغلقا إلاّ وضحه وفتح له مقفله فيخلص من الفن وقد استولّى على ملكته"

يشير ابن خلدون في هذه الفقرة إلى ضرورة إدراك المربي لمراحل النموّ عند تلاميذه لكي لا يعاني المتعلم مشقات ومضرات التي لا يستطيع له أن يحمل أثناء دراسته، وتختلف قدرات الطلاب حسب أعمارهم ،ومراعاة هذه القدرات شرط أساسي على المعلمين وعلى من يضع المنهاج المدرسي ومفرداته في الكتب المدرسية المقررة، والتدرج في إلقاء العلوم يكون من الأسهل إلى الأصعب ، ويؤكّد ابن خلدون هذا ويقول أيضا:

"هذا وجه التعليم المفيد وهو كما رأيت إنما يحصل للبعض في أقل من ذلك بحسب ما يخلق له ويتيسّر عليه وقد شاهدنا كثيرا من المتعلمين لهذا العهد الذي أدركنا يجهلون طرق التعليم وإفادته ويحضرون للمتعلم في أوّل تعليمه المسائل المقفلة من العلم ويطالبونه بإحضار ذهنه في حلّها ويحسبون ذلك مرانا على التعليم وصوابا فيه ويكلفونه رعي ذلك وتحصيله ويخلطون عليه بما يلقون له من غايات الفنون في

مبادئها وقبل أن يستعدّ لفهمها " إلى أن يقول : "لا يبغي للمعلم أن يزيد متعلمه على فهم كتابه اللذي أكبّ على التعليم منه بحسب طاقته وعلى نسبة قبوله للتعليم مبتدئا كان أو منتهيا، ولا يخلط مسائل الكتاب بغيرها حتى يعيه من أوّله إلى آخره ويحصّل أغراضه ويستولى منه على ملكة بها ينفذ في غيره لأنّ المتعلم إذا حصل ملكة ما في علم من العلوم استعدّ بها لقبول ما بقى".

منهج التعليم ومراحله:

يشرح ابن خلدون مرحلتين من التعليم كنموذجين السائدين في عصره:

أ- **المرحلة الأولى : قبل سن الرشد**

تعليم القرآن

القرآن للمسلمين هو المصدر الأول والمحور للتشريع الإسلامي،وإنّ تعليم القرآن هو الأساس الذي ينشأ عليه الأولاد،والهدف من تعليم القرآن في بداية التعلم هو أن يرسخ العقائد والإيمان في نفوسهم وأفكارهم قبل أن يهجم عليهم التقاليد والعادات التي توشوش عقيدتهم،وكان لجميع الأمصار مذاهب مختلفة وطرقا متعدّدة في تعليم القرآن. وقد ذكر ابن خلدون منهجين منها:

المنهج الأول:

يقول ابن خلدون: إنّ المسلمين في بعض الأمصار مثل المغرب اقتصروا تعليم أطفالهم على تعليم القرآن فقط،ولم يعلمه أي فن من العلوم ، وكان كل من الصغار والكبار سواء في ذلك.

المنهج الثاني:

وكذلك وجد في بعض الأمصار مثل الأندلس وأفريقية منهجا مختلفا ، وفيه وهم يلحقون أولادهم لتعليم القرآن على أنّه المصدر والمنبع للدين والعلوم الأخرى، ومع ذلك وهم يتعلمون أيضا بعض الفنون الأخرى مثل الخط والكتابة والترسل والشعر وقواعد اللغة العربية.

وقد درس ابن خلدون المناهج والطرائق السائدة لتعليم العلوم في عصره وبعد ذلك أصدر حكمه عليها ،وأظهر رأيه في المنهجين وما يترتب عليها من نتائج تربوية وتعليمية،فالطريقة الأولى التي في المغرب تهدف المهارة في القرآن فقط دون غيره من العلوم،ويرى أيضا أن هذه الطريقة فيها سلبيات ، ولذلك سلك إلى المنهج الثاني الذي في الأندلس والأفريقيا حيث يتعلم فيه المعلم بعض العلوم من الشعر والكتابة وغيرها من الفنون بالإضافة إلى تعليم القرآن.

ويذهب ابن خلدون على أن النتيجة من كلا هذين المنهجين غير كافية ، على أن فيهما القصور في ملكة اللسان ، ويكون المتعلم جامدا في عقلياته،وتدريبه في الكلام أيضا قليل،ونستطيع أن نرى ابن خلدون في هذا التقسيم على أنه جعل العلوم اللسانية متقدمة على العلوم الشرعية،لأن المنطق أيضا تعالج علوم القرآن والتفسير والحديث،على أن بينهما علاقة منطقية ووظيفية.

ب - المرحلة الثانية: بعد سن الرشد

يذكر ابن خلدون عن التعليم الثانوي ، دون أن يذكر معه المناهج والطرق لهذه المرحلة، وهذه المرحلة متعلقة بالعلوم الشرعية والفقهية والدينية، "إنّ أصالة ابن خلدون في مجال التربية تكمن في أنه تجاوز التربية فالمفهوم الفقهي وبحث في التربية المتعلقة بالأمور الحياتية والمعاشية والشديدة الارتباط بالعمران وبالواقع

التاريخي والحضاري للمجتمعات. ولابن خلدون رأي في العملية التربوية والتعليمية ، والوظيفة التي عليها أن تؤديها للأفراد والجماعات ، إنها رؤية جديدة ،بل فلسفة تربوية قائمة بذاتها"[204]

[204] الفكر التربوي عند ابن خلدون وابن الأزرق ، ص : 88

الفصل الثالث

الأفكار التربوية الخلدونية وتطابقاتها وتخالفاتها مع التربية الحديثة

الفكر التربوي عند ابن خلدون:

ساهم ابن خلدون مساهمة عظيمة في علم التربية ،ومن قبله لم يكن معروفا كعلم أكادمي مستقل مثل اليوم، وينقسم ابن خلدون العلم إلى نوعين :العلم العقلي والعلم النقلي. ويرى التدرج في التعليم، وأن يبدأ بالمحسوسات والتدرج حتى الملموسات.وأن يبدأ تعليم الصبي ببعض آيات القرآن الكريم وبعض الأشعار حتى تقوى ملكة حفظه.

تكلم ابن خلدون كثيرا عن التعليم وأنواعه،فتكلم عن تعليم العلوم وتعليم الصنائع أو تعليم اللغة دون أن يذكر التربية أو أن يتناولها بالتعريف كأنه يتكلم عن أمور اعتيادية التي لا تحتاج إلى التعريف ، وتتطرق إلى مسائل التربية دون تسميتها بمسمّاها الخاص.يقول ابن خلدون في فصل الرحلة في طلب العلم ما يأتي"إن البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم وما ينتحلون به من المذاهب والفضائل تارة محاكاة وتلقينا مباشرة، إلا أنّ حصول الملكات من المباشرة والتلقين أشدّ استحكاما وأقوى رسوخا "[205]

على المربّي أن يدرك مراحل النموّ عند التلاميذ ولا يجوز أن يتحمل المتعلمون أثقالا وأعباء تزيد عن احتمال قدراتهم العقلية في الاستيعاب والفهم، ولكل مرحلة

---

[205] ساطع الحصري ص 440

قدراتها الخاصة ، ومراعاتها شرط أساسي على كل من يتعلق بعملية التربية والتعليم.

ابن خلدون وهو إمام ومجدد في بحوث التربية والتعليم، وله بحوث أصيلة وقيمة فى مسائل التربية والتعليم ، فوصف كبائر الأئمة المجددين في هذا الميدان.ولقد تكلم عن تاريخ التربية والتعليم كثير من العلماء الإسلامية في المشرق والمغرب، مبينا آرائهم في الطرق المتتبعة لديهم،وموضحا ما ينبغي أن تسير عليه التربية والتعليم في مختلف مراحل الطفولة والشباب لكي يحقق أغراضهما الفردية والاجتماعية من أقصر الطرق وأيسره،حتى تجيئ أساليبهما متفقة مع طبائع المتعلمين ومسايرة مع تطورهم ونموّهم من الناحية الجسمية والعقلية.

الأهداف التربوية عند ابن خلدون:

كان لابن خلدون أهدافا تربوية منطلقا من نظرته للعلم ،و"المنهجية التربوية والتعليمية التي تبناها من خلال انتقاداته لما هو شائع في عصره من طرق وأساليب ومناهج تربوية وتعليمية ، واعتبرها أنها لا تحقق الغرض التربوي ولا الغرض التعليمي للأبناء والأجيال، فانبرى ليضع منهجية وجد بها الضالة التي يمكن أن تحقق لدى الولدان، والمتعلمين ، الأغراض التربوية والتعليمية التي تناسب مع فلسفته ورؤيته للعمران ، وللحضارة وللمجتمع ، وللأفراد"[206]

1- تربية المَلكات:

يقول ابن خلدون : "إن الملكات صفات للنفس وألوان ،فلا تزحم دفعة . فمن كان على الفطرة كان أسهل لقبول الملكات وأحسن استعدادا لحصولها"[207]

---

[206] الفكر التربوي عند ابن خلدون وابن الأزرق : ص 89
[207] مقدمة ابن خلدون : ص :487

وهذه الملكة - فكرية كانت أو حركية- هي النواة التي منها سوف تنتج الصناعة ،ويستعملها الفرد كوسيلة للإرتزاق له ، وكمساهمته في العمران البشري والبناء الحضاري للمجتمعات.

والملكة هي المهارة التي يكتسبها المرء ، أي إنها شيئ ليس موجودا بل يكون موجودا بالإكتساب فقط، وتبدأ من المحسوسات وترتقي إلى الفكر،ويشير ابن خلدون إلى طبيعة الملكات وخصائصها:

- "تحصل الملكات بتتابع الفعل وتكراره
- تتحول الملكة صناعة في أمر يشترك به الفكر إلى جانب العمل
- لا تكتمل الملكة كونها جسمانية محسوسة الا بالمباشرة والممارسة كونها أوعب لها وأكمل"[208].
- يكون اكتساب الملكة أكثر رسوخا وإتقانا ، عندما يكون الأصل في الإكتساب راسخا ومتينا.
- يوجد "علاقة وثيقة بين اكتساب الملكة والحذق بها لدى المتعلم،وبين طرق تعلمها اي ملكة المعلم الذي يقوم بتعليمها"[209].

ولما أدرك ابن خلدون طبيعة الملكات وكشف عن خصائصها ، "وضع منهجية لتربية الملكات وتعلمها ، وهذه المنهجية هي إحدى الثمرات التي قدّمها علم النفس التربوي إلى التربية الحديثة في مجال التعلم ونظرياته"[210].

طلبت علماء التربية في سبيل اكتساب المهارات إلى تكرار ذات الحركات في الممارسات الحركية ، وذلك باعتبارها نمط سلوكي يكرّر في المناسبات

---

[208] مقدمة ابن خلدون ، ص:482
[209] الفكر التربوي عند ابن خلدون وابن الأزرق : ص : 90
[210] نفس المرجع : ص : 90

المختلفة،وكذلك يجب أن تكون هذه الممارسة والتكرار تحت إشراف وتوجيه مشرف ماهر وعارف بمستلزمات تلك المهارة ومقتضياتها .والمطلب الأول لها هو الدقة في السلوك والممارسة ، ثم السرعة في الأداء والمهارة ، والتكرار يعدل ذلك السلوك ويؤدّي به إلى الكمال.

والتربية الحديثة أعطت للمعلم القيمة العظيمة بكل المراحل في عملية التعلم،ولذلك يجب أن يكون المدرس واعيا بجميع الملكات التي يريد أن يغرسه في نفوس الطلاب.

وقد "التفت ابن خلدون إلى متطلبات العملية التعليمية منذ المراحل الأولى للمتعلم ،واضعا للمعلم والمتعلم على السواء الأسس العلمية والموضوعية ،لإكتساب الملكة التي سوف تغدو فيما بعد الصناعة التي تجعل منه الفرد المحقق لذاته، الصالح لمجتمعه،قادر على كسب عيشه من صناعته التي تحدّد قيمته ،متذكرا قول الإمام علي : قيمة كل امرئ ما يحسنه"[211]

2- اكتساب الصناعة:

يجب أن يكون لكل فرد صناعته التي هي وسيلته لكسب قوته ولحفظ حياته،كحافز للبقاء وللعيش بأمان،ومتعاونا من خلالها مع أبناء مجتمعه.حينا بالمباشرة وبالمبادلة في حين آخر.

صنف ابن خلدون أمهات الصنائع ونوعها ،وما يناسب كل منه من أنواع الحضارة أو العمران البشري،بدويا كان أو حضريا ،ومع ذلك يشير على الإنسان إلى ما هي الشريفة منها وما هي الضرورية،ومتى تزدهر الصناعة وأين تزدهر، وأمثالها من الأمور المتعلقة بالصناعة.

---

[211]الفكر التربوي عند ابن خلدون وابن الأزرق : ص : 91

الصناعات التي هي عمر الحضارة والعمران والدافع بهما إلى الأمام سوف تتحول إلى عامل هدم ومؤشر إلى نهاية الحضارة والعمران ويؤدي إلى فساد المجتمع،وإنما السبب لذلك هو الغلاء الذي يكون من كثرة العمران،وكثرة النفقات على الكماليات والصناعات والزخرفة التي لا طائل لها ،فتكثر المغامرة والسرقة والغش والرياء في المبيعات،فتبدأ ظاهرة التهالك على الشهوات،مما يؤدّي إلى إفساد النوع بذاته،فإذا يصبح الإنسان عاجزا لا يستطيع أن يجلب المنفعة ولا أن يدفع المضرّة ، ويكون مفتقدا استقامة خلقه في السعي في كسب الرزق،وهذه هي العلّة التي قدّمها ابن خلدون لسقوط العمران وانحلال المجتمع،وأخيرا تؤدي إلى انتهاء العمران وفساده، إنّما هي سنة الحضارة وقانون العمران البشري.

إنّ المَرْبى السليم والتنشئة الصائبة عند تعليم الصناعة بالإضافة إلى إتقانها ، تلك الصناعة التي "ستكون المورد المشروع لرزق الفرد، كفيلة بأن تجعل المرء قادرا على جلب منافعه ودفع مضاره ، واستقامة خلقه للسعي في ذلك،كفيلة بأن تجنبه التواكل، وتحفظ عليه أخلاقه ودينه، فيغدو قادرا على المساهمة في بناء حاضر الأمة،ومشاركا في قيام المجتمع بشكل إيجابي وليس العكس كما هو الحال عندما تؤذن الحضارة بالفساد"[212].

يربط ابن خلدون كل هذه الأمور بسند العلم أي المعلم،وبإنعدامه تنعدم الصناعة في قطر من الأقطار ، فتبدأ الحضارة بالتراجع والتقهقر،ولذلك سعي ابن خلدون لأن يكون لأصحاب الصناعات من المهارة والحذق والتفنن.ليسهموا مساهمة إيجابيا في بناء الحضارة ويشاركوا في العمران البشري مشاركة بناءة.

---

[212] الفكر التربوي عند ابن خلدون وابن الأزرق ص : 94

3- البناء الفكري السليم:

يقدّم ابن خلدون أمام المتعلم مقدّمة التي سوف تعينه في فهم "الفكر الإنساني" ويقول: "وأقدّم لك مقدّمة تعينك في فهمها ، وذلك أن الفكر الإنساني طبيعة مخصوصة ، فطرها الله كما فطر سائر مبتدعاته، وهو (وجدان حركة للنفس) في البطن الأوسط من الدماغ تارة يكون مبدأ للأفعال الإنسانية على نظام وترتيب ، وتارة يكون مبدأ لعلم ما لم يكن حاصلا بأن يتوجه إلى المطلوب ،. وقد يصور طرفيه ، ويروم نفيه أو إثباته ، فيلوح له الوسط الذي يجمع بينهما ، أسرع من لمح البصر إن كان واحدا ، وينتقل إلى تحصيل وسط آخر إن كان متعدّدا ، ويصير إلى الظفر بمطلوبه، هذا شأن هذه الطبيعة الفكرية التي تميز بها البشر من بين سائر الحيوانات"[213]

أما رأي ابن خلدون في كيفية حدوث العقل التجريبي،فهو لم يختلف عن آراء الفلاسفة المحدثين وعلماء التربية ، وإنّ عقل الطفل فهو مثل صفحة بيضاء عند الولادة، إنّه يتصل ويتعرّف على هذا العالم عن طريق الحواس،الإنسان كائن متميز بالفكر فلا بدّ أن يكون أفعاله وسلوكه متميزا عن أفعال الحيوان وسلوكه،وتظهر هذه الميزة بانتظام الأفعال وترتيبها ، والكشف عن المفاسد والمصالح ،والحسن والقبيح والمفيد والضار.وتدرك كلها بالتجربة.وتحصل له ملكة في معاملات أبناء جنسه،والقيم والمعاملات والعلاقات الاجتماعية. ويقول ابن خلدون : " إن هذه المعاني لا تبعد عن الحس كل البعد ،بل كلها تدرك بالتجربة وبها تستفاد."ولكن عمر الفرد لا يتسع لكل هذه التجارب ، وإذا يكون هناك مصدران للبناء الفكري :

---

[213] مقدمة ابن خلدون ، ص : 686

أ) **التجربة المباشرة**

ب) **التجربة الآخرون** ، من الأنبياء والمشائخ والعلماء والمعلمون ، ويكون ذلك عن طريق التقليد.

وعلماء التربية المحدثين مثل ′جون ديوي′(1859-1952) و′ستيوارت مل′(1806-1873)، نادوا بالرجوع إلى الحواس وإلى معالجة المواد مباشرة دون وساطة للتعليم منها وبها ، لأن يتحول الإحساسات إلى أفكار ، كما قال المربي جان جاك روسو: "لا تقدّموا للطفل أبدا خطبا لا يستطيع سماعها ، ودعوا الوصف والبلاغة والمجاز، واكتفوا عن تعرضوا عليه الاشياء في حينها ، لتتحول احساساته إلى أفكار". وكذلك قال المربي بستالوزي: "إنّ هذا الطفل لا يريد أن يكون بينه وبين الطبيعة شيئ" . وهي دعوة للعودة إلى التعلم بالأشياء ذاتها عن طريق المباشرة والحواس،لأن يكون البناء الفكري صحيحا وسليما.

وطلب ابن خلدون من المعلمين والمتعلمين على السواء أن يمارسوا ويجربوا مستعينين بحواسهم قبل أفكارهم، ويقول : "اعلم أن الصناعة هي ملكة في أمر عملي فكري ،وبكونه عملي هو جسماني محسوس ، والأحوال الجسمانية المحسوسة نقلها بالمباشرة أوعب لها وأكمل ، لأن المباشرة في الأحوال الجسمانية المحسوسة أتم فائدة"[214]

شروط المعلم والمتعلم :

الإنسان متميز بالفكر الذي يهتدي به ،ومع ذلك أنه تواق لتحصيل ما ليس عنده من الإدراكات،فيرجع إلى من سبقه بعلم أو زاد عليه بمعرفة، ومن هنا ينشأ موقف تعلميّ، وتكون بداية لظاهرة التعلم والتعليم الطبيعية في العمران

---

[214] مقدمة ابن خلدون 482

البشري،ويتطلب هذا إلى وجود معلم ومتعلم،كما يتطلب إلى وجود طرق وأهداف تربوية وتعليمية،وعندما يتوفر هذه الشروط تكون الغاية منه متحققة، والجهود المبذولة فيه مثمرة.وإن ابن خلدون لم يفرد فصلا خاصة في شروط المعلم والمتعلم،ولكن منهجه يختلف تماما من مناهج الفقهاء .

1- شروط المتعلّم:

ا) تلقي العلم مباشرة من أصحابه: يرى ابن خلدون "أن التعلم يكون تارة تعلما وإلقاء،وطورا محاكاة وتلقينا بالمباشرة،وفي رأيه أنّ الطريقة الثانية أكثر ترسيخا له وأشد استحكاما، لأن الاصطلاحات تترك عند المتعلم التباسا وعدم تميز وأحيانا تساؤلات،فالبحث في العلوم والعمل بها يتطلب الرجوع إلى مصادرها وإلى أصحابها ، وهو المناسب لصناعتها.فالرحلة في طلب العلوم ولقاء المشيخة مزيد كمال في التعليم"[215]

ب) عدم الغوص بعيدا أو الإمعان في التجريد والتعميم: على طالب العلم أن لا يفارق نظره المواد المحسوسة،للتأكد منها قبل أن يرسخ في ذهنه حكمه عليها،"ليكون مأمونا من النظر في سياسته ، مستقيم النظر في معاملة أبناء جنسه ، فيحسن معاشه ، وتندفع آفاقه ومضاره باستقامة نظره"[216]

هكذا لم يتبع ابن خلدون المنهجية والطريقة التقليدية للمفكرين التربويين السابقين،ولم يأخذ بنظريتهم الأخلاقية والواعظة التي شاعت قبله،إنه شدّد كثيرا على قيمة التفكر والتحقق.

---

[215] الفكر التربوي عند ابن خلدون وابن الأزرق ص : 78
[216] مقدمة ابن خلدون ص: 695

2- شروط المعلّم:

العلاقة بين المعلم وصناعة التعليم:

وجد ابن خلدون التعليم كصناعة ،والنجاح والفشل لهذه الصناعة مرتبط بالقائمين بها،وأن المعلمين هم محور هذه الصناعة،ولذلك يجب أن تتوفر فيهم الآداب والقوانين والشروط،ويستشهد ابن خلدون ببعض الذين ارتحلوا لطلب العلم على المشاهير،فقد رجع بعضهم بعلم وفيرومفيد وبتعلم حسن[217] وإن توفر المعلم القادر الحاذق هو ضرورة أولى في عملية التعليم،ومن شروط المعلم:

ا) **قيام الجدل والحوار بين المعلم والمتعلم**: الحوار يساعد على تطور في العملية التعليمية ،مثل تفتق الذهن واتساع المدارك وفكّ عقال اللسان ،فالطلاب الذين يتعلمون عند الماهرين والحاذقين من العلماء ، أصبحوا أيضا من الحاذقين ، ولكن الذين تعلموا عند العلماء الذين ليس لهم خبرة وميل بهذا العلم ، رجعوا من تعليمهم بعد أن قضوا أعمارهم في الحفظ الكثير بدون المناقشة والمفاوضة.

ب) **اختيار الأنسب للمتعلم من الفن الواحد**: على المعلمين أن يختاروا لطلابهم ما يفي بأغراضهم ومايحقق أهدافهم، فعليهم أن يقصروا على المتعلمين على المسائل الأساسية فقط بدون الدخول في الشروحات المتنافرة والمتفارقة.وإذا وقع عكس لذلك لكان مضيع للوقت ومضيع لعمر الطالب أيضا بدون جدوى.

ج) **محاولة تقريب الأهداف للطالب وتوضيحها**: التلخيص والاختصار يكون مضرا للطلاب ،لأن حشو الكثير من المعاني في قليل من الكلمات يعسر عليهم الفهم،فيكون فسادا في التعليم،والإقلال بالتحصيل،والتخليط على المبتدئ ، والضياع للغايات من العلم.

---

[217] يذكر ابن خلدون من هؤلاء : ابن الخطيب ، وابن الحاجب.

ينتقد ابن خلدون طرائق التعليم التي شاعت عند عرب المسلمين ويقول: "ذهب كثير من المتاخرين إلى اختصار الطرق والأنحاء في العلوم ،يولعون بها ويدونون منها برنامجا مختصرا في كل علم يشتمل على حصر مسائله وأدلتها، باختصار في الألفاظ وحشو القليل منها بالمعاني الكثيرة من ذلك الفن ، فصار ذلك مخلا بالبلاغة وعسيرا على الفهم،وربما عمدوا إلى الكتب الأمهات المطولة في الفنون للتفسير والبيان، فاختصروها تقريبا للحفظ"[218]،ومثل لذلك ما فعله ابن الحاجب في الفقه وأصول الفقه ، وابن المالك في العربية ، والخونجي في المنطق وأمثالهم.

د) **مراعاة مقدرة الطالب ومساعدته على الفهم**: على المعلم أن يعطي من المعلومات حسب قدرات الطالب ،وأن يساعده على فهمها ، وعليه أيضا أن لا يطول على المتعلم في الفن الواحد والكتاب الواحدويكون ذلك بتقطيع مجالس الدروس وتفريق ما بينها، لأنه يسبب إلى النسيان، وانقطاع مسائل الفن بعضها عن بعض.

يقول ابن خلدون: "ومن المذاهب الجميلة والطرق الواجبة في التعليم أن لا يخلط على المتعلم علمان معا، فإنه حينئذ قلّ أن يظفر بواحد منهما ، لما فيه من تقسيم البال وانصرافه عن كل واحد منهما إلى تفهم الآخر ، فيستغلقان معا ويستصعبان ، ويعود منهما با لخيبة"[219]

دور المعلم في العملية التعليمية:

ابن خلدون يسلط الضوء على أهمية دور المعلم في العملية التعليمية ، يرى أن المعلم هو العمود المحتاج للتعليم ، وهو المسؤول عن نقل المعرفة والمهارات إلى الطلاب ، المعلم يجب أن يكون على دراية تامة بالمواد التي يدرسها ،وأن يكون لديه

---

[218] مقدمة ابن خلدون ص : 683
[219] مقدمة ابن خلدون : ص : 685

القدرة على توصيل المعلومات بطريقة فعالة ، ابن خلدون يشير إلى أن المعلمين الأكفاء هم الذين يمكنهم بناء جيل متعلم ومؤهل للمشاركة في بناء المجتمع.

هكذا قد رعى ابن خلدون واعتنى بالمتعلم وبقدراته ، وأحدث انقلابا في نظرية التربية الحديثة ، حيث جعل المعلم والبرامج يدور كلاهما في فلك المتعلم وليس بالعكس.

العلماء والسياسة :

كان لابن خلدون رأيا غريبا وطريفا في المعلمين ، وذلك أنّ العلماء هم أبعد الناس عن السياسة ومذاهبها ، وقد كتب فصلا خاصا لهذه الغاية .والسبب في ذلك عنده : "أنهم معتادون النظر الفكري والغوص على المعاني،وانتزاعها من المحسوسات وتجريدها في الذهن ، أمورا كلية عامة ، ليحكم عليها بأمر على العموم ، لا بخصوص مادة ولا شخص ولا جيل ولا أمة ولا صنف من الناس، ويطبقون من بعد ذلك الكلي على الخارجات، وأيضا يقيسون الأمور على أشباهها وأمثالها بما اعتادوه من القياس الفقهي ، فلا تزال أحكامهم وأنظارهم كلها في الذهن ، ولا تصير إلى المطابقة إلا بعد الفراغ من البحث والنظر، أو لا تصير بالجملة إلى مطابقة ، وإنما يتفرع ما في الخارج عما في الذهن من ذلك،كالأحكام الشرعية ، فإنها فروع عما في المحفوظ من أدلة الكتاب والسنة ، فتطلب مطابقة ما في الخارج لها ،فهم متعودون في سائر أنظارهم الأمور الذهنية والأنظار الفكرية لا يعرفون سواها : والسياسة يحتاج صاحبها إلى مراعاة ما في الخارج وما يلحقها من الأحوال ويتبعها ، فإنها خفية ، ولعل أن يكون فيها ما يمنع من إلحاقها بشبه أومثال ، وينافي الكلي الذي يحاول تطبيقه عليها"[220] .

---

[220] مقدمة ابن خلدون : ص : 694

فالعلماء -لأجل "ما تعودوه من تعميم الاحكام وقياس الأمور بعضها على بعض – إذا نظروا في السياسة ، أفرعوا ذلك في قالب أنظارهم ونوع استدلالهم ، فيقعون في الغلط كثيرا ولا يؤمن عليهم ، ويلحق فهم أهل الذكاء والكيس من أهل العمران"[221]

يقرر ابن خلدون ما بين النظر والعمل من البعد، وما بين المنطق والمحسوس من المسافة ،إنه يقول بالشجاعة : "ومن هنا يتبين أن صناعة المنطق غير مأمونة الغلط لكثرة ما فيها من الانتزاع وبعدها عن المحسوس ،فأنها تنظر في المعقولات الثواني ،ولعل المواد فيها ما يمانع تلك الأحكام وينافيها عند مراعاة التطبيق اليقيني ، وأما النظر في المعقولات الأول وهي التي تجريدها قريب ،وليس كذلك لأنها خيالية وصور المحسوسات حافظة مؤذنة بتصديق انطباقه"[222].

وجه الصواب في تعليم العلوم وطريق إفادته:

يكون إلقاء العلوم مفيدا إذاكان على التدرج ، أولا يلقي للمتعلم مسائل ، وهي أصول الفن ويقرب له بشرحها بالاجمال ويراعي جودة عقله واستعداده لقبول ما يرِدُ عليه ،فيحصل له ملكة جزئية غايتها تهيأته لفهم الفن، ثم يرجع به المعلم الى الفن فيرفعه في التلقين الى مرتبةالعليا ويستوفى الشرح ويخرج عن الإجمال بذكر الخلاف ووجهه حتى ينتهي الى آخر الفن، فتجود ملكته ، فإن الاستعداد في التعلم ينشأ تدريجا ،فبالتقريب والاجمال والأمثال الحسية يتدرج الاستعداد حتى تتم الملكة .

والمتعلم "اذا حصّل ملكة في علم استعدّ بها لقبول ما بقي ، وحصل له نشاط في طلب المزيد حتى يستولّى على غايات العلم، واذا اختلط عليه الأمر يكون عاجزا

---

[221] نفس المرجع : ص : 694
[222] نفس المرجع : ص : 695

عن الفهم .وينبغي أن لا يطول التعليم في الفن الواحد بتفريق المجالس لأن الملكات تحصل بتتابع العمل وتكراره ، ومن الواجب أيضا أن لا يخلط على المتعلم علمان معا"[223]

تعليم الولدان:

ذهب أبو بكر بن العربي إلى "تقديم العربية والشعر على سائر العلوم، لأنّ الشعر ديوان العرب وتعليم العربية ضرورة بسبب فساد اللغة، ثم الحساب ليتمرن على القوانين، ثم القرآن ،فإنه يتيسر عليه بهذه المقدمة ، ثم ينظر في أصول الدين ، ثم في أصول الفقه ، ثم الجدل ، ثم الحديث وعلومه ، ومن الغفلة أن يأخذ الصبي أوّلا بكتاب الله فيقرأ مالا يفهم. ونهى أن يخلط علمان إلا أن يكون المتعلم قابلا لذلك بجودة الفهم والنشاط"[224]

ومذهب أبي بكر مذهب حسن إلا أن العوائد لا تساعد عليه ، فإنها جرت على "تقديم القرآن للتبرك والثواب وخشية ما يعرض للولد في الصبا من الآفات والقواطع عن العلم،فيفوته القرآن ، ولو حصل اليقين باستمراره في طلب العلم لكان مذهب أبي بكر أولى ما أخذ به أهل المغرب والمشرق"[225]

يقول ابن خلدون في "مقدّمته" المشهور: "اعلم أنّ تلقين العلوم للمتعلمين إنما يكون مفيدا إذا كان على التدريج شيئا فشيئا وقليلا قليلا يلقى عليه أوّلا مسائل من كل باب من الفنّ ، هي أصول ذلك الباب ويقرّب له في شرحها على سبيل الإجمال ويراعى في ذلك قوّة عقله واستعداده لقبول ما يرد عليه حتى ينتهي إلى آخر الفن وعند ذلك يحصل له ملكة في ذلك العلم إلا أنها جزئية وضعيفة ، وغايتها أنها هيأتها

---

[223] التعريف بابن خلدون ومقدمته ، ص : 156
[224] نفس المرجع: ص : 156
[225] المرجع السابق، ص : 157

لفهم الفن وتحصيل مسائله ثم يرجع به إلى الفن ثانية فيرفعه في التلقين عن تلك الرتبة إلى أعلى منها ويستوفى الشرح والبيان ويخرج عن الإجمال ويذكر له ما هنالك من الخلاف ووجهه إلى أن ينتهي إلى آخر الفن فتجود ملكته ثم يرجع به وقد شدّ فلا يترك عويصا ولامهما ولا مغلقا إلا وضحه وفتح له مقفله فيخلص من الفن وقد استولى على ملكته"[226]

الثواب والعقاب:

وقد كتب ابن خلدون فصلا خاصا يتحدث فيه عن الثواب والعقاب، ومما يقول فيه: "أن على المعلم أن يأخذ الأطفال بالقرب والملاينة ، لا بالشدة والغلظة ،وأن إرهاف الحد في التعليم مضرّ للمتعلم،لا سيما في أصاغر الولد ،لأنه من سوء الملكة ،ومن كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلمين او المماليك او الخدم سطا به القهر وضيق عن النفس في انبساطها ودعاه إلى الكسل ،وحمل على الكذب والخبث ، وهو التظاهر بغير ما في ضميره خوفا من انبساط الأيدي بالقهر عليه ، وعلمه المكر والخديعة لذلك،وصارت له هذه عادة وخلقا وفسدت معاني الإنسانية التي له "[227]

ويذهب إلى أن أسلوب الشدة والقهر،يترك آثارا في الأمة كلها ويعودها الخسف والهوان،و"ينتهي إلى القول بأن على المعلم في متعلمه وعلى الوالد في ولده ألا يستبدّا عليهما في التأديب ،وأن لا يزيدا في ضربهم على ثلاثة أسواط"[228]

الرحلة في طلب العلوم وفائدتها :

---

[226] 684 المقدّمة ،ابن خلدون ص:
[227] مقدمة ابن خلدون : ص : 540
[228] التربية عبرالتاريخ : ص :250

وقف ابن خلدون عند أهمية الرحلة في طلب العلم ،واختص لذلك فصلا في مقدمته ، ويعلل على اهمية الرحلة بأمور كثيرة منها : "إن البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم وما ينتحلون به من المذاهب والفضائل تارة علما وتعليما وإلقاء، وتارة محاكاة وتلقينا بالمباشرة ،إلا أنّ حصول الملكات عن المباشرة والتلقين أشدّ استحكاما وأقوى رسوخا ،وعندما يكثر عدد الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها"[229]

وأضاف ابن خلدون إلى هذا : "إن الاصطلاحات في تعليم العلوم مخلطة على المتعلم حتى لقد يظن كثير منهم أنها جزء من العلم ،ولا يدفع ذلك عنه إلا مباشرته لاختلاف الطرق فيها من المعلمين ، فلقاء أهل العلوم وتعدّد المشائخ يفيده تمييز الاصطلاحات بما يراه من اختلاف طرقهم فيها ،فيجرد العلم عنها ويعلم أنها أنحاء تعليم وطرق ، توصل وتنهض قواه إلى الرسوخ والاستحكام في المكان ، وتصحح معارفه وتميزها عن سواها مع تقوية ملكته بالمباشرة والتلقين وكثرتهما من المشيخة عند تعدّدهم وتنوعهم"[230]

وفي هذا الفصل يقارن ابن خلدون المعارف والمذاهب بالأخلاق والفضائل ،ويؤكد أن البشر يأخذونه تارة علما وتعلما وإلقاء، أي عن طريق الفكر ، وتارة محاكاة وتلقينا بالمباشرة ،أي عن طريق الفعل،وإنه يتشمل في التربية والتعليم العلوم والأخلاق ، ويذكر عن طرق اكتسابها ،مثل التعليم فالتلقين والمباشرة والممارسة.

---

[229] نفس المرجع : ص : 250
[230] مقدمة ابن خلدون : ص : 541

الإنسان جاهل بالذات عالم بالكسب:

الإنسان جنس من الحيوان، ميزه الله بالفكر ، ويكون بدايته من التمييز، فهو قبل التمييز خلو من العلم لجهله بجميع المعارف ، ثم تستكمل صورته بالعلم الذي يكتسبه بآلاته، وقال تعالى: "عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ "، أي أكسبه من العلم ما لم يكن حاصلا له"[231]

كثرة الاختصارات مخلة بالتعليم:

ذهب المتأخرون إلى الاختصار في كل علم يدونوه منه برنامجا يشتمل على حصر مسائله باختصار ألفاظ وحشوها بالمعاني الكثيرة ، وقد "صار ذلك مخلا بالبلاغة عسرا على الفهم ، وهو فساد في التعليم ،وإخلال بالتحصيل، لأن فيه تخليطا على المبتدئ بإلقاء غايات من العلم عليه، وذلك من سوء التعليم ، لأن فيه شغلا كبيرا على المتعلم بتتبع ألفاظ الإختصار التي صارت صعبة بتزاحم المعاني عليها ،وصعوبة استخراج المعاني منها ، فيضيع الوقت في فهمها ، ثم الملكة الحاصلة من التعليم في المختصرات قاصرة عن الملكات التي يحصل من الموضوعات البسيطة المطولة"[232]

ونستطيع أن نجمع كل ما ورد في مقدمة ابن خلدون من الآراء والمعلومات المتعلقة بالتربية والتعليم إلى أصناف ثلاثة :

1- المعلومات النفسية : وتشتمل فيها نظرية التربية والتعليم.
2- المعلومات التاريخية : وهي تبين الطرق المتبعة في التربية والتعليم في البلدان المختلفة .

---

[231] التعريف بمقدمة ابن خلدون : ص : 154
[232] نفس المرجع : ص : 157

3- الوصايا العلمية : وهي التي ترشد المعلمين إلى القواعد التي يجب أن يتبعوها في التربية والتعليم.

المعلومات النفسية:

كان ابن خلدون من الروحيين الذين يعتقدون بوجود روح منفصل عن البدن ويقول: "إن الإنسان مركب من جزأين : أحدهما جسماني والآخر روحاني ممتزج به ، والمدرك فيهما واحد، وهو الجزء الروحاني، يدرك تارة مدارك روحانية ،وتارة مدارك جسمانية،إلا أن المدارك الروحانية يدركها بذاته وبغير واسطة، والمدارك الجسمانية يدركها بواسطة آلات الجسم ، من الدماغ والحواس. "[233]

والجزء الروحاني من الإنسان يعرف ب "النفس"، "هذه النفس الإنسانية عائبة عن العيان، وآثارها ظاهرة في البدن ، فكأنه وجميع أجزائه مجتمعة ومتفرقة بآلات للنفس ولقواها "[234] والنفس هي الأهم من هذين الجزئين.

"إنّ الفلاسفة كلها مدحت النفس ،وزعمت أنها المدبّرة للجسد،والحاصلة له والدافعة عنه ، والفاعلة فيه"[235]

ومن برهانه على ذلك قوله : "إنّ الجسد إذا خرجت منه النفس ،مات وبرد ولم يقدر على الحركة والامتناع من غيره ، لأنه لا حياة فيه ولا نور"[236]

ويقول أيضا : " إنّ الحياة قائم بوجود النفس في الجسد، والموت ما هو إلا نتيجة افتراق النفس عن الجسد"[237]

---

[233] المقدمة : 517
[234] دراسات عن مقدمة ابن خلدون : ص: 96
[235] المقدمة 506
[236] المقدمة : 506
[237] نفس المرجع : 495

وهذه النفس هي مصدر الإدراك والفكر والفعل في وقت واحد، ويدل على أنّ لها ذات قوات عديدة ومختلفة.

يتكلم ابن خلدون عن الفكر الإنساني في فصل خاص، ويقول فيه :

"اعلم أن الله سبحانه ميز البشر عن سائر الحيوانات بالفكر الذي جعله مبدأ كماله ونهاية فضله على الكائنات وشرفه، وذلك أن الإدراك- وهو شعور المدرك في ذاته بما هو خارج عن ذاته – هو خاص بالحيوانات فقط من بين سائر الحيوانات والموجودات ، فالحيوانات تشعر بما هو خارج عن ذاتها بما ركب الله فيها من الحواس الظاهرة: السمع والبصر والشم والذوق واللمس ، ويزيد الإنسان من بينها أنه يدرك الخارج عن ذاته بالفكر الذي وراء حسه ، وذلك بقوى خعلت له في بطون دماغه، ينتزع بها صور المحسوس،ويجول بذهنه فيها فيجرد منها صورا أخرى ، والفكر هو التصرف في تلك الصور وراء الحس والجولان الذهني بالإنتزاع والتركيب"[238].

إنّ هذا الفكر الإنساني يكون على ثلاثة مراتب، وكل مرتبة تشير إلى نوع خاص من العقل،وهي: العقل التمييزي ، والعقل التجريبي ، والعقل النظري.

وكذلك فقد توصل ابن خلدون إلى بعض الملاحظات النفيسة في الحوادث النفسية، وتظهر هذه الآراء منفردة ومتفرقة ، وينسجم بعضها في صورة في سلك نظريات عامة مبتكرة ،ومن أطرف هذه الآراء ما وضعه ابن خلدون عن عمل الفكر واليد في حياة الإنسان.ويميز العقل من الغريزة،والأفعال المفكورة الإرادية من الأفعال الإنسانية الإضطرارية، ويقرر " أن العلوم نتيجة الفكر" و"أن الصنائع محصول اليد في خدمة الفكر". وجميع الفروق التي تميز الإنسان من

---

[238] نفس المرجع : 518

الحيوان ترجع إلى عاملين أساسيين هما : "الفكر واليد".الفكر يدرك الكليات ويتناولها بالتحليل والتركيب، واليد تعمل في خدمة الفكر.

"إن امتياز الإنسان بالفكر ، كان من الأمور التي قال بها المفكرون منذ الأزمنة القديمة،كما أنّ اختصاص الإنسان باليد، كان من الحقائق التي انتبه إليها العلماء منذ عهد أرسطو،غير أنّ الحكيم المشار إليه ، كان قد اعتبر اليد كوصف من الأوصاف البدنية التي تميز نوع الإنسان عن سائر صنوف الحيوان، ولم ينظر إلى عمل اليد في الحياة النفسية والاجتماعية بمثل هذا النظر الدقيق الشامل أبدا.وأما ابن خلدون فقد قرن الفكر باليد بكل وضوح،وأظهر عمل اليد الأساسي، في خدمة الفكر وفي صنع الآلات التي تنوب عن الجوارح بكل اهتمام"[239].

وفي المباحث النفيسة في "مقدمة ابن خلدون" ، نستطيع أن نرى نظرية واسعة النطاق عن "الملكات" وتتناول عن كيفية تكوينها من جهة ،وعن عملها في حياة الإنسان العقلية والعملية من جهة أخرى. وأنّ نظرية ابن خلدون في الملكات هي من أهم الأسس التي بنى عليها ابن خلدون آرائه في التربية والتعليم.

ومن ملاحظات ابن خلدون النفسية أيضا :

1- إنّ النفس تبتهج بالإدراك : ويقول : " كل مبتهج له ابتهاج بما يدركه ،واعتبره بحال الصبي في أول مداركه الجسمانية ، كيف يبتهج بما يبصره من الضوء وبما يسمعه من الاصوات"[240]
2- إنه يقرر تأثير التشيع في المحاكات الذهنية ، ويتحدث عنه بالوضوح: "إنّ النفس إذا كانت في حالة الاعتدال في قبول الخبر أعطته حقه من التمحيص

---

[239] دراسات عن مقدمة ابن خلدون : ص : 421
[240] المقدمة 517

والنظر، حتى تتبين صدقه من كذبه ،وإذا خامرها تشيع لرأي او نحلة ، قبلت ما يوافقها من الأخبار لأول وهلة ،وكان ذلك الميل والتشيع غطاه على عين بصيرتها عن الإنتقاد والتمحيص"[241].

3- إنّ الأحوال النفسية تؤثر على الأفعال البدنية: ويقول : " إن الماشي على حائط أو حبل منتصب ، إذا قوي عنده توهم السقوط ، سقط بلا شك، ولذلك نجد كثيرا من الناس يعودون أنفسهم ذلك ، حتى يذهب عنهم هذا الوهم ، فتجدهم يمشون على حرف الحائط والحبل المنتصب ،فلا يخافون السقوط، إن ذلك من آثار النفس الإنسانية ، وتصورها للسقوط من أجل الوهم."[242]

4- إنّ هناك علاقة قوية تربط العمل بالفكر:

يقول : " إن وجود الصنائع دون الفكر ممتنع ، لأنها ثمرته وتابعة له ."[243]

5- تكوين الطبائع والسجايا من جراء الإلفة والمران: يقول : " إن تكوّن السجايا والطبائع إنما هو من المألوف والعوائد"[244].

ويقول أيضا : "إذا ألف الإنسان بعض الأحوال ، صار ذلك له خلقا ، وملكة وعادة ، تنزل منزلة الطبيعة والجبلة " [245]

6- إنه يميز في فصل علم التصوف الحوادث النفسية الإطلاعية عن الإنفعالية : ويقول : " إنّ الإنسان بما هو إنسان ، إنما يتميز عن سائر الحيوان بالإدراك، وإدراكه نوعان : إدراك للعلوم والمعارف من اليقين والظن والشك والوهم، وإدراك للأحوال القائمة به ، من الفرح والحزن والقبض والبسط

---

[241] نفس المرجع : ص 35
[242] نفس المرجع : ص: 501
[243] نفس المرجع: 411
[244] نفس المرجع : 138
[245] المقدمة : 125

والرضا والغضب والصبر والشكر وأمثال ذلك، فالمعنى العاقل والمتصرف في البدن ، ينشأ من إرادات وأحوال ، وهي التي تميز بها الإنسان ، وبعضها ينشأ عن بعض، كما ينشأ العلم عن الأدلة ، والفرح والحزن عن إدراك المؤلم والملتذ به والنشاط عن الجمام[246] والكسل عن الإعياء."[247]

7- دوّن ابن خلدون في فصل صناعة الغناء عدة ملاحظات هامة عن اللذة والحسن والجمال، حيث يقول :

"وذلك أنّ اللذة كما تقرر في موضعه هي إدراك الملائم، والمحسوس إنما تدرك منه كيفيته ، فإذا كانت مناسبة للمدرك وملائمة كانت ملذوذة ، وإذا كانت منافية له منافرة كانت مؤلمة ، فالملائم من الطعوم ما ناسبت كيفيته حاسة الذوق في مزاجها ، وكذا الملائم من الملموسات ،وفي الروائح ما ناسب مزاج الروح القلبي البخاري، لأنه المدرك وإليه تؤديه الحاسة ، ولهذا كانت الرياحين والأزهار العطريات أحسن رائحة وأشد ملائمة للروح، لغلبة الحرارة فيها ،التي هي مزاج الروح القلبي، وأما المرئيات والمسموعات فالملائم فيها تناسب الأوضاع في أشكالها وكيفياتها ، فهو أنسب عند النفس وأشد ملائمة لها ، فإذا كان المرئي متناسبا في أشكاله وتخاطيطه التي له بحسب مادته ، بحيث لا يخرج عما تقتضيه مادته الخاصة من كمال المناسبة والوضع، وذلك هو معنى الجمال والحسن في كل مدرك- كان ذلك حينئذ مناسبا للنفس المدركة فتلتذ بإدراك ملائمها ، ولهذا تجد العاشقين المستهترين [248] في المحبة، يعبرون عن غاية محبتهم وعشقهم بامتزاج أرواحهم بروح المحبوب ، ومعناه

---

[246] الجمام : الراحة

[247] مقدمة ابن خلدون : 577

[248] أهتر : افتتن بشيئ ولزمه عير مبال بنقد ولا موعظة

من وجه آخر أن الوجود يشرك بين الموجودات كما يقوله الحكماء ، فتود أن تمتزج بما شهدت فيه الكمال لتتحد به"[249]

وقال أيضا: "ولما كان أنسب الأشياء إلى الإنسان وأقربها إلى مدرك الكمال في تناسب موضوعها هو شكله الإنساني ، فكان إدراكه للجمال والحسن في تخاطيطه وأصواته من المدارك التي هي أقرب إلى فطرته ، فيلهج كل إنسان بالحسن في المرئي أو المسموع بمقتضى الفطرة، والحسن في المسموع أن تكون الأصوات متناسبة لا متنافرة ، وذلك أن الأصوات لها كيفيات من الهمس والجهر والرخاوة والشدة والقلقلة والضغط وغبر ذلك، والتناسب فيها هوالذي يوجب لها الحسن"[250].

8- الملاحظة عن مبدإ نسبية الإدراكات: يذكر ابن خلدون عن مبدإ نسبية الإدراكات في فصل علم الكلام. ومن قوله :

" واعلم أن الوجود عند كل مدرك في بادئ رأيه أنه منحصر في مداركه لا يعدوها ، والأمر في نفسه بخلاف ذلك، والحق من ورائه، ألا ترى الأصم كيف ينحصر الوجودعنده في المحسوسات الأربع والمعقولات ، وسقط من الوجود عنده المسموعات . وكذلك الأعمى أيضا يسقط من الوجود عنده صنف المرئيات ، ولولا ما يردهم إلى ذلك تقليد الآباء والمشيخة من أهل عصرهم والكافة، لما أقروابه ، لكنهم يتبعون الكافة في اثبات هذه الأصناف ، لا بمقتضى فطرتهم وطبيعة إدراكهم ، ولو سئل الحيوان الأعجم ونطق ، لوجدناه منكرا صنف المعقولات وساقطة لديه بالكلية...."[251]

---

[249] المقدمة، ص : 512

[250] نفس المرجع ، ص : 513

[251] نفس المرجع ، ص : 553

وآثار هذه النسبية يلاحظها ابن خلدون في أنواع الرويا وأحلام المنام،ويذكر عنها في فصل تعبير الرؤيا:

"واعلم أيضا أن الخيال إذا ألقي إليه الروح مدركه ، فإنما يصوره في القوالب المعتادة للحس، وما لم يكن الحس أدركه قط من القوالب فلا يصور فيه شيئا ، فلا يمكن من ولد أعمى أكمه أن يصور له السلطان بالبحر،ولا العدو بالحية ،ولا النساء بالأواني، لأنه لم يدرك شيئا من هذه، وإنما يصور له الخيال أمثال هذه، في شبهها ومناسبها من جنس مداركه التي هي المسموعات والمشمومات"[252].

وإنّ ابن خلدون مع ملاحظته الحوادث النفسية التي تتعلق بالفرد،يلاحظ أيضا " النفسيات الاجتماعية المعشرية،وفي عدّة فصول إنه يسعى لتعليل الأمور الإجتماعية بالنزعات النفسية.

إنه عندما يقرر في كثير من الفصول مثل : "في أن أهل البدو أقرب إلى الخير من أهل الحضر"(ص : 164) ، و" في أن أهل البدو أقرب إلى الشجاعة من أهل الحضر "(ص: 166)، و " في أن معاناة أهل الحضر للأحكام مفسدة للبأس فيهم " (ص: 167) و " في أن الملك والدول العامة إنما تحصل بالقبيل والعصبية" (ص: 201)و"في أنه إذا استقرت الدولة وتمهدت قد تستغنى عن العصبية" (ص : 202) و " في أن من طبيعة الملك الإنفراد بالمجد"(ص : 216) إنه يستند في كل هذا إلى ملاحظات نفسية خاصة.

وكذلك حينما يبين تأثير التجارة والصناعة والحضارة ، يشرح ويعلل الآراء التي يبديها بالمباحث النفسية ، وكذلك إنه يدوّن كثيرا من الملاحظات التفسية الاجتماعية عندما يبحث عن العصبية والحروب، والتعلم والتعليم.

---

[252] مقدمة ابن خلدون ، ص : 592

نظرات عامة عن التربية والتعليم:

- لا يحاول ابن خلدون تعريف التربية ولا التعليم،بل يتكلم عنه كأنه من الأمور المعروفة التي لا يحتاج إلى تعريف.
- وعندما يتكلم ابن خلدون عن الصنائع والعلوم ، يبين تأثير العلم في العقل، حيث يقول في فصل " في أن تعليم العلم من جملة الصنائع" :

"ولا شك أن كل صناعة مرتبة يرجع منها إلى النفس أثر يكسبها عقلا مزيدا تستعدّ به لقبول صناعة أخرى ، ويتهيأ به العقل بسرعة الإدراك للمعارف. وحسن الملكات في التعليم والصنائع وسائر الأحوال العادية ، يزيد الإنسان ذكاء في عقله وإضاءة في فكره بكثرة الملكات الحاصلة للنفس ، وإنما الذي ظهر على أهل الحضر من ذلك (من آثار الذكاء والكمال في العقل) فهو رونق الصنائع والتعليم ، فإن لهما آثارا ترجع إلى النفس"[253].

- يتوسع ابن خلدون في تطبيق مبادئه على عدة مواضيع ،في عدّة علوم.منها:

ا) الخط والكتابة: يقرر ابن خلدون في فصل " في أن الخط والكتابة من عداد الصنائع الإنسانية " بأن الكتابة أكثر إفادة في زيادة العقل ويقول :

" أن في الكتابة انتقالا من الحروف الخطية إلى الكلمات اللفظية في الخيال ، ومن الكلمات اللفظية في الخيال إلى المعاني التي في النفس ،ذلك دائما ، فيحصل لها ملكة الانتقال من الأدلة إلى المدلولات ، وهو معنى النظر العقلي الذي يكسب العلوم المجهولة ،ويكسب بذلك ملكة من التعقل ،تكون زيادة عقل ،ويحصل به قوة فطنة وكيس في الأمور ،لما تعودوه من الانتقال"[254]

---

[253] مقدمة ابن خلدون 522،523

[254] دراسات عن مقدمة ابن خلدون ، ص :442

ب)الحساب: يقرر ابن خلدون فائدة الحساب ويوصي في تعليم الولدان بالبدأ بالحساب ويقول :

" وهذه الصناعة الحسابية حادثة احتيج إليها للحسبان في المعاملات ، وألف الناس فيها كثيرا، وتداولوها في الأمصاربالتعليم للولدان، ومن أحسن التعليم عندهم الإبتداء بها ، لأنها معارف متضحة وبراهينها منتظمة ،فينشأ عنها في الغالب عقل مضيئ درب على الصواب ،وقد يقال من أخذ نفسه بتعليم الحساب أول أمره ، إنه يغلب عليه الصدق لما في الحساب من صحة المباني ومناقشة النفس ، فيصير له ذلك خلقا ويتعود الصدق ويلازمه مذهبا ."[255]

ج) الهندسة: يقرر ابن خلدون في هذا الفصل أنها تفيد صاحبها نورا في عقله واستقامة في فكره حيث يقول :

" واعلم أن الهندسة تفيد صاحبها إضائة في عقله واستقامة في فكره ، لأن براهينها كلها بينة الانتظام جلية الترتيب ، لا يكاد الغلط يدخل أقيستها لترتيبها وانتظامها ، فيبعد الفكر بممارستها عن الخطإ وينشأ لصاحبها عقل ذلك المهيع، وقد زعموا أنه كان مكتوبا على باب أفلاطون : (من لم يكن مهندسا ، فلا يدخلن منزلنا)، وكان شيوخنا رحمهم الله يقولون : (ممارسة علم الهندسة للفكر، بمثابة الصابون للثوب الذي يغسل منه الأقذار وينقيه من الأوضار[256] والأردان)."[257]

- ويوضح من كل ما سبق أن ابن خلدون كان يعتقد بتأثير العلم التربوي ،ويقول: "أن تأثير التعلم لا ينحصر في العقل وحده ولكنه يتعداه إلى الأخلاق أيضا،أي إن الانتقال من التعلم يكون فكريا وخلقيا في وقت واحد".

---

[255] مقدمة ابن خلدون 598،

[256] الأوساخ

[257] 601 مقدمة ابن خلدون،

- إنه يقول في فصل "إن الصنائع تستجاد وتكثر إذا كثر طالبها"ويعلل في ذلك بقوله:

"والسبب في ذلك أنّ الإنسان لا يسمح بعلمه أن يقع مجانا ، لأنه كسبه ومنه معاشه، إذ لا فائدة له في جميع عمره في شيئ مما سواه ، فلا يصرفه إلا فيما له قيمة في مصره ليعود عليه بالنفع ، وإن كانت الصناعة مطلوبة ، وتوجه إليه النفاق كانت حينئذ الصناعة بمثابة السلعة التي تنفق سوقها وتجلب للبيع، فيجتهد الناس في المدينة لتعلم تلك الصناعة ليكون منها معاشهم، وإذا لم تكن الصناعة مطلوبة لم تنفق سوقها ، ولا يوجه قصد إلى تعلمها ، فاختصت بالترك وفقدت للإهمال"[258].

- ويقول في فصل "أن العلوم إنما تكثر حيث يكثر العمران وتعظم الحضارة" :

" إنّ تعليم العلم من جملة الصنائع،وقد كنا قدمنا أن الصنائع، إنما تكثر في الأمصار ، وعلى نسبة عمرانها في الكثرة والقلة والحضارة والترف ، تكون نسبة الصنائع في الجودة والكثرة ،لأنه أمر زائد على المعاش ، فمتى فضلت أعمال أهل العمران عن معاشهم ، انصرفت إلى ما وراء المعاش من التصرف في خاصية الإنسان ، وهي العلوم والصنائع، ومن تشوف بفطرته إلى العلم ، ممن نشأ في القرى والأمصار غير المتمدنة ، فلا يجد فيها التعليم الذي هو صناعي ، لفقدان الصنائع في أهل البدو، ولا بدّ له من الرحلة في طلبه إلى الأمصار المستبحرة، شأن الصنائع كلها في أهل البدو"[259].

---

[258] مقدمة ابن خلدون : ص : 485،486

[259] نفس المرجع 523

ويستشهد على ذلك بأحوال المدن الإسلامية الكبيرة مثل بغداد وقرطبة والقيروان والبصرة والكوفة والقاهرة .

أصول التعليم:

وفي الباب السادس اختص ابن خلدون فصلا لتوضيح " وجه الصواب في تعليم العلوم وطريق إفادته" ، وأنه يعرض فيه عدة قواعد تربوية ، ومن المبادئ الأساسية والملاحظات القيمة التي تناقش في هذا الفصل، حول التربية والتعليم ما يلي:

1- إن استعدادات المتعلم لقبول العلم تنشأ تدريجيا ، وعلى سبيل التقريب والإجمال والأمثلة الحسية، لأن المتعلم يكون في أول الأمر عاجزا عن الفهم بالجملة ،إلا في الأقل.

وهذه هي الأولى والمهمة من القواعد الأساسية التي قررها ابن خلدون ، يوضحها ويفصلها ابن خلدون ويعللها أيضا ، ويقول :

" اعلم أن تلقين العلوم للمتعلمين إنما يكون مفيدا ، إذا كان على التدريج ، شيئا فشيئا وقليلا قليلا، يلقي عليه أولا مسائل من كل باب من الفن ، هي أصول ذلك الباب ، ويقرب له في شرحها على سبيل الإجمال،ويراعي في ذلك قوة عقله واستعداده لقبول ما يورد عليه، حتى ينتهي إلى آخر الفن ، وعند ذلك يحصل له ملكة في ذلك العلم، إلا أنها جزئية وضعيفة ، وغايتها أنها هيأته لفهم الفن وتحصيل مسائله ، ثم يرجع به إلى الفن ثانية ، فيرفعه في التلقين عن تلك الرتبة إلى أعلى منها ، ويستوفى الشرح والبيان، ويخرج عن الإجمال ، ويذكر له ما هنالك من الخلاف ووجهه إلى أن ينتهي إلى آخر الفن ،فتجود ملكته، ثم يرجع به وقد شدا ، فلا يترك عويصا ولا مبهما ولا منغلقا إلا وضحه وفتح له مقفله، فيخلص من الفن وقد استولى على ملكته. وهذا وجه التعليم المفيد، وهو كما رأيت إنما

يحصل في ثلاث تكرارت ، وقد يحصل للبعض في أقل من ذلك بحسب ما يخلق له ويتيسر عليه."[260]

ينتقد ابن خلدون العلماء الذين لا يراعون هذا المبدإ ، ويخالفون مخالفة له ، ويدخلون فيه مدخلهم ، ويقول :

"وقد شاهدنا كثيرا من المعلمين لهذا العهد الذي أدركنا ، يجهلون طرق هذا التعليم وإفادته، ويحضرون للمتعلم في أول تعليمه المسائل المقفلة من العلم، يطالبونه بإحضار ذهنه في حلها ، ويحسبون ذلك مرانا على التعليم، وصوابا فيه، ويكلفونه رعي ذلك وتحصيله ، فيخلطون عليه بما يلقون له من غايات الفنون في مبادئها ، وقبل أن يستعدّ لفهمها ، فإن قبول العلم والاستعدادات لفهمه تنشأ تدريجا."[261]

إن ما قرره ابن خلدون في "هذه القاعدة الأساسية ، يشبه تمام الشبه الفكرة الأساسية التي سيطرت على تنظيم الدراسة الابتدائية في فرنسا ،وفي كثير من البلدان الأوروبية منذ أوائل القرن التاسع عشر.إذ أن برامج التدريس التي رتبت في البلاد المختلفة في القرن التاسع عشر على أحد النمطين التاليين: نمط الدراسة المتسلسلة ، ونمط الدراسة المتمركزة."[262]

وفي النمط الأول ، "تتولى المباحث من أول الدراسة إلى آخرها ،كما تتوالى الزرود في سلسلة واحدة ، فكل بحث يتصل بما قبله من جهة وبما بعده من جهة أخرى ،شأن زرود السلسلة، وأما في النمط الثاني ، فتترتب المباحث على هيئة حلقات متحددة المركز ،متدرجة الإتساع ،فتدخل الحلقة الأولى في الثانية ، والثانية في

---

[260] مقدمة ابن خلدون : ص : 684

[261] مقدمة ابن خلدون : ص : 684، 685

[262] دراسات عن مقدمة ابن خلدون : 452

الثالثة ،ويكون المركز أي مبدأ الأقطار مشتركا في كل هذه الحلقات.فالمباحث تتوالى في الترتيب الأول من غير أن تتكرر، ولا أن تتوسع،ولكنها تتوسع وتتكرر في الترتيب الثاني بقدر عدد الحلقات."[263]

والدراسة الإبتدائية في فرنسا مقسمة إلى ثلاث دورات: الأولى ، والمتوسطة ، والعليا. وفي الدورة الأولى "يدرس العلم من أوله إلى آخره على شكل مختصر إجمالي ،مقتصر على النقاط الأساسية والبسيطة ،وفي الدورة المتوسطة تعاد الأبحاث كلها من الأول إلى الآخر ، بمقياس أوسع مع تفصيل أزيد،وفي الدورة الأخيرة والعليا تعاد المباحث للمرة الثالثة على شكل أوسع وأتم من كل ما سبق ،فإذا استعرضنا سلسلة كتب الدراسة الابتدائية ، نجدها مولفة من ثلاث درجات ، كل واحدة منها قائمة بنفسها ،ولكنها أكثر تفصيلا وأوسع نطاقا من التي تسبقها ، وأشدّ إجمالا من التي تليها ، فنستطيع أن نقول في شأنها ما قاله ابن خلدون في الطريقة التي اقترحها :"هذا وجه التعليم المفيد،وهو كما رأيت إنما يحصل في ثلاث تكرارات."[264]

2- إذا حصل المتعلم على ملكة ما ، في علم من العلوم ، فإنه مستعدّ بها لقبول ما بقي من الملكات، وكذلك يحصل له ملكة ونشاط في طلب المزيد والنهوض إلى ما فوقه،حتى يسيطر على غايات العلم.

ويقول ابن خلدون في ذلك : " ولا ينبغي للمعلم أن يزيد متعلمه على فهم كتابه الذي أكب على التعليم منه بحسب طبقته ، وعلى نسبة قبوله للتعليم مبتدئا كان أو منتهيا ،ولا يخلط مسائل الكتاب بغيرها حتى يعيه من أوله إلى آخره ، ويحصل

---

[263] نفس المرجع، 452
[264] دراسات عن مقدمة ابن خلدون 453

أغراضه، ويستولى منه على ملكة بها ينفذ في غيره ، لأن المتكلم إذا حصل ملكة ما ، في علم من العلوم ، فإنه مستعد لقبول ما بقي ."[265]

3- والمتعلم إذا عجز عن فهم ما يلقى عليه في أول الأمر بسوء ترتيب المباحث ، يكون ذلك سببا لصعوبة العلم في نفسه، فيتكاسل عن العلم بسبب الضجر والكلال في ذهنه، ثم ينحرف عن قبوله ويتمادى في هجرانه.

يقول ابن خلدون : " عجز عن الفهم ، وأدركه الكلال ، وانطمس فكره ، ويئس من التحصيل، وهجر العلم والتعليم."

ويكون المتعلم أول الأمر عاجزا عن الفهم بالجملة ، إلا في الأقل ، وعلى سبيل التقريب والإجمال بالمثل الحسية، ثم لا يزال الإستعداد فيه يتدرج قليلا قليلا ، بمخاطة مسائل ذلك الفن وتكرارها عليه ، والانتقال فيها من التقريب إلى الإستيعاب الذي فوقه ، حتى تتم الملكة في الإستعداد ، ثم في التحصيل ويحيط بمسائل الفن ، وإذا ألقيت عليه الغايات في البدايات وهو حينئذ عاجز عن الفهم والوعي ، وبعيد عن الإستعداد له ، كلّ ذهنه عنها ، وحسب ذلك من صعوبة العلم في نفسه ، فتكاسل عنه وانحرف عن قبوله وتمادى في هجرانه ، وإنما أتى ذلك من سوء التعليم."[266]

4- إنّما تحصل الملكات بتتابع الفعل وتكراره،وإذا أعرض عن الفعل أعرضت الملكة الناشئة عنه.

ويقول فيه : " وكذلك ينبغي أن لا يطول على المتعلم في الفن الواحد والكتاب الواحد بتقطيع المجالس وتفريق ما بينها ، لأنه ذريعة إلى النسيان وانقطاع مسائل

---

[265] مقدمة ابن خلدون : 685
[266] مقدمة ابن خلدون : ص : 685

الفن بعضها عن بعض ، فيعسر حصول الملكة بتفريقها ، وإذا كانت أوائل العلم وأواخره حاضرة عند الفكرة مجانبة للنسيان ، كانت الملكة أيسر حصولا وأحكم ارتباطا وأقرب صبغة ، لأن الملكات إنما تحصل بتتابع الفعل وتكرره ، إذا تنوسي الفعل تنوسيت الملكة الناشئة عنه."[267]

5- يصعب الفهم إذا قسم الفكر بين مسألتين مختلفتين، وعلى العكس من ذلك ،يسهل الفهم إذا تفرغ البال إلى مسألة واحدة ، واقتصره عليها قبل الإنتقال إلى غيرها .ويقول فيه:

" ومن المذاهب الجميلة والطرق الواجبة في التعليم أن لا يخلط على المتعلم علمان معا، فإنه حينئذ قلّ أن يظفر بواحد منهما ، لما فيه من تقسيم البال وانصرافه عن كل واحد منهما إلى تفهم الآخر ، فيستغلقان معا ويستصعبان ، ويعود منهما بالخيبة ، وإذا تفرغ الفكر لتعلم ما هو بسبيله مقتصرا عليه ، فربما كان ذلك أجدر بتحصيله."[268]

وقد جاءت قواعد كثيرة أيضا تبين فيها ابن خلدون عن الأمور الضرورية التي تحتاج لنجاح عملية التعلم والتعليم.ويقول عنها في صورة واسعة في فصل "أن تعليم العلم من جملة الصنائع".

6- لا يستهدف التعليم الفهم والوعي فقط،ولا يتم بالحفظ فقط، بل إنما يكمل بتكوين ملكة التصرف في العلم والتعليم،فعلى الطالب أن يحذق في العلم ،و أن يتفنن فيه ، ويستولى عليه،ويصبح قادرا على المفاوضة والمناظرة فيه،ويتم ذلك بحصول ملكة في الإحاطة بمبادئ العلوم وقواعده،والوقوف على

---

[267] نفس المرجع : ص : 685
[268] مقدمة ابن خلدون : ص : 685

مسائله،واستنباط الفروع من الأصوله ،وهذه الملكة تسمى عند ابن خلدون "الملكة العلمية ".

7- وينتقد ابن خلدون كثرة الحفظ،ويؤكد على لزوم اتباع طريقة المحاورة والمناظرة في العلم والتعليم.ويقول فيه:

" وأيسر طرق هذه الملكة قوة اللسان بالمحاورة والمناظرة في المسائل العلمية، فهو الذي يقرب شأنها ويحصل مرامها ، فتجد طالب العلم منهم ، بعد ذهاب الكثير من أعمارهم في ملازمة المجالس العلمية ، سكوتا لا ينطقون ولا يفاوضون ، وعنايتهم بالحفظ أكثر من الحاجة ، فلا يحصلون على طائل من ملكة التصرف في العلم والتعليم، ثم بعد تحصيل من يرى منهم أنه قد حصل، تجد ملكته قاصرة في علمه إن فاوض أو ناظر أو علّم، وما أتاهم القصور إلا من قبل التعليم وانقطاع سنده ، وإلا فحفظهم أبلغ من حفظ من سواهم، لشدّة عنايتهم به ، وظنهم أنه المقصود من الملكة العلمية كذلك."[269]

ومن هنا نتبين أنّ الطريقة التي تتبع في التعلم والتعليم لها تأثير كبير في جودة التعليم وردائته،ويقارن ابن خلدون في ذلك مدارس تونس بمدارس المغرب،ويقول فيه :

"ومما يشهد بذلك في المغرب ، أنّ المدة المعينة لسكنى طلبة العلم بالمدارس عندهم ست عشرة سنة ، وهي بتونس خمس سنين ، وهذه المدّة بالمدارس هي أقل ما يتأتى فيها لطالب العلم حصول مبتغاه من الملكة العلمية أو اليأس من تحصيلها ، فطال أمدها في المغرب لهذه العصور لأجل عسرها من قلة الجودة في التعليم خاصة، لا مما سوى ذلك."[270]

---

[269] مقدمة ابن خلدون : ص : 521

[270] نفس المرجع : ص : 521

8- يقول ابن خلدون في فصل خاص عن الشدة على المتعلمين ، إنها مضرة بهم،لا سيما في أصاغر السن،لأنها تودي إلى نتائج سلبية ، مثل : ذهاب النشاط والدعوة إلى الكسل،والحمل على الكذب والبؤس، وتعلم المكر والخديعة .وإنه يطبق هذه القاعدة على المماليك والخدم أيضا، حيث يقول فيه:

" ومن كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلمين أو المماليك أو الخدم ، سطا به القهر وضيق على النفس في انبساطها ، وذهب بنشاطها ، ودعاه إلى الكسل وحمل على الكذب والخبث ، وهو التظاهر بغير ما في ضميره ، خوفا من انبساط الأيدي بالقهر عليه ، وعلمه المكر والخديعة لذلك، وصارت له هذه عادة وخلقا ، وفسدت معاني الإنسانية التي له من حيث الاجتماع والتمدن ، وهي الحمية والمدافعة عن نفسه أو منزله ، وصار عيالا على غيره في ذلك، بل وكسلت النفس عن اكتساب الفضائل والخلق الجميل ، فانقبضت عن غايتها ومدى إنسانيتها ،فارتكس وعاد في أسفل السافلين."[271]

وهذه القاعدة تنطبق أيضا في أحوال الأمم، ثم يقول ابن خلدون عن الموقف الذي يتخذه الآباء نحو أولادهم ، والمعلمون في تلاميذهم : "فينبغي للمعلم في متعلمه والوالد في ولده أن لا يستبدوا عليهم في التأديب ."

وقد قال محمد بن أبي زيد في كتابه ، الذي ألفه في حكم المعلمين والمتعلمين: "لا ينبغي لمؤدّب الصبيان أن يزيد في ضربهم إذا احتاجوا إليه على ثلاثة أسواط شيئا."

ومن كلام عمر رضي الله عنه: "من لم يؤدبه الشرع لا أدبه الله."

---

[271] مقدمة ابن خلدون : ص : 692

وبعد ذلك ينتقل ابن خلدون وصية الرشيد لمعلم ولده ويعتبرها من أحسن مذاهب التعليم.

9- يذكر ابن خلدون في فصل خاص عن الرحلة في طلب العلم ولقاء المشيخة،ويقول أنها مزيد كمال في التعليم ،ويشرحه ويعلله في هذا الفصل ويقول فيه :

"إنها تمكنه من لقاء شيوخ كثيرين،وأنّ لكل شيخ اصطلاحات وطريقة خاصة في التعليم والنظر والبحث،فإذا تلقن الطالب من الشيوخ المختلفين، فإنه يحصل على ملكة علمية أقوى وأتم من الذي يحصل من شيه واحد ومن مدينة واحدة.ويتوصل بذلك إلى أعلى مرتبة من الملكات العلمية."

وبالجملة كان آراء ابن خلدون في التربية والتعليم،مثل قول رشيد لمعلم ولده الأمين ،واستحسنه ولاحظ فيه مثالا للتربية لأن يقتدي به،ويقول فيه : "ومن أحسن مذاهب التعليم ، ما يقدم به الرشيد لمعلم ولده ، قال خلف الأحمر : بعث إلي الرشيد في تأديب ولده محمد الأمين، فقال: يا أحمر ، إنّ أمير المؤمنين قد دفع إليك مهجة نفسه ،وثمرة قلبه ، فصيّر يدك عليه مبسوطة ، وطاعته لك واجبة ، وكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين، أقرئه القرآن وعرفه الأخبار وروه الأشعار وعلمه السنن،وبصره بمواقع الكلام وبدئه ،وامنعه من الضحك إلا في أوقاته، وخذه بتعظيم مشايخ بني هاشم ،إذا دخلوا عليه ، ورفع مجالس القواد إذا حضروا مجلسه ، ولا تمرّن بك ساعة الا وأنت مغتنم فائدة تفيده إياها من غير أن تخزنه ، فتميت ذهنه، ولا تمعن في مسامحته ، فيستحلى الفراغ ويألفه ، وقوّمه ما استطعت بالقرب والملاينة ، فإن أباهما فعليك بالشدة والغلظة."

مذاهب التربوية الحديثة:[272]

إنّ في التربيةالحديثة هناك كثير من علماء الفلاسفة والمربّين ومن أهمهم:

جون ديوي(1859-1952)، وهو الذي يرى أن العلم يكون من خلال التجربة .

وماريا مونتيسوري (1870-1952)، وهي التي شجعت على التعلم الذاتي والبيئة المحفزة.وجان بياجيه(1896-1980) ،إنه بين مراحل النمو العقلي للطفل .

وفيغوتسكي (1896-1934)، إنه ذكر عن العلم الإجتماعي والمنطقة القريبة للنموّ .

أما مذاهب التربوية الحديثة تشمل مجموعة من النظريات والمناهج التي تهدف إلى تحسين عملية التعلم والتعليم ، وتتنوع في أساليبها وتطبيقاتها،وتسعى إلى تعزيز فهم الطلاب واستيعابهم للمواد الدراسية ، ويمكن تطبيق هذه النظريات في مختلف السياقات التعليمية لتحقيق نتائج أفضل ، ومن هذه المذاهب الرئيسية:

1- الطبيعية :

يعد روسو (1712-1778) "رائد المذهب الطبيعي" وواضع أصوله، ومن أصول ذلك المذهب "أن الفرد هو شعار التربية ، وأن التعبير عن الذات هو الهدف النهائي لها" ،وقال الطبيعيون على هذا أن التربية القويمة لا تتحقق إلا بإطلاق الحرية التامة للأطفال ، فالطفل ما بين الخامسة والثالثة عشر من عمره لا يعلم فيها الطفل شيئا ولا خلالها أي تربية ، بل يترك للطبيعة، محاطا بأجهزة وأدوات من شأنها أن توسع مداركه ، ويؤمن الطبيعيون "بأن التربية هي عملية إعداد للحاضر لا للمستقبل."

2- البنائية:

---

[272] الفكر التربوي الخلدوني مقاربة بين الأصالة والمعاصرة ، ص: 30

تركز البنائية على دور المتعلم في بناء المعرفة من خلال تجاربه وخبراته، ويشمل التطبيق على تشجيع الطلاب عل الاستكشاف والاكتشاف من خلال الأنشطة العملية والتفاعلية ، يعتبر المتعلم هنا محور العملية التعليمية حيث يتم تحفيزه على بناء فهمه الخاص من خلال التفاعل مع البيئة المحيطة.

3- البراغماتية:

تركز البراغماتية على الفعالية العملية والتجريبية في التعلم ، يشمل التطبيق على تشجيع الطلاب على تطبيق المعرفة في الحياة العملية من خلال المشاريع والممارسات العملية ، تعتبر البرغماتية أن التعلم يكون أكثر فعالية عندما يتم ربطه بتجارب واقعية وحقيقية .

4- التعلم النشط:

يركز التعلم النشط على مشاركة الطلاب في عملية التعلم من خلال الأنشطة التفاعلية والعملية ، ويشمل التطبيق على استخدام الأنشطة الجماعية ، المناقشات ، والتجارب العملية لتعزيز فهم الطلاب واستيعابهم للمواد الدراسية ، يهدف التعلم النشط إلى جعل الطلاب أكثر مشاركة وتفاعلا في العملية التعليمية .

5- التعلم القائم على المشاريع:

يركز التعلم القائم على المشاريع على تطبيق المعرفة النظرية في مشاريع عملية ، يشمل التطبيق على تشجيع الطلاب على العمل على مشاريع عملية ، تحفزهم على تطبيق المعرفة وتطوير المهارات العملية ، يعتبر هذا النهج فعالا في ربط المعرفة النظرية بالتطبيقات العملية .

6- التكنولوجيا في التعليم:

تركز التكنولوجيا في التعليم على استخدام التكنولوجيا لتحسين عملية التعلم والتعليم،يشمل التطبيق على استخدام الأدوات الرقمية ، والموارد التعليمية المفتوحة، والتعلم عبر الإنترنت لتعزيز فهم الطلاب واستيعابهم للمواد الدراسية ، تساهم التكنولوجيا في جعل التعليم أكثر تفاعلية وإشارة .

7- التعلم المتمايز:

يركز التعلم المتمايز على تلبية احتياجات واهتمامات كل طالب على حدة ، يشمل التطبيق على استخدام أساليب تعليمية متنوعة مثل التعلم المخصص، والتعلم القائم على التكنولوجيا ، يهدف التعلم المتمايز إلى تقديم تجربة تعليمية مخصصة تلبي احتياجات كل طالب.

8- التعلم التعاوني:

يشجع التعلم التعاوني على العمل الجماعي والتعاون بين الطلاب ، ويشمل التطبيق على استخدام الأنشطة الجماعية والمشاريع التعاونية لتعزيز مهارات العمل الجماعي.

التحديات في التربية الحديثة:

ومن التحديات التي تواجه التربية الحديثة ما يلي:

أ) الفجوة الرقمية : وهي التفاوت في القدرة على استعمال تكنولوجيا المعلومات والإتصالات واستخدامها ، فمن الناس من يقدرون على استعمال الإنترنت في أحسن صورة ، وكذلك من لا يعرفون شيئا عنه.

ب) مقاومة التغير من بعض المعلمين أو المؤسسات

ت) التفاوت في جودة التعليم

ث)ضغط المناهج والإختبارات القياسية

أهداف التربية الحديثة:

تهدف التربية الحديثة إلى:

- تنمية التفكير النقدي والإبداعي

-تعزيز المهارات الإجتماعية والقيادية

-إعدا د الفرد للمواطنة العالمية

-التأقلم مع سوق العمل المتغير والتكنوجيا

الاستر اتيجيات في التعليم الحديث:

-التعلم القائم على المشروع

- التعلم التعاوني

- استخدام التكنولوجيا في التعليم

- الفصل المقلوب

أفكار التربوية الحديثة

إن "أهمّ ما يميز التربية الحديثة هو احترامها لشخصية الطفل ، وتقديرها لحاجاته وميوله، فليس الطفل مجرد جهاز استقبال سلبي يسجل ويحفظ ماهو مقرر، بل هو في الواقع عكس ذلك تماما، فهو شخصية ديناميكية حية ، فطرها الله على حب الاستطلاع والتساؤل والاستفسار، تقلد وتحلل، وتقارن وتقابل، وتستنتج وتقدّر ، وتستحسن وتستقبح، وتعيد النظر وتتأمل ، وتتخيل وتفكر ، وتحس بدافع فطري للاكتشاف باللمس والفحص، للتوصل إلى إدراك يرضي هذا

الدافع،هذا ما تدعو إليه التربية الحديثة ، وتسعى لبنائه ، ومن هذا القول إن الطفل يحب الطبيعة ، ولكننا نحبسه في غرف مغلقة ، إنه يحب أن يمسك الأشياء بيديه ، بيد أننا لا نفسح في المجال للعمل إلا لدماغه، وهو يحب الكلام ، فنكرهه على الصمت ، ويودّ أن يحاكم الأمور ، ونود أن يحفظ، ويحب أن يبحث عن العلم ، فإذا بنا نقدمه له جاهزا، إنه ينزع إلى أن يتحمس للأمور ، فنبتكر له العقاب جزاء له ، ويؤثر أن يقوم بخدماته عفو الخاطر بملء حريته فنعلمه الطاعة السلبية ، إن المقياس الذي يفرق ما بين التربيتين يكمن في نظرة كل منهما لعالم الإنسان وواقعه."[273]

مقارنة بين الأفكار التربوية الحديثة والأفكار التربوية لابن خلدون:

على الرغم من أن ابن خلدون لم يذكر التربية بمسماها ولم يعرفها تعريفا محددا لها ، إن القارئ لمؤلفاته خاصة كتابه "المقدمة "، يجد أن أفكار ابن خلدون قد اتفقت مع أفكار التربية الحديثة ، إنه سبق علماء عصره وعصرنا في الاهتمام بنفسية المتعلم ،وإنه اتفق مع علم النفس التربوي الحديث بدون معرفته.

إن آراء ابن خلدون التربوية تعتبر أسلوبا تربويا يقارب في فكره أساليب التربية الحديثة ، فمعظم آرائه التربوية قد اتفقت مع علوم التربية الحديثة من ناحية المضمون ، فمن آرائه التربوية المهمة التي تلائم أفكار التربية الحديثة :

- **عدم الشدة مع المتعلمين**

إن ابن خلدون ذكر ضمن قوانين التعلّم على ضرورة عدم الشدة مع المتعلمين ، وإنه انتقد أسلوب العقاب البدني ، وكان هذا سائدا في عصره ،وقال بأن المعاملة مع التلاميذ تجب أن تكون بالرحمة والشفقة واللين ، لأن الشدة على المتعلمين

---

[273] الفكر التربوي الخلدوني مقاربة بين الأصالة والمعاصرة ، ص: 31

مضرة بهم ، وأكد أن الشدة الزائدة تؤدي إلى السلوكيات الخاطئة وانحراف المتعلمين وابتعادهم عن العلم ، ولا تحقق بذلك الهدف العام من التعليم ، و"هو ما أكده علم النفس التربوي إلى أنه في حالة عدم تمكن الطفل من التخلص من التوتر النفسي، فإن ذلك يؤدي إلى العدوان والانحراف السلوكي، وقد يؤدي إلى الكذب والسرقة والهروب من المدرسة وغير ذلك من مظاهر الجنوح وجرائم الأحداث"[274].

فإن ابن خلدون مع معارضته الشدة على المتعلمين ، إنه لا يعترف بالتسامح الكلي مع الأطفال ، إنه أباح العقاب للضرورة على أن لا يزيد على ثلاثة أسواط ، ولم يطالب باستخدام العقاب البدني مباشرة ، بل كان العقاب آخر العلاج، وقبل أن يستخدم العقاب البدني كان يستخدم وسائل متعددة مثل الترهيب والترغيب والتوبيخ والعزل والإهمال ثم العقاب ، وأن طرق الترهيب والترغيب مهما بلغت من الجودة والإتقان لا تضمن وقاية جميع التلاميذ من الاتجاهات والسلوكيات الخاطئة في مختلف الظروف والأحوال ، وفي الحالات الضرورية فلا بد من الاستعانة بالطرق العلاجية كالعقاب البدني المحدد بثلاث أسواط."[275]

- **عدم إشغال المتعلم بعلمين في وقت واحد**

إن تعليم المتعلمين علمين في وقت واحد يشغل المتعلمين ويعرضهم للفشل والإحباط والهزيمة ، لأن العقل الإنساني محدود وغير قادر على الإحاطة بأكثر من علم في الوقت الواحد .إنه ركز على حصر الملكة في فن واحد من العلوم ، ويقول علماء التربية الحديثة في ذلك : "أن تدريب العقل بمادة من المواد في ناحية من

---

[274] مرعي ،بلقيس، 1987 ص: 155

[275] حورية جميلة تيقرين، آراء ابن خلدون التربوية ودرجة اتفاقها مع التربية الحديثة ، ص : 17

النواحي يجعله قادرا على التفكير في المواد الأخرى ، ويمكّنه من الإجادة في كل مادة ، وذلك بسبب انتقال أثر التدريب من هذه المادة إلى المواد الأخرى."[276]

- **إن كثرة الإختصارات الموضوعة في العلوم مخلة بالتعليم**

يرى ابن خلدون أن اختصار كتب العلم من الأمور التي تفسد طريقة التعليم، فقد لجأ بعض العلماء إلى اختصار كتب الأمهات المطولة في الفنون للتفسير والبيان، واختصروها تسهيلا للحفظ، و"ضرب ابن خلدون أمثلة لذلك، بابن الحاجب في الفقه وأصول الفقه ، وابن مالك في العربية والخونجي في المنطق وغيرهم .وقد انتقد ابن خلدون ذلك لأن بعض العلوم تحتاج إلى الإطالة والتكرار لما تحتويه من مفاهيم ومعان ، لا يستطيع المتعلم فهمها دون هذه الإطالة والتكرار، لأن اختصار العلوم يصيبها بالخلل وتصبح عسيرة على الفهم وخاصة لصغار المتعلمين لعدم وجود لديهم الاستعداد والقدرة لفهم مثل هذه المختصرات ، والأبحاث التربوية المعاصرة توافق لهذا الرأي في أن المتعلم يجب أن يستعدّ للتعلم وأن لا يرغم على تلقي العلوم دون الاستعداد الكافي والتأهب لها ، لأن عدم الاستعداد والإرغام يضيع الجهود المبذولة في التعليم."[277]

- **إن كثرة التأليف في العلوم عائقة عن التحصيل**

ابن خلدون يعترف بقصور العقل الإنساني وتفاوت مراتبه بين البشر قوة وضعفا ، ويؤمن كذلك بقصور العقل البشري ، خاصة في المراحل النمائية للأفراد، ورأى أن العقل البشري لا يستطيع استيعاب العلوم التي تكثر فيها المصطلحات والمؤلفات ، ولذا كتب ابن خلدون فصلا تحت عنوان " إن كثرة التأليف في العلوم عائقة عن التحصيل "، إنه "يريد بذلك كثرة المؤلفات

---

[276] أحمد يوسف ، أسس التربية وعلم النفس ، لجنة البيان 1955

[277] جورج شهلا وآخرون، الوعي التربوي ومستقبل البلاد العربية 1961

والمصطلحات في العلم الواحد، بحيث يؤدي ذلك إلى نفور المتعلم من التعليم ، ويهدف ابن خلدون إلى التيسير على المتعلم ، خاصة في بداية التعليم."[278]

وقد كثرة طرق التدريس وتنوعت في عصر ابن خلدون وسادت فيه الطريقة القيروانية والمصرية والبغدادية والقرطبية وغيرها من الطرق ، فالمتعلم مطلوب بالتمييز بين هذه الطرق ، حيث تبدو للمتعلم كأنها جزء من العلم ، وهذا خطأ كبير ، لأن الطرق وسيلة وليست غاية ، ونادى ابن خلدون بمراعاة قدرات التلاميذ وأن لا يسلطهم فوق طاقاتهم ، وأن يكمل تعليمهم بيسر وسهولة لكي يقبلوا على العلم برغبة ونشاط ، وأن لا ينفر من التعليم ، و"هذا الذي نادى به التربية الحديثة ، حيث ظهرت نظريات متعددة تنادي بمراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين ، وظهر مبدأ التدرج في التعليم ، والإنتقال من السهل إلى الصعب فالأصعب ، وبما يتناسب والمرحلة النمائية للمتعلمين "[279].

- **التعلّم المركّزوالموزّع:**

يقرر ابن خلدون بوجود الاستعداد لدى المتعلم ، ومع ذلك "يؤمن أن المتعلم لا يستطيع له أن يقبل العلم في دفعة واحدة ، وإنه يتدرج في قبوله شيئا فشيئا ، وربما يكون بعض الناس أسرع في ذلك من بعض الآخر، وكذلك انتقد ابن خلدون تطويل الجلسات ، وإعطاء الدروس متفرقة ، وينصح بأن لا تطول الفترات بين درس وآخر ،لأن التقطيع يسبب لنسيان ما درسه من قبل، إن مواصلة الدروس يربط بينها ويساعد عل أن تتم عملية التعلم في وقت أقصر، وبطريقة أصح ، وتأتي بنتيجة أفضل."[280] لا يقول ابن خلدون بالتعلم المركز أو بالتعلم الموزع على فترات طويلة

---

[278] 14 حورية جميلة تيقرين، آراء ابن خلدون التربوية ودرجة اتفاقها مع التربية الحديثة ، ص :

[279] نفس المرجع:ص: 15

[280] سليمان ص:55

على اعتبار أنه يؤدي إلى النسيان ولا يصلح لتدريس المواضيع والعلوم المطولة ، و"التعلم المركز يؤدي إلى التعب والملل، ويشجع ابن خلدون على التعلم الموزع على فترات قصيرة لأنه يسهل وييسر على الطالب، وكذلك نادت به التربية الحديثة ، ومن نتائج الدراسات حول التعلم المركز والموزع أشارت الدراسات : إلى أنه إذا حرى توزيع التعلم على عدة جلسات قصيرة فإنه يعطي نتائج أفضل من استفاده دفعة واحدة"[281]وتقرر التربية الحديثة على "أن فترات الراحة تعمل على تثبيت ما حصله المتعلم ، وذلك أن الاستجابات الخاطئة تنسي في العادة أسرع من الاستجابات الصحيحة "[282]

- **طرق التعليم:**

ابن خلدون لم يقيد على المعلم بطريقة واحدة في التدريس، وأجاز له أن يستخدم الطريقة أوالطرائق التي تناسب قدرات وميول وإمكانية التلاميذ،ومنطقه في ذلك : "أن العلم صناعة والصناع يختلفون في طرائق صناعتهم، ولكل صناعة طرق مختلفة ، وللمعلم حق على أن يعتمد جل الطرائق أو بعضها ليستطيع تحقيق الأهداف المرجوة ، أي حصول المتعلم على ملكة العلم أوالموضوع الذي يدرسه ، ويتفق ابن خلدون في رأيه هذا مع ما يطرحه رجال التربية المحدثين من أن أحسن الطرق وأمثلها هو تنوعها وتعدّدها ، على اعتبار أن الموقف التعليمي الواحد يتطلب في تنفيذه طرائق وأساليب متعددة ، وبما يتلائم المادة الدراسية ومستوى التلاميذ."[283]

---

[281] توق عدس، 1992م، ص: 135
[282] العمايرة ، 2000م ، ص: 367
[283] حورية جميلة تيقرين ، ص: 17

إن ابن خلدون أجاز للمعلم استخدام الطرائق الذي تناسبه ، إلاأنه فضل استخدام طريقة المناقشة (المحاورة والمناظرة) ،وهو يري "أن فتق اللسان بالمحاورة والمناظرة يقرب شأن هذه الملكة ةيحصل ما يرمي إليه الإنسان منها بالمحاورة ، وهي الأخذ والعطاء ، أو المناظرة ، وهي عرض أمور من طرائق مختلفة من طريق التخاطب فيما يخالفها أو يوافقها في كلامه."[284]

واعتبر علماء التربية الحديثة على أن طريقة المناقشة (المحاورة والمناظرة) على أنها إحدى الطرق الهامة في التعليم ، حيث أنّها "تراعي الفروق الفردية بين المتعلمين وتفسح مجالا للمعلم للكشف عن هذه الفروق ، وأنهّا تساعد على تنمية علاقات اجتماعية جيدة بين التلاميذ ومعلمهم ، وبين التلاميذ أنفسهم ، تلك العلاقات المبنية على أساس التفاهم والتعاون والاحترام المتبادل، ومع ذلك تنمي الجرأة الأدبية والقدرة على الكلام المعبر ، ويكون ذلك باختيار الأساليب البيانية لإبداع الآراء وذكر المعلومات الدقيقة" ، [285] و"تهيئ فرصة قيمة للتعبير عما للفرد من وجهات نظر ومشاعر وأحاسيس تجاه قضية معينة أو قضايا عديدة ."[286]

إنّ التعليم لا يحدث كله بالجد والاجتهاد، ولا بد من الترويح واللعب حتى لا يمل الصغار العلم،وهذا ما ذهب إليه علماء التربية الحديثة أيضا، وهم الذين رأوا إلى ضرورة اللعب التلقائي وحرية الحركة للصغار،فحوّل فيريدريك أولبرين (1740-1826) قاعات الكنيسة في إحدى مقاطعات فرنسا إلى المدارس الأولية تؤوي إليها أطفال من الأسر الفقيرة في سن ما قبل المدرسة ،إنّه وضع لهم منهجا تربويّا مشتملا

[284] بركات 1982، ص: 105
[285] بانبيلية ، 1984، ص: 630
[286] الرحيم ، 1965 ، ص: 78

على الألعاب المتنوعة ، ومقطع الصور ، وحياكة الأقمشة ، وتعلم اللغة من خلال الأناشيد والغناء.

ومن الأساليب التربوية التي تعتبر فيها ابن خلدون رائدا قوله: "يجب مراعاة مقدرة الطالب فيما يلقي عليه من نوع العلم ومقداره ، وكذلك أن يكون التعليم على قدر طاقة المتعلم"، هو ما ذهب إليه أصحاب الإتجاه النفسي في التربية الحديثة ، فالمدخل الرئيسي لهذا الاتجاه هو الكشف عن القدرات الهائلة الكامنة داخل الطفل، حيث يعد فيريدريك فروبل (1782-1852) الممثل الأول لهذا الاتجاه ، وإليه ترجع تسمية المدارس التي تضم أطفالا من سن الثالثة إلى السادسة ب "رياض الأطفال"، فالفكرة الجوهرية في فلسفته هي "أن الأطفال بطبيعتهم مبدعون وقادرون على النشاط الخلاق المبدع إذا ما أعدت البيئة المناسبة لهم."

- **التدرج في التعليم:**

أكّد ابن خلدون على التدرّج في التعليم من حيث البدء بالعناصر السّهلة إلى العناصر الصّعبة ومن البسيطة إلى المركبة،والانتقال من الجزئي إلى الكلي، وليس العكس، كما أكد على المعلم أن ينوع في طرق التدريس ، وهو الذي ما رمى إليه العالم السويسري بيستالوزي أيضا .

ويتفق هذا الرأي لابن خلدون مع ما تنادي به الطرق التدريس في العصرالحاضر، ويعرف بالطريقة الاستقرائية، وتركز على فرضيات ثلاثة ، وهي :

أ- القدرة على التفكير هي مهارة ويمكن أن تعلَّمها.

ب- التفكير هو عملية تفاعل متواصل بين عقل التلميذ والمادة الدراسية

ت- إنما يتمّ نموّ التفكير بواسطة التسلسل التدريجي من البسيط إلى المركب.

وتحتاج في تطبيقها على عدة شروط، ومنها :

أ- تدريج المعلم للمعلومات والخبرات الدراسية من الخاص إلى العام ومن الجزئي إلى الكلي.

ب-توفير المعلومات الكافية التي يستطيع التلاميذ من خلالها استقراء المبادئ والعموميات

ت-استعمال المعلم لأسئلة واضحة ومتسلسلة منطقيا .

ومن مميزات هذه الطريقة ما يلي :

- زيادة القدرة الفكرية عند التلاميذ.
- تكوين فكر خلاق.
- تنمية قدرات متعددة ، مثل القدرة على التركيب اللغوي وإدراك طبيعة المعلومات وكيفية الوصول إليها .

ومن الآراء التربوية المهمة عند ابن خلدون " الإعتماد على الأمثلة الحسية عند بدء عملية التعلم"، ويطابق هذا على ما ذهب إليه أصحاب الاتجاه الحركي من أمثال : العالم مونتسوري، وهذا الاتجاه يعتمد على مبدإ هام ، وذلك "أن الطفل منذ الولادة حتى السادسة من عمره له حواس تتأثر بدرجة كبيرة بالمنبهات الخارجية المحيطة أكثر من أي مرحلة أخرى" ، فهذه المنبهات تثير رغبة لديه في التعلم والاستكشاف . ويؤكد العالم السويسري الكبير بستالوزي (1746-1827) ما ذهب إليه ابن خلدون حيث يقول : "إن الحواس هي الأساس في عملية تعليم الطفل وتربيته، ولا بد أن تسعى التربية إلى تنميتها والعمل على تدريبها لكونها منافذ لاكتساب المعرفة لدى الطفل في السنوات الست الأولى .

- **الرحلة في طلب العلم**

ومن أهم الأفكار التربوية الخلدونية ما رآه في الرحلات في طلب العلم، إنه يؤطد التعلم من خلال التجربة المباشرة، وطلب أن يستخدم الرحلات التعليمية ،وذلك لربط المعلومات النظرية بالتطبيق، بحث ابن خلدون على الرحلة إلى الأقاليم البعيدة في طلب العلم، لأن هذه الرحلة تفتح أمام الناشئين أبواب علم كثيرة ، وتوقفهم على مشاهد لها في توضيح المعلومات وفهمها ، وأكسبهم علوما وأفكارا التي لا تتاح لهم لو عاشوا طول حياتهم في بلدهم، وهذا ما أكده أصحاب الاتجاه المعرفي في التعلم ، وأبرز من يمثله العالم السويسري بياجيه(1896-1980)، الذي عنى بدراسة النمو العقلي في مراحله الأولى ، وما يتعلق ببنية الذكاء وكيفية تطورها ، ومن طرائق التعليم في المنهج المعرفي : القيام بالرحلات والنزهات إلى البيئة المحيطة.[287]

" والتربية الحديثة توافق ابن خلدون على استخدام الرحلات كوسيلة عظيمة الأهمية في تحصيل المعلومات بطريقة عملية ، وإن كان ابن خلدون يقصد من الرحلة شيئا آخر ، وهو لقاء كبار العلماء والفقهاء ."[288]

---

[287] المجلة السودانية أونلاين للبحوث Vol.2 Issue 1

[288] محمد عطية الأبراشي ، التربية الإسلامية وفلاسفتها، دار الفكر العربي

الخاتمة

"مقدمة ابن خلدون" هو عمل فكري ، يتناول العديد من جوانب الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، ومن بين هذه الجوانب تبرز أهمية الفصول التي تتناول موضوع التربية والتعليم ، ابن خلدون، وهو المفكر والمؤرخ العربي الشهير ،يقدم في "مقدمته" رؤية متكاملة حول كيفية تأثير التعليم على بناء المجتمعات وتقدمها، ويمكن الاستفادة من أفكاره في فهم كيفية بناء المجتمعات وتطويرها من خلال التعليم.

إن كتاب" المقدمة "قد اشتمل على منهج تربوي متكامل، وينسب ابن خلدون النتائج الحضارية للتعليم إلى القائمين على العملية التعليمية من ناحية إدراكهم للقوانين والمبادئ، وتطبيقهم لهذه المبادئ والقوانين ، وابن خلدون افترض التعليم صناعة يرتبط نجاحها بجودة تنظيم التعليم وجودة المعلم.فمن القوانين التي يراها ابن خلدون مهمة وينبغي على المعلم مراعاتها هي:

- التدرج بما يلائم الطالب والموضوع معا ، ثم تأتي مرحلة لاحقة يبدأ المعلم مع زيادة قابلية الطالب لاستيعاب العلوم بالدخول إلى التفصيلات.
- عدم إرهاق فكر الطالب والعلم الجيد بطبيعة هذا الفكر، أدرك ابن خلدون بأنّ الفكر الإنساني ينمو ويتطور تدريجيا ، وكذلك يتأثر بما يكتسبه من المعلومات والمهارات.
- عدم الانتقال من موضوع إلى آخر قبل فهمه.
- النسيان من آفات العلم ، وتعالج بتتابع وتكرار.
- عدم الشدة مع المتعلمين ،وأن القهر يسبب إذلالا للنفس ويؤدي إلى اللجوء إلى العادات الذميمة مثل الكذب والمكر والخديعة.

- الرحلة في طلب العلم ، وخصص ابن خلدون فصلا أكد فيه أن الرحلة ولقاء العلماء وسيلة لاكتساب الفوائد.

في الختام ، يمكن القول إنّ "مقدمة ابن خلدون "، يقدم رؤية متكاملة حول أهمية التعليم في بناء المجتمعات وتقدمها ، يؤكد ابن خلدون على أنّ التعليم هو أساس تقدم المجتمعات ، وأنّ العلوم والصناعات لا تظهر إلا في المجتمعات الحضرية ، كما يشدد على أهمية التعليم في تثبيت العلوم ، ودور المعلم في العملية التعليمية ، تأثير التعليم على تقدم المجتمعات هو موضوع يتكرر في "مقدّمة ابن خلدون" ، حيث يرى أنّ التعليم هو المفتاح لتقدم المجتمعات وتطورها ، بناء على ذلك يمكن القول إنّ "مقدمة ابن خلدون" تعتبر مرجعا هاما لفهم نظريات التعليم والتربية في السياق التاريخي ، ويقدم نظريات قيمة يمكن تطبيقها في الوقت الحاضر. وبالجملة يعتبر الفكر التربوي الخلدوني من أهم الإسهامات العلمية في تاريخ الفكر التربوي حتى في هذا العصر ، ويعد ابن خلدون أنه سبق علماء عصره في صيغ التربية بالصيغة الاجتماعية ، وهو ما يقوله ويناديه علماء التربية الحديثة في العصر الراهن.

نتائج البحث:

1- التربية في العصر القديم كانت تركز على الحفظ والتسمع، بتركيز خاص على المواد الدراسة التقليدية .
2- لم يكن في التربية القديمة تركيز على المهارات الحياتية والجوانب الوجدانية للطلاب.
3- التربية في العصر الحديث أصبحت أكثر شمولا وتفاعلية ، مع التركيز على تطوير قدرات الطلاب وميولهم.

4- تركز التربية الحديثة على المهارات الحياتية والجوانب الوجدانية للطلاب، ومع ذلك تركز على الجوانب المعرفية .

5- التربية الحديثة تهدف إلى إعداد الطالب للحياة العملية ،ومواجهة التحديات المتغيرة في المجتمع.

6- وجود منهج تربوي شامل لدى ابن خلدون مع وجود أفكار تربوية عديدة.

7- اتفاق كثير من الأفكار التربوية لدى ابن خلدون مع ما تنادي به التربية الحديثة.

8- هدف التربية عند ابن خلدون هو إعطاء الفرصة لكي ينشط

9- هدف التربية عند ابن خلدون هو إعداد أفراد وأناس يستطيعون العيش الكريم في مجتمع راق متحضر ، وهذا الهدف ذهب إليه بعض علماء التربية الحديثة وبخاصة هربرت سبنسر.

التوصيات:

1- إعطاء ابن خلدون حقه الأكادمي بتدريسه في علم الاجتماع والتربية في الجامعات العربية.

2- إعداد المزيد من الدراسات حول أفكار ابن خلدون التربوية.

3- الاستفادة من أفكار التربوية الخلدونية وتطبيق ما يصلح منها في برامج التربوية للبلدان العربية والإسلامية.

4- إحياء التراث التربوي الإسلامي وبيان كيفية الاستفادة منه في الوقت الحالي.

المصادروالمراجع

المصادر

1. عبد الرحمن بن خلدون ، *مقدمة ابن خلدون* ، تحقيق : حامد أحمد الطاهر ، الطبعة الثانية، دار الفجر للتراث ، القاهرة ، 2013م.
2. عبد الرحمن بن خلدون ،*التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا*، تحقيق:السيد محمد بن تاويت الطنجي، لجنة التأليف والترجمة والنشر،القاهرة 1951م، الكتاب الإلكتروني.
3. العلامة عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ،*تاريخ ابن خلدون* ،الطبعة الأولى ، ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان، 2010م.
4. ابن خلدون ، *شفاء السائل لتهذيب المسائل*، تحقيق:الدكتور محمد مطيع الحافظ، دار الفكر ، 1996، الكتاب الإلكتروني.
5. ابن خلدون ،*لُباب المحصل في أصول الدين*، تحقيق وتعليق: الدكتور عباس محمد حسن سليمان، دار المعرفة الجامعية ، 1996 ، الكتاب الإلكتروني.

المراجع

الكتب

1. الدكتور سعيد اسماعيل علي ، *الفكر التربوي الحديث* ،عالم المعرفة ،سلسلة كتب ثقافية شهرية ، الإصدار: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ،الكويت ، 113
2. غاستون ميالاريه ، *علوم التربية* ، ترجمة وتقديم : د. فرح بركة ،الطبعة الأولى ، دار ومكتبة الهلال –بيروت،2012م.

3. الدكتور عبد الأمير شمس الدين ،*الفكر التربوي عند ابن خلدون وابن الأزرق* ،دار اقرأ للنشر والتوزيع والطباعة، سنترملكارت التجاري، الرملة البيضاء، بيروت، الطبعة الأولى، 1984م.
4. محمد عطية الإبراشي ،*الاتجاهات الحديثة في التربية*، دار الفكر العربي، القاهرة ،1994م.
5. نصير الدين الطوسي، *آداب المتعلمين*، تحقيق: د. يحيى الخشاب، مجلة معهد المخطوطات العربية ، المجلد الثالث ، الجزء الثاني، 1957م.
6. الدكتور علي عبد الواحد وافي ، *عبقريات ابن خلدون* ، شركة مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، 1984م. الكتاب الإلكتروني.
7. الدكتور علي عبد الواحد وافي ، *عبد الرحمن بن خلدون : حياته وآثاره ومظاهر عبقريته* ، الجمهورية العربية المتحدة ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، مكتبة مصر ، 2009م ،الكتاب الإلكتروني.
8. الدكتور طه حسين ،فلسفة ابن خلدون الاجتماعية، القاهرة 1952 ، ترجمة العربية : الأستاذ عبد الله عنان عن أطروحة الدكتوراه المقدمة لجامعة السوربون، الكتاب الإلكتروني.
9. الأستاذ محمد عبد الله عنان المحامي،*ابن خلدون : حياته وتراثه الفكري* ،مكتبة دار الكتب المصرية ،القاهرة ، الكتاب الإلكتروني ،1933.
10. السيد عبد القادر المغربي-*ابن خلدون في المدرسة العادلية* ، دمشق، الكتاب الإلكتروني.
11. الأستاذ أحمد محمد الحوفى – *مع ابن خلدون* ، القاهرة 1952.
12. الدكتور محمد علي نشأت،*رائد الاقتصاد ابن خلدون* ، القاهرة ، 1944

13. الأستاذ محمد الخضر حسين، *محاضرة عن ابن خلدون*، القاهرة،الكتاب الإلكتروني.
14. عبد الرحمن بروى ، *مؤلفات ابن خلدون* ، منشورات المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية ، دار المعارف بمصر ، 1992م ، الكتاب الإلكتروني.
15. ساطع الحصري ،*دراسات عن مقدمة ابن خلدون*، دار المعارف، مصر، 1953م.
16. الدكتور عمر فروخ- *فلسفة ابن خلدون* ، بيروت 1942
17. أسماء حسن فهمي، *مبادئ التربية الإسلامية* ، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1947م.
18. الأستاذ ضياء الدين فخري ، *مفهوم التاريخ ومنهاجه عند ابن خلدون*،
19. البروفسور غاستون بوتول Gaston Bouthoule ،*ابن خلدون وفلسفته الاجتماعية* ، 1930م.
20. يوسف دميرقول ، *فلسفة التاريخ عند ابن خلدون*،الرسالة ، كلية الآداب ، جامعة استانبول، 1945
21. الدكتور عبد الله عبد الدائم ، *التربية عبر التاريخ من العصور القديمة حتى أوائل القرن العشرين*، دار العلم للملايين ،بيروت، الطبعة الخامسة 1984م.
22. ابراهيم بن عبد الله القاسمي ،*التعريف بابن خلدون ومقدمته* ، دار الهلال للكتب الإسلامية ، 2017م ، كيرالا.
23. عرفات عبد العزيز سليمان ،*الاتجاهات التربوية المعاصرة - دراسة في التربية المقارنة*، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة .
24. غوستاف لوبون ، *روح التربية* ، ترجمة :طه حسين ، مؤسسة هنداوي.

25. أ.د عبد الكريم بكار، حول التربية والتعليم، دار القلم ، دمشق، الطبعة الثالثة 2011م.

26. الدكتور خالد بن حامد الحازمي، *أصول التربية الإسلامية* ،دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، 2000م.

27. سعيد عبد العظيم، *الإشكالية المعاصرة في تربية الطفل المسلم* ،دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع ، الإسكندرية، 2001م ،الكتاب الإلكتروني.

28. الأستاذ خالد اسماعيل غنيم، *التربية المعاصرة قضايا وحلول*،مركز الكتاب الأكادمي، عمان ، الطبعة الأولى 2011م.

29. الدكتور عبد الملك بن عبد الله بن دهيش،*تعليم البنات بالمملكة العربية السعودية*، الطبعة الأولى،1998م

30. أ د. عبد الكريم بكار ، *حول التربية والتعليم*،دار القلم ،دمشق ، الطبعة الثالثة ، 2011م.

31. محمد محمود ساري حمادنه ،خالد حسين محمد عبيدات، *مفاهيم التدريس في العصر الحديث،طرائق....أساليب ..... استراتيجيات*، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ، إربد ، الطبعة الأولى 2012م.

32. الدكتور محمد سرحان علي المحمودي، *مناهج البحث العلمي*،دار الكتب، الجمهورية اليمنية ، صنعاء،2019م.

33. الدكتور علي أحمد مدكور، *مناهج التربية ،أسسها وتطبيقاتها*، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 2001م.

34. محمد قطب،*مناهج التربية الإسلامية* ،دار الشروق ، القاهرة ،الكبعة الرابعة عشرة ، 1993م.

35. السيد أبو الحسن علي الحسن الندوي ، *نحو التربية الإسلامية الحرة* ، دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ،الطبعة الأولى 1969م.

36. د.سعيد أسماعيل علي، *الفكر التربوي العربي الحديث*، عالم المعرفة ، 1987.

37. رفاعة الطهطاوي، *المرشد الأمين للبنات والبنين*، دار الكتاب المصري ، القاهرة ،2012م.

المجلات والمقالات

1. هاشم عبد القادر البخيت أحمد، *الآراء التربوية والتعليمية عند ابن خلدون بين الأصالة والحداثة : دراسة تطبيقية على كتاب المقدمة*، المجلة السودانية أونلاين للبحوث.فبراير 2021م.
2. مجلة الشامل للعلوم التربوية والإجتماعية ، آراء ابن خلدون التربوية ودرجة اتفاقها مع التربية الحديثة ،المجلد 5 ، العدد 1 ، جون 2022، ص 9-19.
3. مجلة البحوث التربوية والنفسية ، العدد 36\2013م.
4. الدكتور بوبكر عواطي، *الفكر التربوي عند ابن خلدون*، مقالة، جامعة الأمير عبد القادر ، قسطنطينية.
5. إيمان أحمد علي السيد رخا،نظام التعليم الإسلامي في الهند- دراسة حالة لولاية كيرالا، مقالة .
6. خولة معتوق،نموذج الوثيقة البيداغوجية لتدعيم منصة التعليم عن بعد، مقالة.
7. سناء دراوشة ، الفكر التربوي الخلدوني بين الأصالة والمعاصرة ، مقالة ، مؤتمر ابن خلدون ، جامعة النجاح الوطنية ، 2012م.

المو اقع الإلكترونية:

1- https://uomustansiriyah.edu.iq

2- https://repository.najah.edu/bitstreams/

3- https://citj.org/index.php/citj/article/download/1209/983/2423

4- https://fac.ksu.edu.sa/sites/default/files

5- https://archive.org/details/2964Pdf

6- https://www.cappasande.de

7- https://sharjah24.ae

8- https://www.alukah.net

9- www.wikipedia.org

CERTIFICATE

This is to certify that the thesis entitled " EDUCATIONAL THOUGHTS IN THE WORKS OF IBN KHALDUN WITH SPECIAL FOCUS ON *MUQADHIMA*: AN ANALYTICAL STUDY" submitted for the award of the Degree of Doctor of Philosophy in Arabic language & literature is a bonafide study and research work done by Ummusalma .N under my guidance and supervision .

No part of this thesis has hither to been submitted earlier for the award of any degree /diploma in any university.

Dr. Mohammed Noorul Ameen .V

Associate Professor & Research supervisor

Dept.of Arabic,PTM Govt. College,Perinthalmanna

Place: Perinthalmanna

Date: 24/09/2025

DECLARATION

I hereby declare that the work presented in the thesis entitled " EDUCATIONAL THOUGHTS IN THE WORKS OF IBN KHALDUN WITH SPECIAL FOCUS ON *MUQADHIMA*: AN ANALYTICAL STUDY" is based on the original work done by me under the guidance of Dr. Mohammed Noorul Ameen .V and has not been included in any other thesis submitted previously for the award of any degree.The contents of the thesis are undergone plagiarism check using iThenticate Software at C.H.M.K.Library ,University of Calicut,and the similarity index found within the permissible limit. I also declare that the thesis is free from AI generated contents.

Ummusalma .N

Research Scholar

Dr. Mohammed Noorul Ameen.V

Research Supervisor

Place: Perinthalmanna

Date: 24/09/2025

EDUCATIONAL THOUGHTS IN THE WORKS OF IBN KHALDUN WITH SPECIAL FOCUS ON *MUQADHIMA*: AN ANALYTICAL STUDY

Thesis submitted in partial fulfilment of requirements for the Award of the Degree of Doctor of Philosophy in Arabic Language and Literature

Submitted by

UMMUSALMA. N

Under the supervision of

Dr. Mohammed Noorul Ameen. V

Research Supervisor & Associate Professor in PG & Research Department of Arabic

PTM Govt.College, Perinthalmanna, Malappuram ,Kerala,India

University of Calicut

2025